وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد / كلية العلوم الاسلامية

الدراسات العليا / قسم العقيدة والفكر الاسلامي



اليهودية في تفسير الوسيط للطنطاوي

(دراسة تحليلية)

اطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد ـ

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في العقيدة والفكر الاسلامي

تخصص أديان

من الطالبة

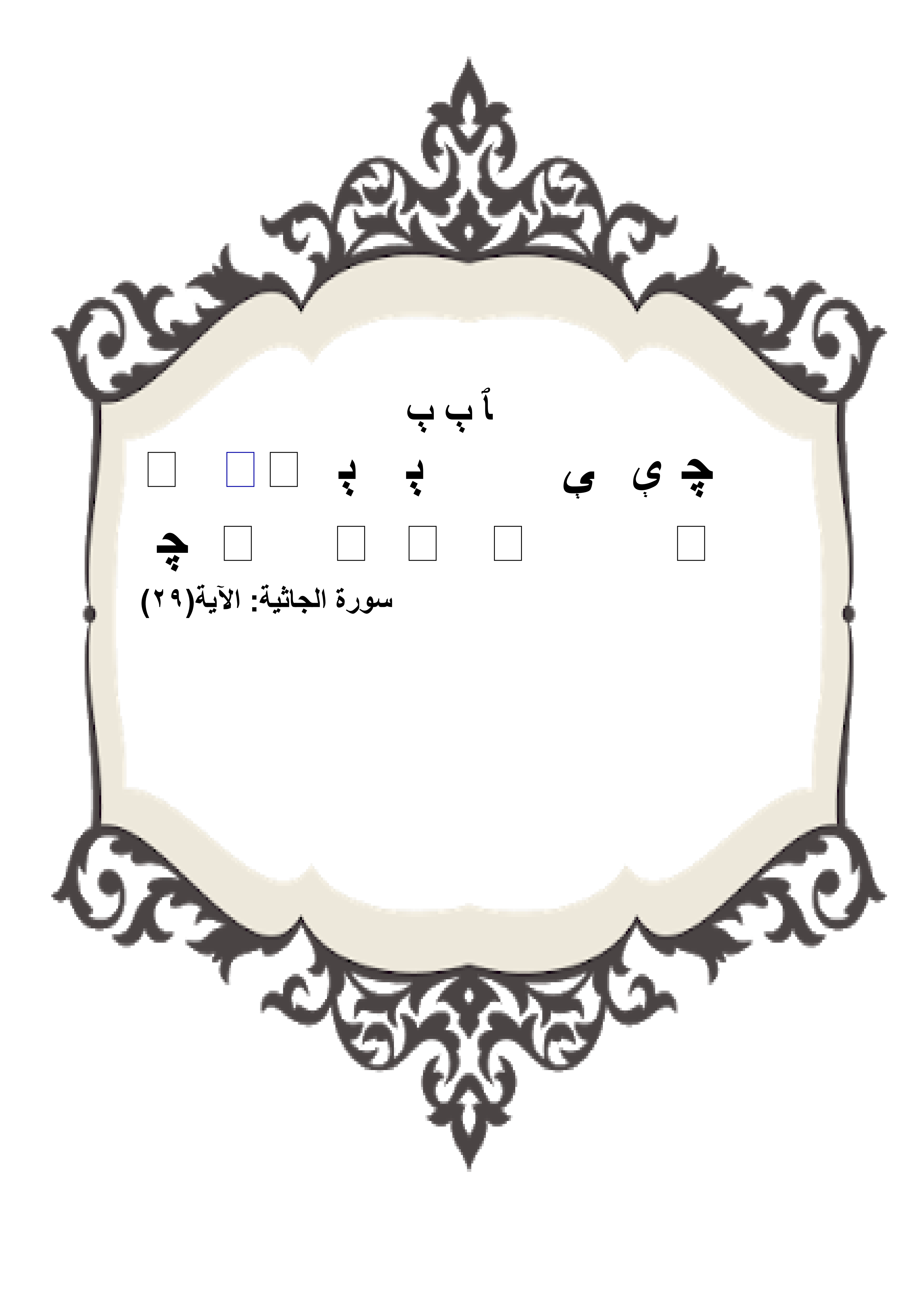
ابتهال جاسم محمد

بإشراف

أ.م. د. **إبراهيم عبد السلام الكبيسي**

1441هـ

2019م



ﭑ ﭒ ﭓ

ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ

سورة الجاثية: الآية(٢٩)



الاهـــــــــــــــــــداء

- إلى من جعله الله هداية للعالمين نبي الرحمة محمد بن عبد الله(ﷺ) توقيراً وتكريماً.
- إلى والدي العزيز أطال الله بعمره ورزقه الصحة والعافية.
- من كانت كل الحياة والنور الذي لا ينطفئ أبداً إلى روح أمي الغالية تغمدها الله برحمته الواسعة حباً وعرفاناً أسكنها الله فسيح جناته.
- إلى أخي الشهيد (عمار) أسكنه الله فسيح جناته.
- إلى من علمني حرفاً... وأسدى لي النصح والإرشاد (أساتذتي الأعزاء) احتراماً وتبجيلاً.
- إلى من كان لي عوناً وصاحب الدرب الطويل (زوجي) رزقه الله الصحة والعافية.
- وإلى قرة العين وزينة الحياة (أولادي).

أهدي إليهم ثمرة عملي هذا راجية من الله القبول اللهم آمين.

الباحثـــة

شكـــر وعرفان

بعد أن مَنَّ الله (تعالى) عليّ بإنهاء هذه الأطروحة، فإني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان، متوجهة لله (سبحانه وتعالى) أن يجزي كل من كان لي عوناً في إنجازها ، لاسيما أستاذي الفاضل الدكتور (إبراهيم عبد السلام الكبيسي)، الذي تفضل بالإشراف والتوجيه في هذه الأطروحة، سائلة الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين مع طول العمر وصالح العمل... اللهم أمين.

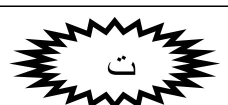
وأدعو ممتنةً غاية الامتنان والشكر لأستاذي الجليل فضيلة الدكتور (حازم عدنان أحمد) الذي لم يبخل عليّ بوقته وتوجيهاته العلمية، فكان لي خير مرشد في أصعب الظروف فجزاه الله عني خير الجزاء... اللهم آمين.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى رئيس قسم العقيدة والفكر الإسلامي الدكتور (ياسين خضير مجبل)، والشكر موصول لأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، الذين منحوني شرف الموافقة على مناقشة هذه الأطروحة، والوقوف على ما فيها من محاسن، وتدارك ما فيها من عيوب، بما انعم الله عليهم من خبرة طويلة، وممارسة في البحث العلمي، حتى تخرج هذه الأطروحة بصورة علمية (رصينة فجزاهم الله عنيّ وعن زملائي طلبة العلم خير الجزاء. فالشكر للجميع وجزاهم الله عني خير الجزاء، سائلة الله أن يوفقني لخدمة هذا الدين العظيم، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، فإن أصبت فذلك فضل من الله عليّ، وأن أخطأت فجل الله لا يخطأ، وأرجو أن يكون عملي خالصاً لله (سبحانه وتعالى).. ومن الله التوفيق.

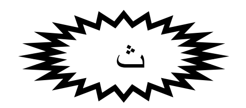
(الباحثة)

﴿المحتويات﴾

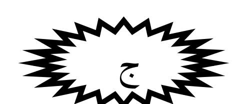
﴿المحتويات﴾



﴿المحتويات﴾



﴿المحتويات﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم اللهم عليهم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فاليهودية دين الله ومصدر هدايته، جاء بها نبي الله موسى (عليه السلام)، كما هو معلوم للجميع داعياً فيها إلى توحيد الله، وعدم الإشراك به، ولكن اليهود بحثوا في عقائدهم بعقولهم فضلوا وأضلوا وانحرفوا عن الطريق المستقيم، والسبب في ذلك لم يعتمدوا في كلامهم على وحي الله السليم، فقد حرفوا كتابهم واستبدلوا نصوصهم وغيروا عقائدهم حسب ما تشتهيه نفوسهم وترتضيه أهوائهم، فكان نتاج ذلك إنحراف واضح في عقائدهم، وإذا انحرفت العقائد انحرفت العبادات والعادات، فضلاً عن انحراف السلوك؛ لأن السلوك الاجتماعي للإنسان ما هو إلا مرآة عاكسة للعقائد التي يحملها، ومن هنا كانت عناية الأديان السماوية الصحيحة موجهة إلى تحرير أمر العقائد، وتحديد الصورة الصحيحة لها التي يتوجب على الإنسان الالتزام ليستقر قانون الحياة، فلا يمكن لهذا القانون أن يستقر إلا أن تستقر حقيقة تلك العقائد، وتتبين خصائصها واختصاصاتها، فالعقائد الصحيحة لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الأنبياء والرسل،

فالأصول الإيمانية واحدة في جميع الأديان السماوية، والدليل على ذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭼ
ﭼ ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﭽ ﭽ ﮀ ﮀ ﮁ ﮁ ﮂ ﮂ ﮃ ﮃ ﮄ ﮄ ﮅ ﮅ ﮆ ﮆ ﮇ ﮇ ﮈﭼ[1].

هذا وقد أثرى شيخنا الفاضل(محمد سيد طنطاوي)، المكتبة الإسلامية بمصنفات متنوعة كانت لها الأثر الواضح على الساحة الفكرية، ناذراً نفسه في وعظ الناس متنقلاً بين أورقة البلاد مدافعاً عن الإسلام، فكان منارة عظيمة في العلوم الشرعية وفنونها، من تفسير وفقه وعقيدة ولغة وغيرها...، حتى كاد شيخنا الفاضل لا يترك علماً إلا وأخذ منه وأفاد فيه.

وقد كتبت رسائل جامعية كثيرة عن هذا العالم الجليل، فبعضها كتب عن منهجه في تفسيره، والبعض الآخر كتب عن جهوده في التفسير، وبعضها عن ترجيحاته في تفسيره، فضلاً عن جهوده الواضحة في علوم القرآن كافة، ولكني لم أجد من كتب عن جهوده ومنهجه في الرد على اليهود، ولمّا كان مطلوباً منّي أن أكتب أطروحة، تكون جزءاً من متطلبات نيل درجة الدكتوراه، لذا فقد بحثت عن موضوع فيه خدمة للعلوم الشرعية، فاخترت أن يكون في علم الأديان، وذلك لأهمية هذا العلم وشرفه وفائدته في الرد على الشبهات، فضلاً عن إحقاق الحق وبيان التحريف الذي طال كل من كتب اليهود، ولمّا لم أجد من كتب عن ردود الشيخ الطنطاوي على عقائد اليهود، اخترت أن أكتب في هذا الموضوع المهم، معتمدة في ذلك على (تفسير الوسيط للقرآن الكريم) الذي يعتبر من أشهر وأهم مؤلفاته على الإطلاق، لذا اعتمدته في أطروحتي، هذا وقد وجدت لشيخي الفاضل ردود على اليهود، وذلك بأطروحته للدكتوراه، التي كانت بعنوان (بنو إسرائيل في القرآن والسنة)، فقد اعتمدتها كثيراً، ولكن عمدتي في نهاية المطاف تفسيره هذا، ولابد من الإشارة هنا إلى ان هذه الأطروحة لم تكن موجهة للمجتمع المسلم فقط، بل وغير المسلم أيضاً، لأن اليهود يستهدفون كل من يعارض نصوصهم، فبينت ما فعله

---

[1] سورة الشورى : من الآية (13) .

اليهود في تحريف النصوص، فعاثوا في الأرض فساداً وتخريباً، معبدين بتلك النصوص طرق الانحراف والفساد الفكري والاجتماعي.

أهمية الموضوع:

1. القراءة في تفسير الوسيط، يغني عن قراءة الكثير من التفاسير، والسبب في ذلك راجع إلى شخص مفسره، فقد جمع أقوال كبار العلماء مع ترجيح أصوب الأقوال، وغالباً ما يكون موفقاً في ذلك.

2. وقوف المسلمين على النصوص المحرفة في التوراة، فضلاً عن معرفتهم لعقائد اليهود، ولاسيما إن اليهود مناصبين العداء الدائم للإسلام والمسلمين.

3. دراسة النصوص المحرفة في التوراة ودحضها في ضوء القرآن الكريم، يعد أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله (تعالى)، ولكن في إطار واسع وشامل.

4. بيان الأثر الكبير الذي فعله التحريف في عقائد اليهود على اليهود أنفسهم.

5. بيان التحريف الذي طال كتب اليهود ولاسيما التوراة.

أسباب اختيار الموضوع:

1. لم أجد من خلال بحثي، أي باحث في الدراسة الأكاديمية، للآثار العلمية للشيخ الطنطاوي، فيما يتعلق بالرد على عقائد اليهود من خلال التفسير، وتم بعون الله (تعالى) أن يكون للباحثة الشرف ذلك.

2. إثارة الشبهات الكثيرة حول الشريعة الإسلامية العظيمة.

3. احتدام الصراع اليوم بين الإسلام وأعدائه، فلا يجتمع أهل الضلالة إلا على بغض الإسلام وأهله، فدراسة عقائدهم، والوقوف عليها، تجعلنا أكثره قوة في الدفاع عن الإسلام ودرء الشبهات عنه.

4. رجائي، أن يقف على هذه الدراسة غير المسلمين، لعلهم يهتدون إلى الحقيقة التي غيبت عنهم بسبب تحريف نصوصهم فيهتدوا وذلك الفوز العظيم.

صعوبات البحث:

1. البحث في تفسير الوسيط، ليس بالأمر السهل على الباحثة، فهو تفسير كبير ورصين واحتاج إلى جهد ووقت كثير.

2. التتبع والبحث في نصوص التوراة واختلافها كان من الأمور العسيرة، والسبب يرجع في ذلك إلى كثرة الطبعات للتوراة مع اختلاف أصولها.

3. ليس بالأمر السهل أن تبحث في عقائد اليهود ولاسيما أنَّ اليهود أمة تخالفنا في كل شيء.

4. مراجعة الباحثة لأقوال العلماء التي ذكرها الشيخ طنطاوي، كان ليس بالأمر اليسير، فقد احتاج إلى وقت كثير.

5. راجعت الباحثة كل معاني الكلمات التي ذكرها الشيخ مع عزوها إلى معاجمها، ولاسيما أن الشيخ لم يذكر المعاجم التي أُخذت منها معاني الكلمات، وكان بالأمر الصعب.

الدراسات السابقة:

بعد استقرائي لدراسات عدة، وسؤالي أهل العلم والاستفسار منهم، وبعد الوقوف على فهارس مكتبات الجامعات والكليات المتخصصة، علمتُ أنَّ هذا البحث لا يوجد ضمن قاعدة المعلومات المتوفرة، وظهر لي أنه لا توجد أطروحة بهذا العنوان، إلا أنني وجدت بعض الدراسات في هذا التفسير، متناثرة هنا وهناك، ولا يخفى ان الدراسات يكمل بعضها البعض الآخر، وقد أفدتُ منها بلا شك، ومن هذه الدراسات.

1. دراسة بعنوان: (منهج محمد سيد طنطاوي في كتابه التفسير الوسيط للقرآن الكريم) للباحثة سارية بنت حاج يحيى، تحدثت فيها عن مصادر طنطاوي في تفسيره وعن منهجه في كل منها، وختمت بالحديث عن القيمة العلمية للتفسير الوسيط، وقد اطلعنا على حديثها، فإنها لم تتناول ردود الشيخ طنطاوي على عقائد اليهود من خلال تفسيره، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة في كونها تعرض ردود الشيخ طنطاوي على عقائد اليهود الباطلة في تفسير الوسيط الذي لم يكتب فيه أحد فيما نعلم.

2. دراسة بعنوان: الدكتور محمد سيد طنطاوي وترجيحاته في التفسير الوسيط للقرآن الكريم دراسة عن تفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة، أحمد نجيب بن عبد الله، تكلم فيها الباحث عن ترجيحاته واختيارات الشيخ في كثير من المسائل التي لها علاقة بتفسير آيات الله، وهذا بعيد عن موضوع الدراسة هنا.

3. دراسة بعنوان: منهج سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية من خلال تفسير الوسيط، سورة الأنفال أنموذجاً (دراسة تحليلية نقدية مقارنة) للباحث لينا عبد الكريم الغويري، تحدثت فيها عن منهجية محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وذلك من خلال تفسيره (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، وقد عرضت لسورة الأنفال

أنموذجاً على ذلك، واحتوت الدراسة التعريف بالتفسير الوسيط والمفسر محمد طنطاوي، والتعريف بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ثم بيان ملامح منهجية المفسر في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من خلال تفسيره لسورة الأنفال في تفسير الوسيط، وبهذا لم تتناول الباحثة ردود الشيخ على عقائد اليهود من خلال تفسير الوسيط، وبهذا أكون أول باحثة في ردود الشيخ طنطاوي على عقائد اليهود، فلله الحمد والشكر الكثير في نيلي مثل هذا الشرف الكريم.

منهج الباحثة في الأطروحة

تتبعت الباحثة في هذه الأطروحة، تأصيل المسائل، معتمدة في ذلك على نصوص التوراة، وما جاء بدحضها في ضوء القرآن الكريم أولاً: ثم استخرجت ردود للشيخ الطنطاوي متتبعة بذلك تفسيره (الوسيط للقرآن الكريم)، ثانياً: ثم اتبعتها بأقوال العلماء الذي سبقوه إن وجدت، ثالثاً: واتبعت الباحثة منهجها أيضاً ما يلي:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مضانها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

2. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، ثم أذكر الجزء والصفحة.

3. أخذ النصوص من مصادر اليهود ثم عزوها إلى مضانها، وذلك بذكر اسم السفر، مع ذكر رقم الإصحاح والفقرة، وسأورد ذلك في الهامش دون المتن.

4. بيان المصطلحات الغريبة في الهامش من كتب اللغة والمعاجم والموسوعات.

5. ترجمة لبعض الأعلام الذين ذكروا في الدراسة، وبشكل موجز، ولم يترجم للبعض الآخر كونهم معرفّين في كثير من البحوث، ولعدم الإكثار من الهوامش وإشغال القارئ عن المتن، واستعضت بذكرهم في ترجمة بطاقة الكتاب الخاص بهم.

6. تعريف موجز لبعض الفرق والطوائف والبلدان.

خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، مقسمة إلى مباحث ومطالب، حسب ما تقتضيه الحاجة، وخاتمة.

المقدمة: تحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة ومنهج البحث في الأطروحة، ومن ثم خطة البحث.

أما المبحث التمهيدي: فقد جعلته موجزاً لتعريف مفردات عنوان الأطروحة، وقد تضمن ثلاثة مطالب:

فالمطلب الأول: تناولت فيه التعريف باليهودية مع أشهر أسماء اليهود،

والمطلب الثاني: تناولت فيه التعريف بالشيخ محمد سيد طنطاوي،

والمطلب الثالث: تناولت فيه التعريف بتفسير الوسيط للقرآن الكريم ومنهج المفسر فيه.

وكان الفصل الأول بعنوان: (مفهوم الألوهية في الديانة اليهودية وموقف سيد طنطاوي منه)، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: توصيفات الإله في الديانة اليهودية ورد سيد طنطاوي عليها.

والمبحث الثاني: كان بعنوان (عبادات اليهود والرد عليهم).

والمبحث الثالث: مفهوم الملائكة عند اليهود وموقف سيد طنطاوي منه،

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: (مفهوم النبوة وصورة الأنبياء في المنظور اليهودي وموقف سيد طنطاوي منه) في ثلاثة مباحث:

الأول: مفهوم النبوة والرسالة عند اليهود والمسلمين وموقف سيد طنطاوي منه.

والمبحث الثاني: صورة أنبياء الله (عليهم السلام) في المنظور التوراتي والرد عليهم،

والمبحث الثالث: تكذيب اليهود أنبياء الله (عليهم السلام)، والاعتداء عليهم بالقتل وموقف سيد طنطاوي من ذلك،

أما الفصل الثالث جاء بعنوان: (مفهوم اليوم الآخر عند اليهود وموقف سيد طنطاوي منه)، وقد كان في ثلاثة مباحث:

الأول: مفهوم اليوم الآخر من خلال كتب اليهود،

والثاني: مزاعم اليهود في اليوم الآخر من خلال القرآن الكريم وموقف سيد طنطاوي منه،

والثالث: مفهوم اليوم الآخر عند اليهود كما جاء في القرآن الكريم، وموقف سيد طنطاوي منه.

وانتهت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع، وملخص البحث باللغة الإنكليزية.

وانتهت الدراسة بهذه الهيئة، فمن كان مني صواباً فهذا توفيق من الله وحده لا شريك له، وإن كان من خطأ، أو سهو، أو نقص، فمني ومن الشيطان، وأخيراً نحمد الله (تعالى) على فضله ومنّه وكرمه، وصل اللهم على نبينا وشفيعنا وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

المبحث التمهيدي

التعريف بمفردات عنوان الاطروحة

المطلب الأول: التعريف باليهودية وأشهر أسماء اليهود.

اليهودية لغةً:

مأخوذة من نسبتها إلى اليهود، واليهود من الأسماء المشهورة، وقد اختلف في اشتقاق هذه الكلمة على وجوه هي:

أحدهما: إنما سُمّوا بذلك، لأنهم تابوا من عبادة العجل وقالوا: چ ٻ ٻ پچ[1]، أي: تبنا ورجعنا، وهو عن ابن عباس، وذلك لأن الهود في اللغة تعني التوبة، وهي من هاد يهود وتهوّد، أي: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد[2]، والتهوّد يأتي بمعنى التوبة والعمل الصالح، وقالوا: (اليهود)، فادخلوا الألف واللام فيها على أداة النسب يريدون (اليهوديين)، ومنه قوله تعالى: چۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ېچ[3]، معناه دخلوا في اليهودية، وأرادوا باليهود، اليهوديين ولكنهم حذفوا ياء الإضافة[4].

ثانيهما: سُمّوا بذلك نسبة إلى (يهوذا)، وهو الابن الرابع ليعقوب (عليه السلام)[5].

ثالثهما: سُمّوا بذلك لأنهم يتهوّدون، أي يتحركون عند القراءة[6].

---

(1) سورة الأعراف : من الآية (156) .

(2) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت711هـ)، الناشر: دار صادر ـ بيروت، ط3، 1414هـ : 155/15 ـ 156 .

(3) سورة الأنعام : من الآية (146) .

(4) لسان العرب، ابن منظور : 155/15 .

(5) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي (ت2010م)، دار الشروق الأولى ـ القاهرة، ط2 (1420هـ ـ 2000م)

(6) المصدر نفسه : 13 .

اليهودية اصطلاحاً:

وهي الملة التي يدين بها اليهود، وهم أمة موسى (عليه السلام)، فضلاً عن إنها الديانة المنزلة من الله تعالى على نبيه موسى (عليه السلام)، وكتابها التوراة، وهي الآن ديانة باطلة؛ لأن اليهود حرفوها من جهة، كما إنها نسخت بالإسلام من جهة أخرى[1]، واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وقد تكون نسبة إلى (يهوذا) وهو ابن يعقوب (عليه السلام)، الذي ينتمي إليه بني إسرائيل الذي بعث فيهم موسى (عليه السلام)، فقلبت الذال دالاً، وعممت هذه التسمية على الشعب على سبيل التغليب[2].

هذا ولابد من الإشارة إلى إن اليهودية ديانة سماوية صحيحة جاءت بالتوحيد الخالص على يد نبي الله موسى (عليه السلام)، لكن القوم قد بحثوا في عقائدهم بعقولهم وانحرفوا عن الطريق المستقيم، والسبب راجع في أنهم لم يعتمدوا في كلامهم على وحي الله السليم، فقد حرفوا التوراة وبدلوا فيها حسب هواهم[3]، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ[4]، هذا

هذا وتعتبر اليهودية أقدم الديانات الحية الكبرى، ولابد أن يعطيها هذا القدم ـ وحده ـ أهمية كافية توازن ضآلة عدد معتنقيها إذا قورنت بالمسيحية والإسلام، لكن الأهمية التاريخية لليهودية ارتبطت في حقيقة الأمر ـ بطريقة ما ـ بكونها منبع الديانتين (المسيحية والإسلام)[5].

والإسلام)[5].

---

[1] ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1 (1413هـ ـ 1992م) : 18 .

[2] ينظر: أطلس الأديان، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، مكتبة العبيكان، ط1 (1428هـ ـ 2007م) : 29.

[3] العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد محمد عيسى، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد (2)، العدد (68)، 2007م : 342.

[4] سورة البقرة : الآية (79) .

[5] موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات السماوية، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، ط1، 2010م : 39 .

وبذلك تكون اليهودية أول رسالة سماوية كبرى سبقت المسيحية والإسلام، وذلك حسب قول الإنجيل والقرآن[1]، هذا ولابد من الإشارة بمكان على الاختلاف الجوهري بين رسالة موسى (عليه السلام) وبين اليهودية التي يتبعها اليهود، والتي يتخذون منها أساساً للترابط في قيام دولة إسرائيل المعاصرة، وذلك بقوله تعالى في وصف رسالة نبيه موسى (عليه السلام): چ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫچ[2]، فقد وصف كتاب موسى بأنه كان قبل القرآن شاهداً عليه ومؤيداً لما جاء به، وهو لذلك إمام ورحمة للناس جميعاً[3]، بينما يقول القرآن الكريم في وصف اليهودية بين بني إسرائيل: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہچ[4]، ثم يقول الله (عز وجل): چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸچ[5].

وبهذا نجد أن القرآن الكريم لا يقبل اليهودية ومن على شاكلتها كدين لهداية البشرية، وإنما دين الله هو مصدر هدايته، وهو (ڀ ڀ ڀ)، وبهذا تكون اليهودية ومن على شاكلتها دين فريق معين من البشر، وليست الدين الذي هو للناس جميعاً، وهو وحده الذي يقبل عند الله، وهو الدين الذي جاء به الرسل جميعاً[6].

ثانياً: أشهر أسماء اليهود.

(1) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع : 72 .

(2) سورة هود : من الآية (17) .

(3) ينظر: الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً للوجه، معالم النصر على اليهود، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، (1413هـ - 1992م) : 110.

(4) سورة البقرة : الآيات (135 - 138) .

(5) سورة البقرة : الآية (140) .

(6) ينظر: الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً لوجه، معالم النصر عند اليهود، سعد المرصفي : 111.

من أشهر أسماء اليهود: العبريون، وبني إسرائيل، واليهود، ويقال إن هذه الأسماء كلها جاءت بمعنى واحد عند كثير من الناس، ويطلقون على هذا الجنس الذي اشتهر اسم اليهود[1].

وقد اختلفت الآراء في سبب تسميتهم بالعبريين أو العبرانيين:

1. فقيل: إنهم سموا بالعبريين نسبة إلى إبراهيم نفسه، فقد ذُكر في سفر التكوين باسم (إبراهيم العبراني)، لأنه عبر الفرات وأنهار أخرى.

2. وقيل: إنهم سموا بالعبرانيين نسبة إلى (عبرْ) وهو الجد الخامس لإبراهيم (عليه السلام)[2].

3. وقيل: إنهم سموا بذلك نسبة إلى فعل العبور والتنقل، يقول صاحب كتاب (مفصل العرب واليهود في التاريخ) : " وقد ظلت هذه التسمية، أي تسمية عبري وعبراني تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية"[3].

4. وقد خالف الدكتور إسرائيل ولفنسون[4] الرأيين السابقين، وأبدى رأياً في سبب هذه التسمية، فقال:" إن كلمة عبْرى ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى: قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي أو النهر من عَبْره، أو عبر السبيل: شقها وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية، وهي في مجملها

---

(1) الرسول (ﷺ) وجهاً لوجه، أسطورة الوطن اليهودي، سعد مرصفي : 37 .

(2) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 9 .

(3) مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسه، دار الحرية للطباعة والنشر، ط5، 1981م : 505.

(4) الدكتور إسرائيل ولفنسون، كان مدرساً للغات سامية بكلية دار العلوم، ثم هاجر إلى فلسطين، ومات بها بها قيل أن تقوم دولة إسرائيل، ينظر: اليهودية والصهيونية، أحمد عبد الغفور العطار، دار الأندلس، ط1 (1391هـ - 1972م) : 4.

تدل على التحول والتنقل، الذي هو من أَخص ما يتصف به سكان الصحراء، وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي: ساكن الصحراء أو البادية، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين، لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط"[1]، ومن كلام الدكتور ولفنسون يستخلص الشيخ طنطاوي ما يأتي: أنه يرى أن تسمية بني إسرائيل بالعبريين ليس سببها حادثة بعينها، أو شخصاً بعينه، وإنما سببها معيشتهم في الصحراء، وعبورهم للرعي، والبحث عن وسائل العيش من مكان إلى آخر[2]، هذا " وقد رجح العلماء الثقات، ومنهم العالمان السريانيان ابن الصليبي المتوفي سنة (1171م)، وابن العبري المتوفي سنة (1286م) الرأي الأول، وهو: أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم (عليه السلام) نهر الفرات، وأيد ابن العبري قوله بالترجمة اليونانية (أكوبلا) التي تترجم العبراني بـ(المجتاز) أو العابر، وقد أخذ بهذا الرأي الدكتور ليفن فقال:" إنه مشتق من فعل معناه عبور النهر، وفي هذا إشارة إلى عبور إبراهيم نهر الفرات، وفي هذه الحالة يمكن أن تترجم الكلمة إلى (مهاجر)، وهذه قد تظهر طريقة الكنعانيين في التحدث عن إبراهيم، ومما يؤكد هذا الرأي ما جاء في سفر يشوع:" هكذا قال الرب إله إسرائيل في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر، وسيرته في جميع أرض كنعان"[3] [4]، ثم تابع الأب (ساكا) كلامه فقال:" وإضافة إلى ذلك نقول: إن هذه اللفظة لم تظهر إلا بعد اجتياز إبراهيم نهر الفرات"، وهذا فضلاً عن

---

[1] بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 10، نقلاً عن تاريخ اللغات السامية، الدكتور إسرائيل ولفنسون : 77 .

[2] المصدر نفسه: 10 .

[3] سفر يشوع : 24/ 2.

[4] بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 10، نقلاً عن بحث للأب (إسحاق ساكا) كان بعنوان (معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى، الذي رجح فيه الرأي الأول الذي نشر في مجلة العربي الكويتية، العدد 91، في حزيران 1966م : 151 .

أن الأخذ بهذا الرأي أقرب إلى الصحة من الرأيين الآخرين، كيف لا وهو رأي معظم العلماء وفحولهم؟

وأما الرأي الثاني فالأخذ به صعب، وذلك:

أولاً: لأن بين إبراهيم الذي كان أول من وصف بهذه التسمية ـ وبين عابر أو عبر مدة ستة أجيال متوالية، فلو شاء إبراهيم أن ينسب إلى أحد أجداده لكان من البديهي أن يعزى إلى سام أشهر أجداده.

ثانياً: لو كانت النسبة إلى عابر فلِمَ لم ترد في الكتاب طيلة ستمائة سنة؟ ولم يسم بها إبراهيم قبل عبوره نهر الفرات وهو بعد في أرضه وعشيرته؟ وما الحكمة في نسبته إلى عابر دون غيره؟ ولم لم ينوه كاتب التوراة بذلك؟ هذا كله يحملنا على استبعاد هذا الرأي في الأذهان.

أما الرأي الثالث: وهو رأي الدكتور ولفنسون فلا يُركن إليه؛ لأنه لو كانت التسمية متأتية من الهجرة والتنقل لكانت معظم الأمم السامية نعتت بها، أليس الدكتور ولفنسون نفسه عند كلامه عن مهد الساميين الأصلي، والحركات عند أغلب الأمم السامية، كالبابليين، والآراميين، والإسرائيليين، والعرب يقول :" يلاحظ في مظاهر أغلب هذه الأمم أنها مظاهر تكاد تكون صحراوية، فعواطف هذه الأمم وخيالها واتجاه أفكارها مما يشعرنا بروح الصحراء"، فإذا كانت التسمية متأتية من التنقل وحياة البداوة كقوله فلمَ لم تدعُ بها كل الأمم السامية؟ ولم خصت بالإسرائيليين وقد كانوا ينفرون منها كما زعم هو نفسه؟ وإذا صح قول الدكتور ولفنسون:" أن العبرانيين كانوا ينفرون من هذه التسمية، وبعد أن استقروا وتحضروا استبدلوها بالإسرائيلي، فلماذا لم يستدلوا أيضاً اسم لغتهم العبرانية بالإسرائيلية؟ فرأيه إذاً لا يقوم على الدليل المقنع، وبالتالي يكون الرأي الأول هو المعقول، ويجب الأخذ به"[1].

---

[1] بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 11، نقلاً عن بحث (معنى التسميات للشعوب السامية، إسحاق ساكا) : 151.

وبعد هذا يرجح الشيخ طنطاوي الرأي الأول؛ لأنه كما قال: الأب إسحاق ساكا ـ هو رأي معظم العلماء وفحولهم[1].

2. بنو إسرائيل: سموا بذلك نسبة إلى أبيهم (إسرائيل) الذي هو نبي الله يعقوب (عليه السلام)، وإسرائيل هي كلمة عبرانية مركبة من (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة، ومن (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة عبد الله، أو صفوة الله[2].

هذا وقد كان أولاد يعقوب الذكور اثنى عشر ولداً، وذلك أنه أعقب من زوجته (ليئة) ستة أولاد وهم: رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساعر، زبولون، وأعقب من زوجته (راحيل) اثنين هما: يوسف ونيامين، وأعقب من (زلفا) جارية (ليئة) اثنين هما: جاد. أشبر، وأعقب من (بلها) جارية (راحيل) اثنين هما: دان ونفتالي، ومن أبناء يعقوب (عليه السلام) وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه[3].

3. اليهود: قيل إنهم سموا بذلك حينما تابوا عن عبادة العجل وقالوا:ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ[4]، أي: تبنا ورجعنا، وذلك لأن (الهود) في اللغة جاءت بمعنى التوبة، فيكون من هاد يهود هوداً، أي: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفي التنزيل العزيز:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼ[5]، أي: تبنا ورجعنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم، ويهود هو اسم للقبيلة، وقالوا (اليهود) فادخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين، وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﭼ[6]، معناه: دخلوا اليهودية، وهود الرجل: حوله إلى اليهودية، وهاد ويهود إذا صار يهودياً.

---

(1) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي: 11 .
(2) ينظر: المصدر نفسه : 12، وينظر: الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً لوجه، أسطورة الوطن اليهودي، سعد مرصفي : 37.
(3) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 12.
(4) سورة الأعراف : من الآية (156) .
(5) سورة الأعراف : من الآية (156) .
(6) سورة الأنعام : من الآية (146) .

قال سيبويه: وفي الحديث:" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه"[1]، معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية أو النصرانية ويدخلانه فيه[2].

2. وقيل إنهم سموا بذلك؛ لأنهم يتهودون، والتهود يعني إنهم يتحركون عند قراءة التوراة.

3. وقيل إنهم سموا بذلك نسبة إلى (يهوذا) وهو الابن الرابع ليعقوب (عليه السلام).

يقول الشيخ طنطاوي: قد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصروا عليه، فقد قال البيروني مؤيداً هذا القول:" وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمية دالاً مهملة، لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها"[3].

يقول صاحب كتاب (العرب قبل الإسلام):" ولفظة يهود أعم من لفظة عبرانيين وبني إسرائيل، وذلك أن لفظة يهود تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممن دخل في دين اليهود وهو ليس منهم، وقد أطلق الإسرائيليون وأهل يهوذا لفظة يهود على أنفسهم وعلى كل من دخل ديانتهم، تميزاً لهم عن غيرهم ممن لم يكن على هذا الدين، وهم الغرباء"[4].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث: 4809 .
[2] لسان العرب، ابن منظور : 15/ 439 .
[3] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن، طنطاوي : 13، نقلاً عن تاريخ الملل والنحل، أمين الخولي : 4/2 .
[4] تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، المجمع العلمي العراقي : 95/6 .

المطلب الثاني: التعريف بالشيخ محمد سيد طنطاوي.

أولاً: اسمه ولادته ونشأته وطلبه للعلم.

هو محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر الراحل، ولد بقرية سُليم الشرقية ـ مركز طمّا ـ محافظة سوهاج في 14 من جمادي الأولى لعام 1347م، الموافق 28 من أكتوبر سنة 1928م، تلقى تعليمه الأساسي بقريته، وبعد حفظه للقرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة 1944، وبعد الانتهاء من دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين، ثم تخرج منها، وكان ذلك في سنة 1958م[1].

وفي عام 1960م عين إماماً بالأوقاف المصرية فظل ثماني سنوات يعمل بالإمامة متنقلاً من مسجد إلى آخر، يعظ الناس ويدافع عن قضايا الأمة الإسلامية، وكان طنطاوي في ذات الوقت طالباً للدراسات العليا بكلية أصول الدين، فحصل على شهادة الدكتوراه عن عمر 38عاماً في التفسير والحديث بتقدير ممتاز سنة 1966م، مقدماً لجامعة الأزهر رسالته التي كانت بعنوان: (بنو إسرائيل في القرآن والسنة)، التي تركت بصمة رائعة على الساحة الفكرية، فرسمت صورة نموذجية للرسائل التالية، وتحدثت عنها الكتب فيما بعد إلى حد الإشباع، وتم طبع الرسالة في سنة 1969م، ثم انتقل الشيخ بعد حصوله على الدكتوراه، للعمل بالجامعة ليكون مدرساً في كلية أصول الدين، وكان هذا في سنة 1968م، ثم تدرج ليصل إلى منصب عميداً لكلية أصول الدين بمدينة أسيوط سنة 1976م، ثم شغل طنطاوي منصب مفتياً للديار المصرية في سنة 1986م، وظل مفتياً فيها لعشر سنوات على التوالي ليتولى بعدها مشيخة الأزهر الشريف سنة 1996م بعد أن أصدر ما يقارب 7557 فتوى مسجلة في دار الإفتاء المصرية[2].

---

[1] ينظر: منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية من خلال تفسير الوسيط، سورة الأنفال أنموذجاً (دراسة تحليلية نقدية مقارنة، لينة عبد الكريم الغويري، بإشراف: جهاد محمد فيصل ـ الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، 2015م : 5 - 6 .

[2] ينظر: محمد سيد طنطاوي وترجيحاته في تفسير الوسيط للقرآن الكريم، دراسة عن تفسير لسورتي الفاتحة والبقرة، الدكتور أحمد نجيب عبد الله، مجلة النور، الدراسات العليا، جامعة جلا الإسلامية، وينظر: طنطاوي مثال للعالم الزاهد المدافع عن الإسلام، عمرو أبو الفضل وأحمد شعبان، جريدة الاتحاد ، 2010: 1.

هذا، وقد أُعير الشيخ طنطاوي خلال عمله بجامعة الأزهر إلى الجامعة الإسلامية بليبيا، وكان ذلك في سنة 1972م إلى سنة 1976م، ثم انتقل ليكون رئيساً لقسم التفسير بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1980م إلى سنة 1984م[1].

وفي السنوات الأخيرة أُخذ عليه، وذلك بسبب مواقفه السياسية التي اعتبرها البعض غير موفقة بالإضافة إلى تجنيده للفتاوي بما يلائم ويوالي النظام الحاكم في مصر آنذاك، فتلقى طنطاوي بسبب ذلك هجمة شرسة من الردود والكتب والمقالات التي ترد عليه وتنتقد رأيه، لا وبل تطالبه بالاعتذار والتنحي عن المنصب، بل قام بعضهم بعرض ما يفضح مواقفه مع اليهود ونظام الحكم، ومنهم من اشتد في هجمته وأخرجه عن الملة، وأياً كانت تلك الردود والدعوات والمقولات والصور والمواقف والفتاوي التي لا نعلم مدى صحتها، فأن الدراسة هنا تعني بالجانب العلمي لدى الشيخ طنطاوي بغض النظر عن شخصه وحياته الخاصة وطبيعة علاقته بالناس فليس ميدانها هنا ولسنا في معرض الدفاع عن الشيخ أو الرد عليه[2].

توفي الإمام الراحل محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر صباح يوم الأربعاء في 24 ربيع الأول 1431هـ الموافق 10 مارس 2010م، في الرياض عن عمر ناهز 81 عاماً، أثر نوبة قلبية تعرض لها في مطار الملك خالد الدولي في العاصمة السعودية، عند عودته من مؤتمر دولي عقده الملك عبد الله بن عبد العزيز لمنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للفائزين بها عام 2010م، وقد صلى عليه صلاة العشاء في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وبناءً على رغبته ووصيته لأولاده، دفن الإمام بالبقيع بجوار صحابة رسول الله (ﷺ)[3].

---

[1] ينظر: بحث في ذكرى وفاته أبرز المعلومات عن الشيخ محمد سيد طنطاوي، جريدة الدستور ـ القاهرة، الاثنين 16 إبريل 2008م : 1 .

[2] ينظر: منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية، لينة عبد الكريم الغويري : 6، وينظر: محمد سيد طنطاوي، الجزيرة نت، الثلاثاء، 1436/7/3هـ الموافق 2015/4/21م : 1.
http:www.ahjazeera. net

[3] ينظر: مقالة الإمام الأكبر، محمد سيد طنطاوي من بني سليم إلى المدينة المنورة، جرجس بشرى، http:www.copts.united.com.1 : 2010/6/12

ثانياً: شيوخه.

تتلمذ الشيخ محمد سيد طنطاوي على يد الكثير من المشايخ في جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، وكان من أبرز أولئك الشيوخ هم:

1. محمد خضر حسين، ولد بتونس في 29 رجب 1293هـ ـ 1876م، ينحدر من أصول جزائرية، تولى مشيخة الأزهر من سنة 1952ـ 1954، التقى بالشيخ طنطاوي في كلية أصول الدين.

2. عبد الرحمن تاج: ولد في أسيوط عام 1314هـ ـ 1986م، تولى مشيخة الأزهر سنة 1954م، ت(1395هـ ـ 1975م)، التقى بالشيخ طنطاوي في كلية أصول الدين.

3. محمود شلتوت: ولد في منية بني منصور بمحافظة البحيرة، وهو أول من حمل لقب الإمام الأكبر، (ت27رجب 1383هـ ـ 1963م)، التقى بالشيخ طنطاوي في كلية أصول الدين.

4. حسن مأمون: ولد في 9ذي الحجة 1311هـ ـ 1894م بحي الخليفة بالقاهرة، التقى بالشيخ طنطاوي في كلية أصول الدين.

5. محمد الفحام، ولد بالإسكندرية في عام 1312هـ ـ 1894م، عُين شيخاً بالأزهر عام 1389هـ ـ 1969م، التقى بالشيخ طنطاوي في كلية أصول الدين.

ثالثاً: مؤلفاته.

أثرى الشيخ محمد سيد طنطاوي، المكتبة الإسلامية بعدد من مؤلفاته الرائعة التي كان لها الدور البارز في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية المعاصرة ومن أهمها:

1. بنو إسرائيل في القرآن والسنة: وكانت هذه أطروحته في الدكتوراه.

2. التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

3. معاملات البنوك وأحكامها الشرعية.

4. جوامع الدعاء من القرآن والسنة.

5. السرايا الحربية في العهد النبوي.

6. القصة في القرآن الكريم.

7. أدب الحوار في الإسلام.

8. الاجتهاد في الأحكام الشرعية.

9. أحكام الحج والعمرة.

10. مباحث في علوم القرآن.

11. العقيدة والأخلاق.

وغيرها كثير، وجميع هذه المؤلفات مطبوعة وموجودة في المكتبات.

المطلب الثالث: التعريف بالتفسير الوسيط ومنهج المفسر فيه.

أولاً: قبل البدء بتعريف تفسير الوسيط، لابد من الإشارة إلى إن هنالك تفسيران حملا اسم الوسيط، أحدهما تفسير الوسيط، لعلي بن أحمد الواحدي، والآخر الوسيط للأستاذ وهبة الزحيلي، أما موضوع الدراسة هنا فهو يتناول التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي رحمهم الله جميعاً[1].

هذا: وأما التفسير الذي أطلق عليه مؤلفه (الوسيط) يمتاز بكونه وسيطاً، والوسيط هو ما بين الكبير والصغير إلا إن حجمه يدل دلالة واضحة عن خروج التفسير من صفة الوسيط إلى صفة الكبير، فهو يقع في خمسة عشر مجلداً كما هو واضح للجميع[2].

هذا، وقد قرر الشيخ الطنطاوي فترة توليه مشيخة الأزهر، أن يجعل تفسيره هذا كتاب منهجي لطلاب كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، وهي الكلية الرائدة في تدريس القرآن الكريم وعلومه، ولاسيما علم التفسير الذي يُدرس فيها دراسة واسعة شاملة، وبهذا تكون هذه الكلية لها الفضل والسبق في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ليس من ناحية فحسب، بل من كل النواحي التي تمت إلى الدراسات القرآنية بصلة[3].

وقد صنف تفسير الوسيط من قبيل التفاسير المنهجية التي عُدت لتدريس طلاب الجامعات الإسلامية، وقد صدرت منه عدة أجزاء في بداية الأمر، وكان هذا التفسير للشيخين، الشيخ أحمد السيد الكومي، رئيس قسم التفسير في كلية أصول الدين سابقاً، جامعة الأزهر، والشيخ محمد سيد طنطاوي الأستاذ المساعد آنذاك (رحمهما الله)، إلا أن التفسير صدر وبشكل كامل في خمسة عشر مجلداً من القطع المتوسط، للشيخ طنطاوي، ولم يكن هنالك أي ذكر لجهود الدكتور أحمد الكومي(رحمه الله) في هذا التفسير، وهذا ما يؤسف

---

[1] ينظر: منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية، لبنة عبد الكريم الغويري : 7.
[2] ينظر: الدكتور محمد سيد طنطاوي وترجيحاته، أحمد نجيب بن عبد الله : 5.
[3] ينظر: منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية، الغويري : 7.

وينكر له حقاً[1]، والقارئ لمقدمة تفسير الوسيط يجدها قد خلت ولو بإشارة بسيطة من ذكر الشيخ أحمد الكومي، ويظهر فيها ان الجهد كان شخصياً للشيخ طنطاوي، ولا ندري ما هو السبب الذي دفع الشيخ طنطاوي لهذا النكران، ولاسيما إنه كان من أخص وأقرب تلاميذ الشيخ أحمد الكومي، لذا كان أولى الناس اعترافاً بفضله عليه وبفضله على هذا التفسير[2].

وقد نقل هذا الكلام الذي لم يكن موجوداً إلا عند الدكتور فضل عباس (رحمه الله) الذي كان من أخص تلاميذ الشيخين الكومي والطنطاوي، من باب نقل الحقيقة وإثارتها، لعل جهود الباحثين فيما بعد تثبت صحة الكلام، ويعود الفضل لأهله، فكلهم شيوخنا وأساتذتنا ونجد فيهم هذا النبع الزاخر من المؤلفات العظيمة والعلوم، هذا ولابد من القول: إن تفسير الوسيط يغني عن قراءة الكثير من التفاسير، والسبب يرجع في ذلك إلى مفسره الذي اعتنى بجمع أقوال المفسرين، وخص منهم كبارهم وأجلتهم، جمعاً علمياً موفقاً، يدل على فهمه وذكائه ونباهته، ثم يرجح من هذه الأقوال ما يبدو له راجحاً مؤيداً ذلك بالقرآن الكريم والسنة وغالباً ما نجده موفقاً في الترجيح[3].

ثانياً: منهج الشيخ محمد سيد طنطاوي في تفسيره.

إن دراسة منهج أي مفسر يؤخذ عادةً من طريقين:

1. من مقدمة تفسيره، فغالباً ما يذكر المفسر في مقدمته المنهج الذي اتبعه في تفسيره والخطة التي اعتمد عليها، فضلاً عن غايته وأهدافه.

2. من العلماء والباحثين والدارسين الذين كتبوا عن التفسير ودرسوه، ولاسيما الرسائل العلمية المحكمة التي تعنى بهذه الجوانب[4].

---

[1] المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، دار النفائس ـ الأردن، ط1، 2007م : 488 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 7 .
[3] ينظر: منهج سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية، الغويري : 8.
[4] ينظر: المصدر نفسه : 8 .

هذا وقد بيّن الشيخ طنطاوي منهجه في مقدمة تفسيره، حيث ذكر أنه قد انتفع كثيراً بما كتبه الكاتبون عن كتاب الله (عز وجل) على اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم، مبيناً هدفه من تأليف تفسيره، ليكون تفسيراً علمياً محققاً محرراً من الأقوال الضعيفة والشبه الباطلة والمعاني السقيمة[1]، ولعل أهم ما سار عليه طنطاوي في منهجه ما يأتي:

1. بدء الشيخ في تفسيره غالباً بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً، ثم بين المراد منها إذا كان الأمر يقتضي ذلك.

2. ثم ذكر سبب نزول للآية أو للآيات، إذا وجد وكان مقبولاً.

3. ذكر المعنى الإجمالي للآية أو الجملة موضحاً ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة والبيان والعضات والآداب والأحكام، مدعماً ذلك بما يؤيد المعنى من آيات أخرى، ومن السنة النبوية الشريفة، ومن أقوال السلف الصالح.

4. تجنب التوسع في وجوه الأعراب واكتفى بالرأي أو الآراء الراجحة إذا تعددت الأقوال.

5. توخى فيما كتب إبراز ما أُشتمل عليه القرآن الكريم من هدايات جامعة وأحكام سامية وتشريعات جليلة، وآداب فاضلة، وعضات بليغة، وأخبار صادقة، وتوجيهات نافعة، وأساليب بليغة، وألفاظ فصيحة[2].

هذا، ولكي يكون المنهج ناجحاً مؤيداً للنتيجة التي أُنبطت به، موصلاً للغاية التي وضع من أجلها، لابد من توفر شروط معينة هي:

1. حسن العرض مع يُسر العبارة وسهولة الأسلوب.

2. شمول المادة وصحتها.

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ط1، 1997م : 9.

(2) المصدر نفسه : 10 .

3. عدم الاستطراد[1].

وهذه النواحي الثلاث نجدها متحققة في تفسير الوسيط، حيث نجد المفسر أن يبدأ بتفسير السورة، يمهد لها وذلك عن طريق ذكر اسم السورة، سبب نزولها، فضلها، المعنى الإجمالي لها، وذلك قبل البدء بتفسيرها، وهو بذلك حقق حُسن العرض مع سهولة الأسلوب، فضلاً عن شمول المادة وصحتها فهو كعادته يذكر أقوال كبار العلماء وأجلتهم، ثم يرجح ما يبدو له واضحاً مستنداً في ذلك على آيات أخرى، وأحاديث نبوية شريفة، وأقوال السلف الصالح، وهو بهذا حقق شمول المادة وصحتها مبتعداً في هذا وذاك عن الاستطراد، وهذا ما يبدو واضحاً في تفسيره[2].

ولابد من الإشارة هنا إلى عدة أمور لها صلة بمنهج الشيخ الطنطاوي:

1. نهج الشيخ نهج الإختصار في ذكر الأخبار والروايات مع إعراضه عن الروايات الإسرائيلية والأخبار المكذوبة.

2. جمع الشيخ بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي بشرط أن يكون مقبولاً.

3. ذكر الشيخ القراءات المتواترة والشاذة في تفسير بعض الآيات القرآنية.

4. خاض الشيخ بعض المسائل العقدية ودافع عن عقيدة أهل السنة وردّ على المعتزلة[3].

---

[1] ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل عباس : 490/1 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 10.
[3] محمد سيد طنطاوي وترجيحاته، أحمد نجيب بن عبد الله : 6 - 7.

الفصل الأول

مفهوم الألوهية في الديانة اليهودية وموقف سيد طنطاوي منه

مدخل:

اضطرب مفهوم الإله في الفكر اليهودي اضطراباً بالغاً، فبينما تتحدث بعض أسفار التوراة عن الإله بصفته (الله) الخالق المتفرد بالخلق والإحياء، تتحدث أسفاراً أخرى عن الله، بصفته (إلهاً) خاصاً ببني إسرائيل، وهذا ما يبدو واضحاً في قصة بدء الخلق في سفر التكوين الذي يُعد من أهم أسفار اليهود[1].

وإلى هذا المعنى يُشير عباس محمود العقاد[2] بقوله:" إن الوحدانية التي كان يدركها الإسرائيليون في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانية لتغليب لرب الأرباب على الأرباب، ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أَن لليهود إلهاً يعلو على آلهة غيرهم من البشر"[3].

وبسبب هذا الاضطراب نجد التحريف صفة ملازمة لليهود فهم قوم محرِّفون مدَّعون في كل شيء، ولا ينجو من افتراءاتهم وادّعاءاتهم مجال من مجالات الفكر والتصوّر والخلق والسلوك والتشريع والأحكام والعمل والحياة، حتى عقيدتهم التي زعموا أَنهم أخذوها من أَنبيائهم لم تسلم من هذا التحريف والافتراء والزعم والادَّعاء، ولهذا قد بدا الطابع اليهودي على كل شيء لهم، وبرزت لمسات اليهود المحرِّفة في دينهم وعقيدتهم، فكانت عقيدتهم نتاجاً يهودياً،

---

[1] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح، دار الصفا ـ القاهرة، ط2 (1410هـ ـ 1990م) : 251.

[2] عباس محمود العقاد (1307 ـ 1384هـ 1889 ـ 1964م)، أديب وسياسي وصحفي وشاعر مصري، وأحد أعلام الفكر الأدبي والفلسفي في القرن العشرين، ولد بمدينة أسوان، صنّف العقاد نحو (83) كتاباً منها: (الله، عبقرية محمد، عبقرية الصديق، عبقرية علي). ينظر: الموسوعة العربية العالمية : 185/38.

[3] إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، دار الهلال ـ القاهرة، ط1 : 361.

وليست ديناً ربانياً[1]، هذا وقد يعتقد اليهود إن دينهم وعقيدتهم خاصاً بهم وهو فضل لهم ومزية لا يجب أَنّ يناله الآخرون؟ وكأن هذه العقيدة مفصَّلة على مقاسهم، ومرتبة ومبوّبة لهم لتلّبي أهواءهم وطموحاتهم ورغباتهم، حتى الإله في نظرهم هو إله خاص ببني إسرائيل، لا يحب إلا سواهم، ولا ينزّل النعم إلا لهم، بل خلق هذا الكون من أَجلهم ولخدمتهم[2]؟!

---

[1] الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ، سمات، مصر، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم ـ دمشق، ط1 (1419هـ ـ 1998م) : 133.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 133 .

المبحث الأول

توصيفات الإله في الديانة اليهودية وردود سيد طنطاوي عليها

المطلب الأول: نسبة الابن إلى الله (سبحانه وتعالى)، وفيه مسائل عدة:

المسألة الأولى: دعواهم إنهم أبناء الله تعالى وأحباءه.

أولاً: تأصيل المسألة.

1. قالت اليهود في سفر التكوين ببنوة الله تعالى عما يقولون، فقد جاء فيه:" وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات، أنَّ أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حَسِنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاره، فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، وهو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة"[1]، وقد جاء هذا المعنى في السفر نفسه:"كان في الأرض طغاة في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدت لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر"[2].

هذان النصان واضحان فهما يؤكدان نسبة البنوة لله (سبحانه وتعالى)، فلما تكاثر الناس على وجه الأرض أنجبوا بنات وكانت الصفة الغالبة عليهن إنهن حسناوات جميلات، ولا نجد زعمهم هذا أي: مشكلة، ولكن المشكل العظيم يكمن فيما يأتي:

أ . زعمهم إن لله (سبحانه وتعالى) أولاداً وبنيناً، وأن هؤلاء البنين أُعجبوا ببنات الناس الحسناوات فتزوجوهن، وأنجبوا منهن أولاداً، كانوا ذو طبيعة إلهية وأخرى بشرية، أي: نصفهم إله ونصفهم الآخر بشر؟! وبسبب هذه الطبيعة المزدوجة كانوا هؤلاء الأولاد أقوياء، جبابرة

---

(1) سفر التكوين6 : 1 - 3 .

(2) سفر التكوين: 4/6.

مشهورين بقوتهم وجبروتهم، ثم يذكر لنا السفر المزعوم غضب الله تعالى على أبنائه، وذلك بسبب زواجهم من هؤلاء البنات، فعاقبهم على ذلك، وكان العقاب، إن يُقصّر عمر كل واحد منهم، بحيث يكون عمر الواحد مائة وعشرين سنة!! وهذا ما يؤكد لنا كفرهم الصريح لأنهم جعلوا لله أولاداً كما هو واضح مما سبق[1].

كما زعموا إن أولاد الله، ليس ككل الأولاد، فهم مقرونين بنزوات وشهوات، والدليل على ذلك؛ لأنهم لما رأوا بنات الناس الحسناوات زاغت أعينهم فدخلوا عليهن، فأنجبن منهم طغاة جبابرة[2].

ب . تبرير الزواج الأسطوري.

والعجيب من هؤلاء إنهم عندما أرادوا ترجمة سفر التكوين ووصلوا إلى هذه الفقرة التي تمت الإشارة إليها سابقاً، حاولوا تبريره والاعتذار عن قائله؟! وذلك بقولهم إن المؤلف يعود في ذلك إلى اسطورة شعبيه قديمة عن جبابرة، يُقال إنهم ولدوا من زواج بين كائنات بشرية وكائنات سماوية، إلا إنه لا يُبدي رأيه في هذا الكلام الوقح، ويخفي وجهه الأسطوري[3].

2. لليهود في باب الدعاوى الباطلة، والأقاويل الفاسدة، والأماني الكاذبة، باب طويل، ومجال واسع، وكلام كثير لا يؤيده عقل أو نقل، وقد تعرض القرآن الكريم لذكر هذه الدعاوى الباطلة، التي صدرت عنهم، وردَّ عليها بما يخرس ألسنتهم، ويقطع دابر حجتهم، ويميط اللثام عن أكاذيبهم، ويكشف ما خفي عن الناس من فضائحهم ومخازيهم وريائهم[4]، فهم الذين يزعمون إنهم شعب الله المختار، وإن الله تعالى فضلهم على جميع خلقه، فضلاً عن محبة الله

---

[1] ينظر: سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم (عليهما السلام)، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم ـ الأردن، ط1 (1425هـ ـ 2004م) : 98 ـ 100 .

[2] ينظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دراسة الجوانب الاعتقادية في اليهودية والمسيحية، صابر طعيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1985م : 116.

[3] ينظر: سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، صلاح عبد الفتاح الخالدي : 98 ـ 99.

[4] بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي (ت2010م)، دار الشروق ـ القاهرة، ط2 (1420هـ ـ 2000م) : 537 .

لهم وبشكل خاص، فهو محب لطائفتهم وسلالتهم، ولا يختار الأنبياء والصالحين إلا إذا كانوا منهم[1].

وقد سجل القرآن الكريم ذلك الزعم اليهودي ودحضه، وذلك بقوله تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي (رحمه الله) على المسألة.

1. يبين الشيخ الطنطاوي معاني الآية الكريمة وحقيقة قول كل من اليهود والنصارى، وما هي إلا حكاية قد صدرت عن فريقين، وهي تدل وبشكل قاطع على سفاهة عقولهم وبلادة تفكيرهم، وبطلان دعواهم، وفساد أقوالهم حينما قالوا في حق الله تعالى مالا يليق بذاته العليا المنزهة، فقد قالت طائفة من اليهود نحن لله شعب مختار، فلنا من الفضل والمنزلة والتكريم ما ليس لغيرنا من الخلق، والسبب في ذلك لأننا أبناء الله وأحباؤه، إلا إن القرآن الكريم أبطل ذلك الزعم الباطل بقوله: فإذا كان الأمر كما زعمتم ودعيتم من إنكم أبناء الله تعالى وأحباؤه، فلماذا يعذبكم، ولاسيما إن من السنن الطبيعية للحياة إن الحبيب لا يُعذب حبيبه[3]، ثم يستعين الطنطاوي في بسط الرد العقلي القاطع الذي يكون نتيجة لهذا، فالمقدمة الأولى هو إبطال زعمهم، والثانية هو تسليط أنواع العذاب عليهم ، "وذلك لأنه تعالى عذبهم في الدنيا بسبب ذنوبهم، وذلك عن طريق القتل والأسر والمسخ وتهييج العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة، أما في الآخرة فهم معذبون لا محالة بسبب ما اقترفوه من ذنوب وآثام في الحياة الدنيا"[4].

أما المنهج القرآني فهو جلي في الدعوة والإرشاد، فأراد الله تعالى تفهيم عقولهم، وذلك بقوله: وما أنتم إلا بشر كسائر البشر من خلق الله تعالى، لا فضل لكم ولا ميزة ولا علو على

---

[1] ينظر: بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ت570هـ)، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل - بيروت، ط3 (1410هـ - 1990م) : 93/1 .
[2] سورة المائدة : الآية (18) .
[3] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ت2010م)، دار النهضة - القاهرة، ط1، 1997م : 97/4 .
[4] المصدر نفسه : 97/4 .

غيركم، مخبراً لهم بأن له التصرف المطلق فهو يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ولا عجب في ذلك فهو مالك السموات والأرض وما بينهما، ومصير الخلق جميعه إليه فيجازي الذين أساءوا بمثل عملهم، ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى، وليس لأحد من خلقه فضل أو مزية إلا بميزان الإيمان والتقوى، فمن الواجب عليكم أن تؤمنوا بـ محمد(ﷺ)، وتتركوا تلك الدعاوى الباطلة لتكونوا من المفلحين[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في معنى البنوة.

عند التحقيق والبحث وجدت ان هناك آراء للعلماء في معاني البنوة تتفق ما ذهب إليه الطنطاوي وتخالفه في المعنى.

1. ما اتفق مع الطنطاوي: ينقل الشيخ طنطاوي قول جمهور المفسرين في المراد بالبنوة، إذ اتفق الجمهور على ان المراد بالبنوة هنا البنوة الحقيقية، وذلك لأن اليهود نقلوا لنا إن الله تعالى قال لعبده إسرائيل:" أنت ابني بكري"[2]، فحملوا هذا على ظاهره من غير تأويله وحرفوه حسب ما تشتهي أنفسهم، إلا إن قول من أسلم من عقلائهم كان ينافي ما حملوه، لأنهم قالوا كان ذلك على سبيل التشريف والتكريم، ولا يمكن حمله على ظاهره[3].

2. ما خالف مع الطنطاوي: قدّم الزمخشري رأياً آخراً في معنى البنوة قائلاً: إن المراد بها هنا هي اتباع في المنهج والمذهب، فلا يمكن حمل الآية على ظاهرها، فهو يريد بذلك إن

---

[1] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 578 - 579 .

[2] سفر الخروج : 4: 21 - 22

[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 97/4، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ط2 (1384هـ ـ 1964م) : 120/6، وينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1419هـ : =62/3، وينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر ـ تونس، 1984م : 156/6 .

اليهود هم أتباع العزيز وشيعته، والنصارى هم أتباع لعيسى وشيعته، فقال أبناء الله أشياع ابني الله ـ عُزيز والمسيح[1].

هذا وقد نجد إن هذا الزعم اليهودي ما هو إلا دليل على الأنانية اليهودية، والنفسية اليهودية التي تريد كل شيء خاص بها، حتى لو كان هذا رب العالمين!!، وقد أبطل الله تعالى هذا الزعم، وذلك لأنه تعالى عادل في أحكامه لا يُحابي أحداً، وإنما يترتب الجزاء على الأعمال، وبهذا يدعو القرآن الكريم اليهود إلى أن ينظروا لأنفسهم نظرة إنسانية وليست عنصرية جنسية، فهم بشر كسائر البشر، تنطبق عليهم أحكام الله وسننه الثابتة وتترتب عليهم في الدنيا والآخرة آثار ونتائج، فيعذبهم الله إن ضلّوا أو كفروا، ويرحمهم إن آمنوا وأصلحوا وأحسنوا[2].

وبهذا ترى الباحثة مما تقدم إن زعمهم هذا ناشئ من أمنيات تلج في صدورهم لا يستطيعون تحقيقها، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم، وذلك بقوله: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ[3]، ولعل السبب في زعمهم هذا، يرجع إلى اليهود أنفسهم عندما رفضوا فكرة النبوة في بني إسماعيل (عليه السلام) فامتلأت نفوسهم حسداً وغيرة من تلك النبوة المصطفاة، وهم بهذا ضلوا الطريق وأضلوا، فكان اتجاههم في العقيدة إلى التحريف والتبديل والتغيير؛ لأنهم يجدون بذلك شفاءً لغلهم المتوارث.

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط3، 1407هـ : 618/1 .
(2) ينظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي : 134 ـ 135 .
(3) سورة النساء : الآية (123) .

المسألة الثانية: دعواهم أن (عزيراً) [1] ابن الله.

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . سجل القرآن الكريم ذلك الزعم الكافر، فقد جاء في قوله تعالى: چ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭچ[2].

فقد نسب اليهود لله تعالى الأبناء، إذ زعموا أن (عزيراً) هو ابن الله ـ تعالى ـ مدعين بعد هذا إنهم على دين التوحيد الذي جاء بهم أنبيائهم، وقد حكى لنا القرآن الكريم كثير من عقائدهم الباطلة، وأقوالهم الفاسدة، التي لا سند لها من نقل أو عقل، فضلاً عن اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله سبحانه وتعالى، وهم بقولهم هذا أرادوا أن يطفئوا نور الإسلام، الذي عم الآفاق وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وبيّن للناس ما كانوا به يجهلون، وأخرج الخلق من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ولقد رد القرآن الكريم على ما حكاه أهل الكتاب من انحراف في العقيدة والفكر والقول، بما يُبطل تلك المزاعم ويسفه تلك الآراء، ويثبت جهلهم المقصود وبلادة عقولهم[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

---

[1] عزير: اسم عبري بمعنى (قوي)، وهو كاهن يهودي سكن أرض بابل سنة (457) قبل الميلاد، جمع أسفار التوراة وأدخل الأحرف الكلدانية عوضاً عن العبرية القديمة، وألّف أسفار الأيام وعزرا ونحميا، قدّسه اليهود من أجل نشره الكثير من علوم الشريعة، وأطلقوا عليه لقب (ابن الله). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة الاختصاص من اللاهوتيين، هيئة التحرير الدكتور: بطرس عبد الملك، الدكتور: جون ألكسندر طمس، الأستاذ: إبراهيم مطر : 1252، هذا ولابد من الذكر هنا نفي السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، وقد كان حبراً يهودياً فأسلم نفى أن يكون (عزرا) هذا الوارد ذكره في القرآن الكريم، لأن (العزير) هو تعريف (العازرا)، أما (عزرا) فإن لفظه لا يتغير مطلقاً حتى لو عرّب؛ لأنه اسم خفيف الحركات، ومن ثم فهو شخص آخر غير (عزير). ينظر: بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي : 43 .

[2] سورة التوبة : الآية (30) .

[3] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 581.

1. بيانه لسبب نزول الآية الكريمة:

ينقل الطنطاوي سبب نزول هذه الآية من شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (رحمه الله تعالى) راداً على من ادعى هذا الادعاء الكافر، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: أتى رسول الله (ﷺ) سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاش بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك يا محمد وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فأنزل الله في ذلك:چگ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇچ[1] [2]، فالنص القرآني الكريم أقوى رد على كل من اليهود والنصارى، بما ويكذب زعمهم هذا.

2. بيانه جملة القول:

أ . بيّن(رحمه الله) معنى هذه الآية الكريمة قائلاً: أما قول أهل الكتاب في ذلك ما هو إلا دليل قاطع على انحراف عقيدتهم في توحيد الله (سبحانه وتعالى)، والسبب يرجع في ذلك؛ لأنه هؤلاء الضالين المضلين عندما ادعوا إن عزيراً ابن الله وكذلك المسيح بأنه ابن الله، ليس لهم على هذا الادعاء الباطل دليل أو برهان[3].

ب . يربط طنطاوي (رحمه الله) قول اليهود السابق بما جاء بعده من قوله تعالى: (ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ)، قائلاً: وهم في قولهم هذا يشابهون من أشركوا بالله قبلهم من الأُمم السابقة، چ ۋ ۋ ۅ ۅ چ[4]، فهم بقولهم هذا شاركوهم الخلود في النار[5].

3. إعمام القول على اليهود جميعهم:

---

[1] سورة التوبة : الآية (30) .
[2] تفسير الوسيط : 257/6، نقلاً عن جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الرسالة، ط1 (1420هـ - 2000م) : 202/4.
[3] المصدر نفسه : 258/6 .
[4] سورة الصافات : الآية (70) .
[5] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 258/6 .

يبين الشيخ (رحمه الله)، أسباب نسّب هذا القول إلى جميع اليهود مع إن القائل بعضهم[1]، وحجته في هذا:

أ . لأن الذين لم يقولوا ذلك الزعم لم ينكروا على غيرهم هذا القول فهم على هذا مشاركين لهم في الإثم والضلال، وفيما يترتب على ذلك من عقاب[2].

ب . تلاوة الرسول(ﷺ) في ذلك فهو يستعين في رده على اليهود، بسيرة المصطفى (ﷺ) وذلك لأن الرسول (ﷺ) تلا هذه الآية على اليهود فلم ينكروا ما نسب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم من القول، مع تهالكم الدائم في مجادلة الرسول (ﷺ) مع الإنكار والتكذيب، فهذا إن دل على شيء، فهو يدل على إن هذا القول كان فاشياً فيهم، وقد آمنوا واعتقدوا بأن (عزيراً) ابناً لله تعالى[3].

* الاستدلال:

يستدل الشيخ الطنطاوي على استحالة أن يكون لله تعالى ولداً أو والد أو صاحبة أو شريك، باستعمال الرد القرآني في بيان عظمة الله تعالى في خلقه، وإن جملة الخلق يوم القيامة مسؤولون أمام الله تعالى وماثلين لإرادته وهو ما جاء في قوله تعالى: چ □ ى ى ي □ □ □ □ چ[4].

4. سند القول وأسبابه:

يبين طنطاوي (رحمه الله تعالى)، أسباب سند القول إلى الأفواه مع أنه لا يكون القول إلا بها[5]، من جوانب:

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 258/6 .
(2) المصدر نفسه : 258/6 .
(3) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 582 .
(4) سورة مريم : الآيات (92 - 95) .
(5) ينظر: التفسير الوسيط : 259/6.

أ . استحضار الصورة الحسية الواقعية، كأنها مسموعة مرئية.

ب . بيان إن هذا القول لا وجود له في عالم الحقيقة والواقع، إنما هو قول ساقط وليد خيالاتهم وأوهامهم.

جـ . زيادة التأكيد في نسبة هذا القول إليهم، أي: انه قول صادر منهم وليس محكياً عنهم.

ويبين الشيخ الأسباب التي دفعت أهل الكتاب إلى هذا القول[1] بما يأتي:

أ . تقليداً أعمى لأحبارهم ورهبانهم الذين يريدون دائماً طمس معالم التوحيد وإطفاء نور الله تعالى.

ب . إن قولهم هذا ما هو إلا محكاة لمن سبقوهم من أئمة الكفر، وليس سببه الامتناع عن طريق الحجة والبرهان.

5. بيانه لمعاني اللغة:

استعمل الشيخ طنطاوي معاني اللغة في بيان قوله تعالى في الآية قائلاً: أنى[2]: بمعنى كيف، ويؤفكون من الإفك الذي يكون بمعنى الانصراف عن الشيء والابتعاد عنه، يقال افكه عن الشيء يأفكه إفكاً، أي: صرفه عنه وقلبه، ويقال: أفكت الأرض إفكاً، أي: صرف عنها المطر[3].

والمعنى في هذا إن الله تعالى قاتل الذين قالوا إن عزيراً ابن الله، والذين قالوا ان المسيح ابن الله؛ لأنهم بقولهم هذا محل مقت العقلاء وعجبهم، إذ كيف يصرفون عن الحق إلى

---

(1) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 583 - 584 .

(2) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين، أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ أحمد، الناشر: المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت ـ صيدا، ط5 (1420هـ ـ 1999م : 24/1 .

(3) مختار الصحاح، الرازي : 19/1 .

الباطل، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون لله تعالى ولد أو والد أو صاحبة؟! فأن ما قالوه ظاهر البطلان وهو محل عجب العقلاء واستنكارهم وغضبهم[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في سبب غلو اليهود بـ(عزير).

1. قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) ان قولهم هذا إنما يرجع إلى عزير نفسه؛ لأنه استطاع أن يكتب التوراة بعد ضياعها، فقال بعض جهلتهم، إنما استطاع أن يصنع ذلك لأنه ابن الله[2].

2. وقد عزى الإمام البيضاوي (رحمه الله)، قول اليهود (في عزير إنه ابن الله، لأن اليهود بعد وقعة (بخنتصر)[3] لم يبقى فيهم من يحفظ التوراة، فلما أحياه الله بعد مائة عام، أملى عليهم التوراة حفظاً بعد أن ضاعت ومسخت من قلوب بني إسرائيل بسبب قتلهم للأنبياء، فتعجبوا من ذلك الصنيع، وقالوا: ما هذا إلا لأنه ابن الله[4].

3. قال ابن القيم (رحمه الله) في غلو اليهود بعزير، معللاً ذلك في ان عزيراً لما رأى اليهود قد أُحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق شملهم، ورفع كتابهم، جمع ما يحفظ من التوراة، مضيفاً إليه ما حفظه الكهنة، على ما جاء في صحائف التوراة التي هي الآن بين أيديهم، ولذلك نجدهم يبالغون في (عزير) غاية المبالغة، وقالوا فيه ما حكاه لنا القرآن الكريم، بل

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 260/6 .
[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 118/4 .
[3] بخنتصر: هو اسم بابلي معناه ابن القيم، وقيل معناه بنو حامي الحدود، وهو من أشهر عظماء ملوك بابل، حكم ما بين (605 - 562 ق.م)، قام بتدمير اليهود آنذاك، ومملكتهم وأخذهم أسرى إلى بابل، وهو ما يسمى عند اليهود بالأسر البابلي، ينظر: نبوخذ نصر الثاني، حياة إبراهيم محمد، دار الحرية للطباعة - بغداد، (د. ط1)(1403هـ - 1983م): 52 - 59 .
[4] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ : 78/3.

زعموا إن النور على الأرض يظهر على قبره إلى الآن، وذلك عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم[1].

4. وقال صاحب تفسير المنار ما ملخصه:" جاء في دائرة المعارف اليهودية الإنكيليزية ـ طبعة 1903 ـ أن عصر عزرا، هو الربيع التاريخ الملي لليهود الذي تفتحت أزهاره، وعبق شذا ورده، وأنه جدير بأن يكون هو ناشر الشريعة"[2].

5. قال الشيخ السعدي (رحمه الله) في (عزير): لما تسلط الملوك على بني إسرائيل ومزقوهم كل ممزق وهدموا هيكلهم وحرفوا توراتهم، وقتلوا كل من يحمل التوراة، وجدوا اليهود بعد ذلك (عزيراً) حافظاً لها أو لأكثرها، فاستطاع أن يمليها عليهم من حفظه فاستحسنوها، فلهذا زعموا فيه هذا الزعم الباطل وهذه الدعوى الشنيعة[3].

*** مناقشة آراء المفسرين:**

وأخيراً يرى جمهور المفسرين، أن السبب الذي لأجله قالت اليهود هذا القول ما رواه ابن عباس (رضي الله عنه) أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير حق، أنساهم الله كتابهم، ونسخها عباس (رضي الله عنه) أن اليهود لما أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، أَنساهم الله كتابهم، ونسخها من صدورهم فتضرّع عزير إلى الله وابتهل إليه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه به فلما جربوه وجدوه صادقاً فيه، فقالوا ما تيسر هذا لعزير إلا لأنه ابن الله[4].

---

[1] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم ـ دار الشامية، ط1 (1416هـ ـ 1996م) : 2/ 421.

[2] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م : 10/ 251.

[3] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ ـ 2000م) : 1/ 334.

[4] ينظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 (1412هـ ـ 2002م) : 31/5=

هذا، ولابد من الإشارة هنا إن هذا القول ينسب إلى إحدى الفرق اليهودية، وهي فرقة (الصدوقية)[1] التي تزعم من بين سائر اليهود إن (عزيراً) ابن الله[2].

*** البراهين التي تنفي وبشكل قاطع خرافة اتخاذ الله (سبحانه وتعالى) ولداً:**

البرهان الأول: چ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ چ[3]، في هذا النص القرآني براهين واضحة على استحالة اتخاذ الولد لله (سبحانه وتعالى)، منها[4].

1. إن اتخاذ الولد يتحقق بوجود زوجة، وهذه من السنن الطبيعية في التناسل والتوالد، أو كما عبر عنها القرآن الكريم بـ(الصاحبة)، في حين يقر الجميع بعدم وجود الصاحبة تعالى الله عما يفترون.

2. إن كان معنى (اتخاذ الولد) هو ما قلناه، إذن فلا يكون الولد مصنوعاً لله ومخلوقاً له، بل يكون عدلاً وشريكاً له، لأن(الوالد) ليس خالق(الولد)، بل الولد يكون جزء من والده ثم انفصل عنه، ونما خارجه، وكبر، في حين ان الله تعالى خالق كل شيء لقوله تعالى: (□ □ □)، ويقول سبحانه في صدر الآية الكريمة: (□ □ □)، بمعنى موجد السماوات والأرض وخالقهما وما فيهما.

= وبنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 (1410هـ ـ 1980م) : 338/2.

[1] الصدقيون: هي طائفة يهودية اشتق اسمها من الكلمة العبرية (صدوقيم) نسبة إلى (صادق) وهو كبير الكهنة في عهد نبي الله (سليمان عليه السلام)، وقيل انها نسبة إلى رجل يُدعى (صادق) وجد في القرن الثالث قبل الميلاد. ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، مكتبة الخانجي ـ القاهرة : 1/ 82.

[2] ينظر: المصدر نفسه : 82/1.

[3] سورة الأنعام : الآية (101) .

[4] ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني ، بقلم : جعفر هادي، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ـ إيران ـ قم، ط5 (1430هـ ـ 2009م) : 293/1 ـ 295 .

البرهان الثاني: قال تعالى:ڇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ڇ[1].

تشير هذه الآية الكريمة على نفي الولد لله تعالى في مسألتين هما:

1. المالكية التكوينية.

2. الألوهية المطلقة.

وتوضيح ذلك يكون: إن هناك نوعين من المالكية، مالكية اعتيادية، وهي تنشأ من العقد الاجتماعي الدارج بين أبناء البشر، ومالكية تكوينية تنشأ من خالقية المالك، فنجد مثلاً إنَّ مالكية الإنسان لأمواله مالكية ناشئة عن العقد الاجتماعي الذي أذعن له الإنسان لغرض إدارة الحياة وضمان استمرارها، في حين إن مالكية الله للسموات والأرض وما بينهما، مالكية تكوينية ناشئة عن خالقيته لها.

إذن إذا كان الله خالق كل شيء، فلا يمكن التصور أن يكون له ولد، كما أشير في ذيل هذه الآية الكريمة إلى علة المالكية وأساسها وهو الخالقية. إذ يقول تعالى: (□ □ □ □ □)[2].

البرهان الثالث: يقول الله تبارك وتعالى: ڇ ڭ ۀ ۀ ہ ہ ہہ ھ ھ ھ ھ ے ے ےۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅڇ[3].

في هذا النص القرآني ثلاثة براهين على نفي الولد لله تعالى وهي:

---

[1] سورة الفرقان : الآية (2) .

[2] ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، بقلم: جعفر هادي، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، إيران ـ قم، ط5 (1430هـ ـ 2009م) : 293/1 - 295.

[3] سورة البقرة : الآيات (116 - 117) .

1. إن معنى الولد هو انفصال جزء من الوالد (الحويمن)، واستقراره في رحم الأم، وهذا يستلزم كون الله جسماً، ومتصفاً بالآثار الجسمانية كالمكان والزمان والجزئية، والتركيب من الأجزاء، بينما يكون الله تعالى، منزه عن ذلك كله.

2. إن ألوهية الله مطلقة وربوبيتهُ عامة فكل الموجودات قائمة به ومحتاجة إليه، غير مستغنية عنه.

3. ليس هناك موجباً أن يتخذ الله ـ تعالى ولداً؛ لأن طلب الأبناء عادةً يكون أما لاستمرار النسل والذرية، أو يكون للاستعانة بهم في زمن الضعف والشيخوخة والعجز، ولا يمكن أن يتصور من هذه الدوافع تكون لله (سبحانه وتعالى)[1].

وبعد هذا العرض لهذه المسألة المزعومة، ترى الباحثة وتؤكد بشكل قاطع على فساد عقيدة التوحيد لدى اليهود، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم، من نسبة الولد لله (سبحانه وتعالى) فهم يصفون الله تعالى وينسبون إليه أمور لا تليق به، فتارة يدّعون أن له ولد، وتارة أُخرى يدّعون أن له صاحبة وتارة وتارة؟!، والقرآن الكريم شاهد عليهم بما يقولون وبما يفعلون، فهذا الزعم إن دل، فهو يدل على إصرارهم في الانصراف عن الحق والالتحاق بالباطل، والدليل على ذلك، ما جاء في الحديث القدسي، عن ابن عباس (رضي الله عنه)، عن النبي محمد(ﷺ) قال: قال الله:

" كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبهُ إياي، فقوله: فزعم أنّي لا أَقدر أن أعيده كما كان، وأمّا شتمه إيّاي، فقوله: لي ولد، فسبحاني أَن اتخذ صاحبة أو ولد"[2].

---

[1] ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني : 1/ 296 ـ 297 .
[2] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، برقم 482: 19/6، كتاب التفسير القرآن، باب قالوا اتخذ الله ولداً.

قال ابن حجر (رحمه الله)، في هذا الحديث، (وأما شتمه إياي فقوله لي ولد)، إنما سماه شتماً لما فيه من التنقيص لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه، ويستلزم ذلك الحمل عادة سبق النكاح، والناكح عادة يستدعي باعثاً له على ذلك، والله (سبحانه وتعالى) منزه عن جميع ذلك[1].

المسألة الثالثة: دعواهم في نسبة الملائكة لله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة.

يحكي لنا القرآن الكريم زعم آخر من مزاعم اليهود، فقد جاء في قوله تعالى: چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ چ[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

يقارع الشيخ طنطاوي القوم باللغة، فقد بيّن معنى الجنة هنا، بمعنى الملائكة، وسميوا بذلك لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين[3].

بيّن الشيخ (رحمه الله) معنى هذه الآية الكريمة مستعيناً بآي القرآن الكريم قائلاً: لم يكتف المشركون من أهل الكتاب ما قالوه بشأن الله تعالى، بل أضافوا لجرائمهم جريمة أخرى وهي أنهم جعلوا بين الله تعالى وبين الملائكة نسباً، ولقد علمت الملائكة إن القائلين لهذه المقالة الباطلة (لمحضرون)، إلى العذاب يوم القيامة، ليذوقوا سوء عاقبة كذبهم[4].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت (ب ـ ط)، 1379هـ، رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف عليه وطبعه: محب الدين الخطيب : 168/8.

[2] سورة الصافات : الآيات (158 ـ 160) .

[3] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 62/1 .

[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 116/12 .

1. قال الطبري في ذلك: إن اليهود ادعت كعادتها إن الله تعالى تزوج من الجن، فأنجبت الجن الملائكة، قال سبحانه سبح نفسه، وقال أيضاً في معنى هذه الآية إن المشركين جعلوا بين الله تعالى وبين الجنة نسباً، واختلف أهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر عنه الله (سبحانه وتعالى)، فقال بعضهم إن الله تعالى وابليس أخوان، فعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال في معنى هذه الآية، زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان، وقال آخرون إن الملائكة هن بنات الله، وقال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: من أمهاتهن، فقالوا: بنات الجن، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق فيه إبليس[1].

2. قال الإمام القرطبي (رحمه الله تعالى) في معنى هذه الآية، قالت اليهود إن الله وتعالى صاهر الجن، فكانت الملائكة وقد علمت الملائكة إن القائلين لهذا القول لمحضرون في النار للحساب، وذلك لأن الإحضار تكرر في هذه السورة ولم يرد الله تعالى به غير العذاب[2].

3. قال الإمام الآلوسي (رحمه الله): إن في زعمهم هذا إنما يشابهون كل من اليهود التي زعمت إن عزيزاً ابن الله، والنصارى التي ادعت بأن المسيح ابن الله، إلا ان الله تعالى أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين، وهو نسبة الولد إليه تعالى ونسبة الجن إليه[3]، فتعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

4. وقال سيد قطب في معنى هذه الآية: وهذه أسطورة أخرى من أساطير اليهود وهي الصلة بين الله تعالى وبين الجنة؟! وذلك هو النسب والقرابة، والجن كما نعلم جميعاً أنها من خلق الله تعالى، وإنهم لمحضرون للحساب يوم القيامة على ما عملوه من أعمال، فكيف يحاسبهم الله تعالى، وهم له نسباً وصهراً، وهنا ينزه الله تعالى، ذاته العليا من ذلك الإفك

---

[1] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري : 21/ 121.
[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 135/5.
[3] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهب الدين محمود بن عبد الله الحسني الآلوسي (ت1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1415هـ : 142/2 - 143 .

المتهافت، مستثني الله تعالى من ذلك العذاب الطائفة المؤمنة من الجن، ولاسيما إن في الجن مؤمنون[1].

وبعد هذا العرض لمعنى هذه الآية الكريمة فان الباحثة ترى إن قول اليهود في نسبة الولد إلى الله تعالى عندما زعموا إن (عزيراً) ابن الله، وإن قول النصارى عندما زعموا بأن المسيح ابن الله، لم يكن اعتقاداً جديداً على الساحة المحمدية الشريفة، وإنما كان اعتقاداً قديماً له صلة بما ورثوه هؤلاء من الأمم السابقة لهم، في الإشراك بالله تعالى عندما زعموا أن لله تعالى بنات وهن الملائكة، ونسبوا إليه أيضاً مصاهرة الجن وادعاءات كثيرة ومزاعم باطلة ليس لها برهان أو دليل من نقل أو عقل، الدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم: چگ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀۀ ہ ہ ہہ ھ ھ ھ ھ ے ےۓ ۓ ڭڭ ڭ ڭچ[2].

المطلب الثاني: صفات الله تعالى في المنظور اليهودي.

وفيه مسائل عدة:

المسألة الأولى: وصفهم الله (سبحانه وتعالى) بالفقر.

أولاً: تأصيل المسألة.

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ت1385هـ)، دار الشروق ـ القاهرة، ط17، 1412هـ : 3001/5.

(2) سورة التوبة : الآية (30) .

بيّن الله تعالى في كتابه العزيز، ما كان لليهود من بهتان وزور، وذلك بوصفهم تعالى بالفقر، فقد سجل القرآن الكريم ذلك الزعم الباطل، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[1] .

وصف اليهود الله (سبحانه وتعالى) بصفات تنم على خبثهم وجهلهم، فضلاً عن سفه آرائهم، وتطاولهم على مقام الألوهية الكريم، حيث تفوهوا بكلام لا يخرج من فم مؤمن قط له عقيدة مستقيمة، وما كان كلامهم هذا إلا مجموعة من الدعاوى الباطلة، أضافها كُتّابهم إلى أسفارهم، فآمنوا بها إيماناً باطلاً عمى أبصارهم وبصيرتهم عن الحق الواضح، وقد حكى لنا القرآن الكريم تلك الدعاوى الباطلة مبيناً لنا كيفية دحضها وبشكل قاطع[2]، فوصفهم تعالى بالفقر يدل على ما يعترى نفوسهم من الخبث وفقر في الأخلاق والسلوك والمعتقد

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. بيّن الشيخ سبب نزول هذه الآية الكريمة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: لما نزل قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة، قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض، فأنزل الله هذه الآية[3].

هذا وقد روى ابن إسحق عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: دخل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بيت المدارس[4]، فوجد يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له (فنحاص) وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له (أَشيع)، فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): ويحك يا فنحاص، اتقِ الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال

---

[1] سورة آل عمران : الآيات (181 ـ 182) .

[2] ينظر: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد محمد الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1 : 174 ـ 175، وينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ـ عمان، ط3 (1435هـ ـ 2014م) : 160.

[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 355/2 .

[4] المِدارس: هو المكان الذي يتدارسون فيه علومهم، ينظر: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد شامي، المكتب المصري للتوزيع، ط1، 2003م : 66.

فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنّه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنّا عنه لأغنياء، ولو كان غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله..، فذهب فنحاص إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: يا محمد، أبصر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله (ﷺ): ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله إنّ عدو الله قال قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وإنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله ممّا قال، فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦﭼ[1].

2. بين الشيخ طنطاوي معنى هذه الآية الكريمة معتمداً في ذلك على آي القرآن الكريم التي ترد على اليهود الذين زعموا هذا الزعم الباطل، قائلاً: لقد سمع الله تعالى قول أولئك اليهود الذين نطقوا بالقول الفاحش فزعموا أن الله ـ تعالى ـ فقير، وهم أغنياء، وجاء المقصود بهذا السمع لازمهُ، وهو العلم والإحاطة الكاملة بما يقولون من قبائح، ثم محاسبتهم على ما تفوهوا به من الأقوال الفاسدة ومزاعم باطلة، وما ارتكبوه من أعمال، ومعاقبتهم على جرائمهم هذه بالعقاب المهين الذي يستحقونه[2]، فقد قال تعالى:ﭽ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹﭼ، وفيها وجهين من وجوه البلاغة: سنُسجل عليهم في صحائف أعمالهم قولهم هذا، كما سنسجل عليهم قتلهم أنبياء الله بغير حق، فالإسناد هنا مجازي والكتابة حقيقية، مبيناً نوع السين للتأكيد، أي: سنحفظ ما قالوه في علمنا ولا نهمله، وسنعاقبهم بما يستحقون من عقوبات[3].

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 356/2، ولقد ذكرت هذه الرواية في تفسير جامع البيان، الطبري: 441/7 ـ 442، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 155/2، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا : 215/4 .

(2) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 356/2 .

(3) ينظر: المصدر نفسه : 356/2 .

3. يذكر لنا الشيخ طنطاوي كيف إن الله سبحانه قرن هذا القول المنكر، بفعل شنيع من أفعال أسلافهم، وهو قتلهم لأنبياء الله بغير وجه حق، والسبب يرجع في ذلك إلى[1]:

أ . إثبات أصالتهم في الشر.

ب . استهزائهم بالحقوق الدينية.

ت . وذلك لتنبيه إن قولهم هذا هو ليس أول جريمة ارتكبوها في حقه تعالى.

ث . لكي يشعرنا الله تعالى إن هاتين الجريمتين كانتا من نوع واحد، فقتل أنبياء الله تعالى هو تعدي صريح على أمناء الله وأصطفياءه، وقولهم إن الله فقير، ما هو إلا تطاول على الذات العليا، ووصفه بما لا يليق به، تعالى الله عما يصفون، وبهذا كله يكونون قد عتو عتواً كبيراً، وضلوا ضلالاً بعيداً.

4. يبين لنا الشيخ طنطاوي أسباب إضافة الفعل إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوي، مع أنه حدث ذلك من أسلافهم؛ وذلك لأن هؤلاء المعاصرين كانوا راضين بفعل أسلافهم ولم ينكروه، وإن لم يكونوا قد باشروه، ومن رضي بجريمة قد فعلها غيره فكأنما قد فعلها هو[2].

5. يبين الشيخ طنطاوي كيف وصف الله تعالى قتل هؤلاء الأنبياء بغير وجه حق، مع أن هذا الإجرام لا يكون يحق أبداً وذلك للأسباب التالية[3]:

أ . الإشارة إلى شناعة أفعالهم، وضخامة شرورهم.

ب . خبث نفوسهم فضلاً عن قسوة قلوبهم، فهم لا يبالون أكان فعلهم في موضعهم أم في غير موضعه.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 357/2 .
[2] ينظر: المصدر نفسه: 357/2 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 357/2 .

6. اعتمد الشيخ طنطاوي على الكناية، وهي وجه من وجوه البلاغة، وذلك لبيان العقوبة التي أعدّها تعالى لهؤلاء، فقد جاء قوله تعالى: (ٺ ٹ ٹ)، ففي الآية الكريمة إيجاز بالحذف دَل عليه سياق الكلام، ثم يبين لنا معنى الذوق، فهو حقيقة إدراك المطعومات، والأصل فيه أن يكون في أمر مرغوب في ذوقه وطلبه، أما التعبير به هنا مقترناً بالعذاب ما هو إلا لون من ألوان التهكم على اليهود، والاستهزاء بهم[1].

7. استعمل الشيخ قواعد النحو في بيان قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) راداً في ذلك على هؤلاء اليهود الزاعمين، فذلك العذاب الشديد الذي حاق بكم كان بسبب ما قدمت أيديهم من عمل سيء، وما نطقت به أفواههم من قول منكر، فقد اقتضت حكمته وعدالته ألا يعذب ‘لا من يستحق العذاب، لأنه تعالى لا يظلم عباده مقدار ذرة[2]، مبيناً لنا عودة اسم الإشارة (ذلك) إلى العذاب المحقق المنزل بهم منزلة المحسوس المشاهد[3].

8. استعمل الشيخ طنطاوي معاني اللغة في الرد على القوم، قائلاً: جاءت الأيدي هنا بمعنى الأنفس، وذلك بقوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ)، والتعبير بالأيدي عن الأنفس من قبيل التعبير بالجزء عن الكل، مبيناً لنا سبب خص الأيدي بالذكر هنا وذلك لـ[4]:

أ . للدلالة على التمكن من الفعل وإرادته.

ب . وذلك لأن أكثر الأفعال يكون عن طريق البطش بالأيدي.

جـ . نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق به والاتصال بذاته.

9 . استعمل الشيخ طنطاوي قواعد النحو في الرد على اليهود قائلاً أما قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) جاء عطفاً على قوله: (ڤ ڤ ڤ)، فهو داخل تحت حكم الباء السببية، وسببته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتض إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، أما صيغة المبالغة (ظلّام)، فقد جيء بها لتأكيد المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب

[1] ينظر: المصدر نفسه : 357/2 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 357/2 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 2/ 357 .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 357/2 .

في صورة المبالغة في الظلم، وقيل إن صيغة (ظلّام) للنسب كعطار، أي: لا ينسب إليه الظلم أصلاً[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

قال الآلوسي (رحمه الله): إن الذين نسبوا لأنفسهم الغنى، ونسبوا لله (سبحانه وتعالى) الفقر، هم قوم من اليهود، وإنما نسبوا ذلك لأنهم سمعوا قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[2]، والدليل على ذلك ما جاء عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: أتت اليهود رسول الله (ﷺ) حين أنزل الله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ   ﭼ، فقالوا: يا محمد فقير ربك يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله تعالى الآية، مشيراً بذلك إلى طائفة اليهود جميعاً مع إن القائل واحد، والسبب يرجع في ذلك إلى رضا الباقين بهذا القول وعدم معارضته له وصمتهم عن الحق المبين، ثم يُعقب الآلوسي (رحمه الله تعالى) على ذلك القول وتخصيصه بالسماع مع أنه ـ تعالى ـ سميع لجميع المسموعات كناية عن الوعيد لأن السماع لازم العلم بالمسموع، وهو لازم الوعيد، فهو سماع ظهور وتهديد لا سماع قبول ورضا[3].

2. قال القاسمي في معنى هذه الآية الكريمة إنما نظم هذا القول مع ما قبله إيذاناً بسوابقهم القبيحة، مع الإشارة على إنها ليست أول جريمة ارتكبها اليهود في حقه تعالى، لأن من اجترأ على قتل الأنبياء لا يُستبعد منه مثل هذا الافتراء العظيم[4].

وبهذا العرض ترى الباحثة إن زعم اليهود هذا إن دل فهو يدل على خبث نفوسهم، واستهتارهم بالعقيدة، فضلاً عن وقاحتهم السافرة، فهم يصفون الله تعالى بملء أفواههم بالفقر، وحقيقة الأمر إنهم فقراء في أخلاقهم، لتجرئهم المستمر وتطاولهم على ذات الله العليا، فكيف لهم أن يصفوا الله تعالى بصفات يترفع عنها أبسط مخلوق لديه، فكيف به وهو رب العالمين،

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 2/ 358، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 352/2 .
[2] سورة البقرة : من الآية (245، وسورة الحديد : من الآية (11) .
[3] ينظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي : 352/2 .
[4] ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1418هـ : 2/ 469 .

ولا عجب في ذلك لأن من تجرأ على فعل، وهو قتل الأنبياء سهل عليه القول، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم: چڈ ڈ ٹ ٹچ [1].

المسألة الثانية: وصفهم الله سبحانه وتعالى بالبخل.

أولاً: تأصيل المسألة.

لم يكتف اليهود بوصف الله تعالى بالفقر فحسب، بل نسبوا إليه صفة أخرى وهي صفة البخل، وقد سجل لنا القرآن الكريم ذلك الزعم الماكر وذلك بقوله تعالى:چ ۋ ې ې ۑ ۑ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ ى ى ﯾ ﯾچ[2].

وصف اليهود بالبخل يدل وبشكل واضح على جلافة قلوبهم، وسوء أخلاقهم، وانحراف واضح في عقيدتهم، فنجد هذه الآية الكريمة مثقلة بالكشف عن تلكم الخلائق الذميمة، والتناقض الواضح بين دعوى الإيمان والتوحيد عندهم، وبين هذا المنهج المخزي، فكراً وسلوكاً وعقيدة، لذلك نجدهم لا يعبرون عن البخل بلفظه المباشر، بل عبروا بلفظ أشد وقاحة وتطاول على مقام الألوهية الكريم[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. بيّن الشيخ طنطاوي سبب نزول هذه الآية معتمداً في ذلك على من سبقه من العلماء في بيان سبب نزولها، راداً على من ادعى هذا القول الفاسد.

---

[1] سورة آل عمران : من الآية (181) .

[2] سورة المائدة : الآية (64) .

[3] ينظر: موقف اليهود من الرسالة والرسول (ﷺ)، سعد موصفي، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت، ط1 (1413هـ ـ 1992م) : 105، وينظر: اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، محمد أديب الصالح، دار الهدى للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط1 (1413هـ ـ 1993م) : 46.

أ . فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال جاء رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس: يا محمد إنّ ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله هذه الآية، وقد أضاف تعالى المقالة إلى اليهود جميعاً، لأنهم لم يشكروا على القائل ما قاله ورضوا به[1].

ب . قال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء وأصحابه، فقد كانت لهم أموال فلما كفروا بالنبي(ﷺ)، قلّ ما لهم، فقالوا ما قالوا[2].

جـ . وقيل: إنهم لما رأوا النبي(ﷺ) في فقر وقلة مال، وسمعوا چ ۋ ې ې ۓ ۓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ، قالوا: إن إله محمد بخيل[3].

2. استعمل طنطاوي في بيان هذه الآية معاني الكلمات، فقال (رحمه الله): إن أصل الغل هنا هو تدرع الشيء وتوسطه، ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر، والغل مختص بما يقيد به الشخص فيجعل الأعضاء وسطه، وجمعه أغلال[4]. مبيناً ما حكاه القرآن الكريم عن اليهود الذين قالوا: (ې ۓ ۓ□)، فهو إخبار منه (تعالى) عن جراءة اليهود وسوء أدبهم مع خالقهم، وتوبيخ لهم على ما جحدوه من نعم لا تحصى، وهم أرادوا بذلك أنه تعالى بخيل عليهم، ممسك خيره عنهم، مانع فضله من أن يصل إليهم حابس عطاء عن الاتساع لهم كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا يبذل معروف[5].

3. استعمل الشيخ طنطاوي (رحمه الله) في بيان معنى هذه الآية وجه من وجوه البلاغة العربية وهو المجاز، وذلك لأن غل اليد وبسطها، إنما هو مجاز مشهور عن التقتير والعطاء، والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 214/4، وجاءت هذه الرواية في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 133/3.
(2) المصدر نفسه : 214/4، وجاءت هذه الرواية في تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 238/6 .
(3) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 238/6.
(4) ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 502/1، تفسير الوسيط، طنطاوي : 215/4.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 215/4 .

ڤـچ[1]، الكناية في بيان معنى هذه الآية، فاليد هنا كناية، والسبب في ذكر اليد هنا، لأن اليد آلة لأكثر الأعمال، ولا سيما في دفع المال وإنفاقه، وليست الجارحة المعروفة بهذا الاسم، وذلك لأنه تعالى منزه عن مشابهة الحوادث.

4. استعمل الشيخ طنطاوي كلام العرب في بيان معنى الآية الكريمة، ورده على من زعم هذا القول الفاسد، فقد أطلقوا اسم المسبب على السبب، وذلك لأنهم أسندوا الجود والبخل إلى اليد والكف، فقيل للجواد: فياض اليد، مبسوط الكف، وقيل للبخيل: مقبوض اليد، كز الكف، وهذا معروف في كلام العرب[2].

5. بيّن الشيخ (رحمه الله) درساً بليغاً من هذه الآية، معتمداً على ذلك على نص الآية الكريمة، قائلاً: يعلمنا الله تعالى جواز الدعاء على من فسدت قلوبهم بالحسد، وأساءوا الأدب مع خالقهم ورازقهم فتطاولوا عليه وقالوا في شأنه ما هو منزه عنه، فهو دعاء عليهم بالشح المرير والبخل الشنيع، وذلك عن طريق خلق الشح فيهم، مما يجعلهم منبوذين من قبل الناس، وهم بهذا يكونوا أبخل الناس، فلهذا حكم عليهم تعالى بالطرد من رحمته[3].

6. استعمل الشيخ طنطاوي قواعد اللغة في بيان معنى الآية، راداً في ذلك على اليهود، فقوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي يـ)، أدحض تعالى هذا الزعم الباطل الذي تزعمه اليهود، مبيناً إنه تعالى واسع الفضل جزيل العطاء، وما من شيء إلا عنده خزائنه، أما التعبير الذي جاء بصيغة المثنى، فهو إشارة إلى كثرة الفيض والعطاء والفضل، وذلك لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ بالعطاء أعطى بكلتا يديه[4].

---

[1] سورة الإسراء : الآية (29) .

[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 215/4، وينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 609.

[3] ينظر: التفسير الوسيط، طنطاوي : 216/4 .

[4] ينظر: المصدر نفسه : 216/4 .

استعمل الشيخ طنطاوي قواعد النحو العربي في بيان معنى هذه الآية، راداً بذلك على ذلك الزعم الباطل، فقد جاء في قوله تعالى: (□ □ □ □ □ □ ى ى ې ې)، فقد أكد تعالى هذه الجملة بالقسم المطوى، وباللام الموطئة له، ونون التوكيد الثقيلة لكي ينتفي الرجاء في إيمانهم، وليعاملهم النبي(ﷺ) وأتباعه على أساس مكنون نفوسهم الخبيثة، وقلوبهم المريضة بالحسد والخداع، فأن ما أنزل على محمد(ﷺ) واطلاعه على ما خفي من أمور هؤلاء اليهود، ومن أحوال كل ذلك ليزيدن الذين كفروا منهم كفراً على كفرهم، وطغياناً على طغيانهم، وذلك لأنهم قوم أكل الحقد قلوبهم، واستولى الحسد على نفوسهم، وإذا كان ما أنزلناه إليك يا محمد فيه شفاء لنفوس المؤمنين، فإنه بالنسبة لهؤلاء اليهود يزيدهم بغياً وظلماً وكفراً[1]، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﭽ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓﭼ[2].

7. استعمل الشيخ طنطاوي أحاديث السنة النبوية الشريفة في الرد على هؤلاء، القوم، فقد روى الإمام بخاري (رحمه الله) عن أبي هريرى (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ـ أي لا ينقصها الإنفاق ـ سحاء ـ أي مليئة ـ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يفض ما في يمينه وكان عرشه على الماء، وفي يده الأخرى الفيض ـ أو القبض ـ يرفع ويخفض، وقال: يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك"[3].

8 . يبين الشيخ طنطاوي معنى هذه الآية معتمداً على نص الآية، فقد جاء في قوله تعالى:(□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې)، فهي جملة أوردها الله (سبحانه وتعالى) لتأكيد جوده على خلقه، والدلالة على مقتضى حكمته ومشيئته، فهو

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 217/4 .
(2) سورة الإسراء : الآية (82) .
(3) صحيح بخاري، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) : 124/9، رقم الحديث: (7419)، تفسير الوسيط، طنطاوي : 4/ 23 .

يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه ويقبضه عمن يشاء من خلقه، وقيضه للرزق لا ينافي سعة كرمه ـ تعالى ـ لأنه ـ تعالى ـ يعطي ويمنع حسب مشيئته التي أقام بها نظام الكون[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال الإمام الطبري (رحمه الله) في معنى هذه الآية الكريمة، ليس الأمر كما ادعت اليهود في وصفه تعالى، بل هم الذين أمسكت أيديهم عن الخير، وقبضت عن الانبساط بالعطاء، وذكرت اليد هنا، كناية عن العطاء، ولاسيما إن العطاء وبذل المعروف لا يكون إلا باليد، وهم يعنون بذلك إن الله تعالى يبخل عليهم ويمنعهم من فضله فهو كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء أو ببذل معروف[2].

2. قال الإمام البغوي (رحمه الله) في معنى هذه الآية، لقد نسب القرآن الكريم هذا القول إلى عموم اليهود، حتى وإن كان القائل بعضهم، وظاهر الآية يدل على إن هذا القول صدر عن جماعة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﭺ ﭻ ﭼﭽ وظاهره إنما يفيد الجمع، وما روي أن قائل هذا القول هو (فنحاص) اليهودي، فهذا يدل على أن غيره لم يقل ذلك، فلما شهد الكتاب أن القائلين كانوا جماعة وجب القطع بذلك[3].

3. وكان للإمام الآلوسي (رحمه الله) رأي آخر في (الغل)، فقال يجوز أن يُحمل الغل هنا على حقيقته، فهم يغلوا في الدنيا أُسارى، وفي الآخرة معذبين في أغلال جهنم، فالعقاب يكون من جنس العمل[4].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 217/4.
[2] ينظر: تفسير الطبري : 451/10 - 452 .
[3] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي : 67/2.
[4] ينظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي : 180/6 - 181 .

4. وقيل في سبب نزول هذه الآية، فبعد أن حيل بين اليهود وبين السيطرة الاقتصادية التي كانوا يتربعون على عرشها في المدينة المنورة وما حولها قبل الإسلام، وقلت في أيديهم موارد المال الذي كان يجمعونه، مستغلين نفوذهم في المدينة، فقالوا متجرئين على خالقهم: (ې ې ې)[1]، وبعد هذا ترى الباحثة إن السبب في وصفهم الله تعالى بصفة البخل؛ لأنهم من اتصفوا به، بل تأصل البخل في نفوسهم الخبيثة، فأرادوا أن يصفوا الله تعالى بتلك الصفة التي كانت ملازمة لهم، تطاولاً منهم على الذات العليا، والدليل على ذلك ما قرره القرآن الكريم وأفصح به عن بخل اليهود، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[2]، والمعنى في ذلك أن هؤلاء اليهود ليس لهم نصيبٌ في الملك البتة، لأنهم لا يستحقونه ولو أُتوا نصيباً منه على سبيل الفرض والافتراض فإنهم لشدة حرصهم وبخلهم وأثرتهم، لا يعطون أحداً غيرهم إلا أقل القليل، وقد وصف عطائهم هذا (بالنقير)، وهو نقرة صغيرة التي في ظهر نواة التمر، يضرب بها المثل للدلالة على القلة والحقارة[3].

---

[1] ينظر: اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، محمد أديب الصالح، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1 (1413هـ - 1993م) : 45 .

[2] سورة النساء : الآية (53) .

[3] ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 228/5، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 183/3 .

المسألة الثالثة: نسبهم التعب والاستراحة لله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ ـ قال اليهود في سفر التكوين الذي يقدسه اليهود والنصارى على حد سواء وفي كل زمان ومكان، ما نصه:" فأكملت السماوات والأرض وكل جندها وفرغ الله من اليوم السابع من عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً"[1].

ب . وجاء في سفر التثنية من التوراة ما نصه:" وإما اليوم السابع فسبت للرب إلهك، لا تعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بها، ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح، عبدك وأمتك مثلك"[2].

يعتقد اليهود غلطاً وفساداً في العقيدة، إن الله تعالى عندما خلق السموات والأرض، أصابه نتيجة ذلك التعب والنصب والإعياء، لذلك اختار لنفسه يوماً يستريح فيه فوقع اختياره على يوم السبت، فهو كالبشر يحتاج إلى الراحة بعد أن بذل مجهود في عمل ما[3]، فقد وصفوا الله تعالى بهذين السفرين المحرفين بصفات تنطبق على الخلق لا الخالق، والإسلام

---

[1] سفر التكوين : 2/ 1- 3 .

[2] سفر التثنية : 14/5.

[3] ينظر: قضية الألوهية في الأسفار اليهودية، عبد المنعم فؤاد، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (1425هـ - 2000م) : 91.

كدين يرفض هذا الادعاء، معللاً ذلك بإن القوي لا يتعب، والقادر لا يحتاج إلى تلك الراحة المزعومة ولا إلى استراحة وما ذُكر في هذين السفرين إنما يمثل الكذب بعينه[1].

سجل القرآن الكريم زعمهم الباطل في قوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. استعمل الشيخ طنطاوي معاني اللغة في بيان معنى الآية الكريمة قائلاً: واللغوب في اللغة: معناه التعب والاعياء، وهو مصدر لغب ـ كدخل ـ، يقال لغب فلاناً لغوباً، إذا اشتد تعبه وضعفه[3]، والمقصود بالآية الكريمة بيان ما يأتي[4]:

أ . ببيان كمال قدرة الله تعالى، فقد بيّن الله مظاهر قدرته ووحدانيته، فقد خلق الله تعالى السماوات والأرض وما بينهما من كائنات لا يعلمها إلا الله، وفي ستة أوقات، وما مسه تعالى بسبب هذا الخلق العظيم نصب أو تعب أو إعياء.

ب . المراد بالأيام هنا، مطلق الأوقات التي لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى، وقيل: هذه الأيام من أيام الدنيا، وقيل من أيام الآخرة.

جـ . الرد على من أنكر البعث والنشور.

د . رداً على اليهود الذين زعموا أن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت.

---

[1] ينظر: الألوهية في السفار اليهودية، عبد المنعم فؤاد : 92.
[2] سورة ق : الآية (38) .
[3] ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة : 830/2، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط1 (1429هـ ـ 2008م) : 2018/3م.
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 13/ 351 ـ 352 .

هـ . نقل الشيخ طنطاوي قول سعيد بن جبير في هذه المسألة قائلاً: قال سعيد بن جبير: الله تعالى قادر أن يخلق السموات والأرض وما بينهما في لمحة ولحظة، ولكنه سبحانه خلقهن في ستة أيام ليعلم عباده التثبت في الأمور والتأني فيها[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال الطبري (رحمه الله) مبيناً سبب نزول هذه الآية المباركة، قائلاً في ذلك: نزلت هذه الآية المباركة في يهود المدينة الذين زعموا أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، لذلك جعلوا من السبت راحة لهم، وأطلقوا عليه تسمية بـ(يوم الراحة)، إلا إن الله تعالى أبطل ذلك الزعم الفاسد مبيناً لنا من خلال الآية الكريمة، أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما من خلائق في ستة أيام، ولم يصب تعالى من هذا العمل تعبٌ أو إعياء كما يزعمون، فقد جاء في الأثر عن أبي بكر(رضي الله عنه)، قال: جاءت اليهود إلى النبي(ﷺ)، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من خلق في هذه الأيام الستة؟ فقال:" خلق الله الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات، بعثني يوم الجمعة، وخلق في أول ثلاث ساعات الآجال والثانية الآفة، وفي الثالثة آدم، قالوا: صدقنا إن أتممت، فعرف النبي(ﷺ) ما يريدون، فغضب، فأنزل الله: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ[2] [3].

2. قال البقاعي (رحمه الله): لقد خلق تعالى بماله من العظمة التي لا يقدر قدرها، ولا يُطاق حصرها، ولا يمكن تصورها (ﯰ ﯱ) على ما هما عليه من الكبر، وكثرة المنافع، وما بينهما من الأمور التي تنتظم على قاعدة الأسباب والمسببات..، ولما كانت أقوال اليهود لا

---

[1] المصدر نفسه : 351/13 .
[2] سورة ق : من الآيات (38 - 39) .
[3] ينظر: تفسير الطبري : 375/22 .

تليق بالجانب الأقدس أمر ـ سبحانه ـ بما يفيد أن ذلك بقدرته، وأنّه موجب تنزيهه وكماله، لأنه قهر قائله على قوله[1].

رابعاً: نفي التعب والإعياء في التوراة.

جاء في سفر إشعياء قائلاً:" أما عرفت أم لم تسمع؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا"[2]، فالنص واضح وصريح بنفي التعب والإعياء عن الله تعالى، فهذا الكلام يناقض تماماً ما جاء في سفر التكوين، وسفر التثنية التي تم ذكرها في بداية المسألة، أقول: ان وجود مثل هذه المغالطات والتناقض في التوراة، ليدل وبشكل قاطع التحريف الذي طال كتب اليهود، وما تحويه من كذب وافتراء وبهتان.

خامساً: نصوص من التوراة تنسب التعب إلى الله تعالى من الذنوب والخطايا.

لم يكتفِ اليهود بنسبهم التعب والإعياء لله تعالى في الخلق، بل نسبوا إليه ذلك التعب، بسبب خطاياهم وأعمال أنبيائهم، والدليل على ذلك ما جاء في أسفارهم المقدسة على حد قولهم.

1. جاء في سفر ملاخي، فقد جاء فيه:" لقد أتعبتم الرب بكلامكم، وقلتم بما أتعبناه"[3].

2. جاء في سفر إشعياء الذي يحكي لنا المحاورة الصريحة التي حدثت بين الرب ويعقوب (عليه السلام) قائلين في ذلك:" وأنت لم تدعني يا يعقوب حتى تتعب من أجلي يا إسرائيل.. ولكن استخدمتني بخطاياك وأتعبتني بآثامك"[4].

---

[1] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ـ بيروت (1415هـ ـ 1995م) : 265/7.

[2] سفر إشعياء : 40/ 28 .

[3] سفر ملاخي : 17/2 .

[4] سفر إشعيا : 22/43 .

فالنصان صريحان بنسبة التعب إلى الله تعالى، وكان ذلك بسبب الكلام، كما هو مبين في سفر ملاخي، أما السبب الثاني، فكان بسبب الذنوب والخطايا التي ارتكبها يعقوب، بحق الرب، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

المسألة الرابعة: نسبهم الجهل إلى الله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة:

أ . قال اليهود في سفر الخروج الذي ما كان نصه:" فإن الرب يختار ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب"[1].

النص واضح وصريح في زعم اليهود إن الله تعالى، أمرهم قبل الخروج من مصر أن يلطخوا أبوابهم، العتبة والقائمتين بالدم حتى يعرفهم بعلاماتهم ولا يهلكهم، فيستدل بذلك عليهم.

ب . وجاء في سفر التكوين افتراء آخر لا يتخيله ذي عقل سليم، فقد جاء فيه:" وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدام من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: (أين أنت...) فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال من أعلمك إنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت"[2].

ثانياً: أ . يدحض القرآن الكريم ذلك الزعم الباطل، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[3].

---

[1] سفر الخروج : 23/12.
[2] سفر التكوين : 3/ 8 - 12 .
[3] سورة سبأ : الآية (3) .

ب . جاء في قصة نبي الله آدم (عليه السلام): چۀ ۀ ہ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ

ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛچ[1].

ثالثاً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. بين الشيخ طنطاوي معنى الآية الواردة من سورة سبأ، معتمداً في ذلك على المعنى اللغوي لكلمة (يعزب)، فهو بمعنى يغيب ويخفى من باب فعل، يقال: عزُب الشيء يعزُب، بضم الزاي وكسرها[2]. والعزب هنا جاء بمعنى: لا يغيب عن علمه شيء[3]، والمعنى في ذلك، إن الله تعالى يرد على منكري الساعة، آمراً نبيه (ﷺ) أن يخبرهم بأنها آتية ولاشك في ذلك مطلقاً، لأن المخبر عنها هو الله تعالى، فهو عالم ما غاب وما خفي عن حسهم، وهو سبحانه لا يغيب عن علمه وزن مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وهذا كله مثبت وكائن عنده في علمه ـ تعالى ـ الذي لا يغيب عنه شيء، أو في اللوح المحفوظ الذي فيه تسجيل أحوال الخلائق وأقوالهم وأفعالهم[4] ، وذكرت الذرة هنا، لتمثيل قلة الشيء ودقته، فهي تطلق على الشيء البالغ النهاية في الصغر، والذرة تطلق على النملة، وعلى الغبار الذي يتطاير من التراب عند النفخ، والمراد هنا، أنه لا يغيب عن علمه شيء، مهما دق أو صغر[5].

2. بيّن الشيخ معنى هذه الآية معتمداً في ذلك على قواعد النحو العربي قائلاً في ذلك: أما قوله تعالى ـ عالم الغيب قرأه بعضهم بكسر الميم على أنه نعت لقوله ربي، أي: قل بلى

---

[1] سورة الأعراف : الآيات (19 ـ 23) .
[2] ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 596/1، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 267/11 .
[3] ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان، ط1، 2001م : 88/2، وينظر: لسان العرب، لابن منظور : 596/1 .
[4] ينظر: تفسير الوسيط : 266/11 .
[5] ينظر: المصدر نفسه : 11/ 266 .

وربي عالم الغيب لتأتينكم الساعة، وقرأه آخرون بضم الميم على أنه مبتدأ، وخبره جملة: لا يعزب عنه، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو عالم الغيب[1].

3. يبين لنا الشيخ معنى الآية الكريمة معتمداً في ذلك على ما جاء في العلوم الحديثة، ذاكراً الإعجاز العلمي الوارد في القرآن الكريم، الذي جاء في قوله تعالى: (ک ڪ گ گ)، إذ كان معروف إلى عهد قريب، أن الذرة أصغر الأجسام، فأشار القرآن إلى وجود ما هو أصغر منها، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث بعد تحطيم الذرة، وتقسيمها إلى جزيئات[2].

4. يبين لنا الشيخ معنى الآيات الواردات في سورة الأعراف، في قصة نبي الله آدم (عليه السلام) مبتدأ الكلام بـ[3]:

أ . ببيان لقواعد النحو العربي، حيث بدأت الآية الكريمة بـ(النداء)، وذلك للتنبيه على الاهتمام بالمأمور به، وتخصيص الخطاب بآدم (عليه السلام)، والسبب في ذلك يعود إلى الإيذان بأصالته بالتلقي وتعاطي المأمور به.

ب . ثم بين الشيخ معنى هذه الآيات معتمداً في ذلك على معاني اللغة العربية، فقد ذكرنا معنى قوله تعالى في: (ۀ) فهو من السكنى وهو اللبث والإقامة والاستقرار، دون السكون الذي هو ضد الحركة[4]، أما المراد بالزوج، فهو يطلق على كل من الرجل والمرأة، والمراد هنا حواء، حيث تقول للمرأة زوج ولا تكاد تقول زوجة[5].

ثم يذكر لنا معنى الجنة، قائلاً في ذلك: هي كل بستان ذي شجر متكاثف ملتف الأغصان، يضلل ما تحته ويستره وهو ستر الشيء عن الحواس[6].

---

[1] المصدر نفسه : 11/ 266 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 267/11 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 255/5 - 256 .
[4] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 151/1 .
[5] ينظر: المصدر نفسه : 138/1 .
[6] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 1/ 62 .

جـ . يستشهد الشيخ (رحمه الله) بقول جمهور أهل السنة، في المراد (بالجنة) هنا، إذ قالوا أن المراد بها هنا هي دار الثواب التي أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة، وذلك لأن هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق هذه التسمية.

د . يذكر الشيخ قول فرقة من الفرق المسلمة وهو قول المعتزلة في الجنة، إذ قالوا: إن المراد بها هنا بستان مرتفع من الأرض خلقه الله لإسكان آدم وزوجته، واختلفوا في مكانه، فقيل تنه بفلسطين، وقيل بغيرها.

هـ . يبين الشيخ طنطاوي رأيه في هذين القولين قائلاً: والذي نراه أن الأحوط والأسلم الكف عن تعينهما وعن القطع به، وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدي[1] في التأويلات، إذ ليس لهذه المسألة تأثير في العقيدة.

و. يبين الشيخ توجيه خطابه تعالى في قوله: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ) إليهما، أي: (آدم وحواء)، وذلك لتعميم التشريف والإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به، إذ أمرهم تعالى أن يأكلا من مطاعم الجنة وثمارها أكلاً واسعاً من أي مكان أرادوا.

ثم يبين الشيخ نهيه تعالى عن الأكل من شجرة معينة، وذلك بقوله تعالى:(ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ)، معتمداً في بيان معنى هذه الآية الكريمة على[2]:

أ . معاني اللغة العربية، فقد يذكر الشيخ معنى كلمة القرب، وهو الدنو، والمنهي عنه هنا هو الأكل من الشجرة، وتعليق النهي على القرب منها، أي: (الشجرة) القصد منه المبالغة في النهي عن الأكل، وذلك لأن النهي عن القرب من الشيء هو نهي عن فعله من باب أولى، ثم أكد النهي بأن جعل عدم اجتناب الأكل من الشجرة ظلماً.

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 256/5 .

[2] ينظر: المصدر نفسه : 256/5 .

فقال: (ئې ئۈ ئۈ)، فقد يظلما أنفسهما إذا أكلا من هذه الشجرة، فقد ترتب على الأكل منها الخروج من الجنة التي كانا يعيشان فيها عيشة راضية.

ب . يذكر لنا الشيخ كلام العلماء في اسم الشجرة ونوعها، فقيل هي التينة، وقيل هي السنبلة، وقيل هي الكرمة...إلخ من الأقوال، إلا أن القرآن الكريم لم يذكر نوعها على عادته في عدم التعرض لذكر ما لم يدع المقصود من سياق القصة إلى بيانه.

جـ . يذكر الشيخ قول ابن جرير مثنياً عليه، إذ قال التعبير عن معنى الشجرة بـ(والصواب في ذلك أن يقال: أن الله تعالى نهى آدم وزوجه عن الأكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة، وقد قيل كانت شجرة البر، وقيل شجرة العنب، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به"[1].

د . ثم يبين الشيخ معنى قوله تعالى: (ۀ ۇ ۇ) معتمداً في ذلك على معاني اللغة العربية قائلاً في الوسوسة، والوسوسة في الأصل الصوت الخفي، ومنه قيل لصوت الحلي وسواس[2]، ثم يذكر لنا المراد بها قائلاً: أما المراد بها هنا: هو الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ليقارف الذنب.

5. يبين الشيخ معنى قوله تعالى في: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ)، معتمداً في ذلك على:

معاني اللغة العربية وعلى وجه من وجوه البلاغة وهو (الكناية)، قائلاً في ذلك: ووري هو من المواراة وهي الستر[3]، أما السوءة، فهي فرج المرأة والرجل وهي من السوء، وإنما

[1] تفسير الطبري، الطبري : 346/12 .
[2] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 339/1 .
[3] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 337/1 .

سميت بذلك؛ لأن انكشافها يسوء صاحبها[1]، وقيل الكلام كناية عن إزالة الحرمة وإسقاط الجاه.

6. بين لنا الشيخ المعنى الإجمالي للآية قائلاً: إن إبليس وسوس إلى كل من آدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة، لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما ستر عنهما من عورتهما، وكانا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، وفي هذا التعبير تصريح بأن كشف العورة من أقبح الفواحش التي نهى الله تعالى عنها[2].

7. يبين الشيخ معنى الآية في قوله تعالى: (ۅ ۉ ۋ ې ې ﯿ ﯿ □ □ □ □ □ □ □) معتمداً في ذلك على:

أ . ما حكاه القرآن، في إن إبليس لم يكتف بالوسوسة فقط، وإنما خدعهما قائلاً: ما نهاكما عن الأكل من هذه الشجرة، إلا كراهية أن، تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين[3].

ب . ما جاء في هذه الآية الكريمة من قواعد النحو العربي قائلاً: أما قوله(ﯿ □ □ □)، فهو استثناء مفرغ من المفعول لأجله، بتقدير مضاف أو حذف حرف النقي ليكون علة، أي: كراهة أن تكونا ملكين[4].

جـ . يذكر لنا الشيخ في إن إبليس لم يكتف بالوسوسة أو بالقول المجرد، معتمداً في ذلك على ما حكاه لنا القرآن الكريم، فقد أضاف إلى قوله تعالى، القسم المؤكد فقال كما جاء في قوله تعالى:

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 156/1 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 257/5 .
[3] المصدر نفسه : 257/5 .
[4] ينظر: المصدر نفسه : 257/5 .

(□ □ □ □ □ □)، أي: أقسم إبليس إلى كل من آدم وحواء إنه لهم من الناصحين المخلصين الذين يسعون دائماً لما فيه منفعتهما[1].

د . ثم يذكر الشيخ ما حكاه القرآن الكريم في كيفية نجاح إبليس في خداع آدم وحواء، فقال تعالى: (□ □)، أي: أنزلهما من مرتبة الطاعة إلى مرتبة المعصية وأطعمهما في غير مطمع بسبب ما غرهما به من القسم[2].

هـ . ثم يوضح الشيخ الآثار المترتبة على خديعة إبليس معتمداً في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم، فقد جاء في قوله تعالى:(□ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □)، أي: فلما خالفا أمره تعالى، وذلك بأكلهم من الشجرة المحرمة التي نُهي عن الأكل منها، ترتب عليهم ما يأتي:

– تساقط اللباس عنهما.

– ظهرت لهما عورتهما.

– شرعا يلزقان من ورق الجنة ورقة فوق الأخرى عن عورتهما لسترها[3].

و. ذكر أقوال بعض العلماء، معتمداً عليها في تفسير ما جاء في الآية الكريمة : (□ □ □ ى ى) قائلاً: قال بعض العلماء:" ولعل المعنى ـ والله أعلم ـ أنهما لما ذاقا الشجرة وقد نهيا عن الأكل منها ظهر لهما أنهما قد زلا، وخلعا ثوب الطاعة، وبدت منهما سوأة المعصية، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء من ربهما، فأخذا يفعلان ما يفعل الخائف الخجل عادةً من الاستتار والاستخفاء حتى لا يرى، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما ليسترا بها، وما لهما إذ ذاك حيلة سوى ذلك، فلما سمعا النداء الرباني بتقريعهما ولومهما ألهما أن يتوبا إلى

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 257/5 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 258/5 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 258/5 .

الله ويستغفرا من ذنبهما بكلمات من فيض الرحمة الإلهية، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم، وقال لهما فقط، أولهما ولذريتهما، أولهما ولإبليس: أهبطوا من الجنة إلى الأرض، لينفذ ما أراد الله من استخلاف آدم وذريته في الأرض، وعمارة الدنيا بهم إلى الأجل المسمى، ومنازعة عدوهم لهم فيها، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً"[1].

6. بين قوله تعالى: وناداهما ربهما بطريق العتاب والتوبيخ (□ □ □ □ □ □)، أي: الأكل منها، وأقل لكما أن الشيطان لكم عدو، ظاهر العداوة لا يفتر عن إيذاءكما وإيقاع الشر بكما، وهنا التمس كل من آدم وحواء من ربهما الصفح والمغفرة، وذلك بقولهما: (ٱ ٻ ٻ ٻ)، أي: أضررناها بالمعصية والمخالفة، وإن لم تغفر لنا ما سلف من ذنوبنا وترحمنا بقبول توبتنا (ٺ ٺ ٺ) الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة[2].

أقول: وبهذا العرض لتفسير هذا الجمع من آي القرآن الكريم تبين لي كباحثة إن الله تعالى لم يكن جاهلاً ـ حاشاه ـ في قصة نبي الله آدم (عليه السلام)، بل كان عالم بها، ـ وهو العالم ـ بكل تفاصيلها ودقائقها، وهذا ما حكاه لنا القرآن الكريم، داحضاً ما جاءت به اليهود من جهله ـ تعالى ـ ماذا فعل كل من آدم وحواء (عليهما السلام) في الجنة، والقرآن الكريم يدحض كل من افترى هذا الافتراء.

رابعاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال ابن عباس (رضي الله عنه) في معنى الآية الكريمة الواردة من سورة سبأ، إنه تعالى يقسم بنفسه في هذه الآية المباركة، على أن الساعة آتية، ولاشك في ذلك مطلقاً، آمراً نبيه أن يخبر منكري الساعة من المشركين، وكفار مكة، إن قيام الساعة آتٍ، لأن كل من غاب عن العباد يعلمه الله تعالى، ولا يغيب عنه وعن علمه المحيط، مقدار وزن ذرة لا في

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 258/5، نقلاً عن تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف : 255 .

[2] ينظر: المصدر نفسه : 259/5 .

السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وهذا كله مثبت وكائن في علمه تعالى الذي لا يغيب عنه شيء، أو في اللوح المحفوظ الذي فيه تسجيل أحوال الخلائق من أقوال أو أفعال[1].

2. قال الإمام الرازي (رحمه الله): إن في هذه الآية إشارة قاطعة على نفي الجهل عن الله تعالى، والدليل على ذلك علمه بكل شيء صغيره وكبيره، ولا يخفى عليه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض، فقيام الساعة أمام هذا العلم الكبير أمر ممكن، وفي هذا إخبار منه (جل ثناؤه) على ان قيام الساعة أمر واقع لا محال، ثم يشير الله تعالى إشارة أخرى في قوله: (ژ ژ ڑ ک ک)، وهي إن الإنسان مخلوق كما نعلم، من جسم وروح، فالأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقوله: (ڈ ڈ ڎ ڎ ژ ژ ڑ) إشارة واضحة على علمه بالأرواح، أما قوله: (ڑ ک ک)، إشارة على علمه بالأجسام، فهو بهذا عالم بالأرواح والأجسام لا وبل قادر على جمعها فلا يمكن بهذا أن يُستبعد المعاد، فهو تعالى مدبر أمر الخلائق جميعها، لا يشغله شأن عن شأن ولا يلهيه تدبر الكبير عن الصغير في الجبال والعمران وكل شيء[2]

المسألة الخامسة: الله (سبحانه وتعالى) يمشي على الأرض.

---

(1) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ينسب لابن عباس (رضي الله عنهما) (68هـ)، مجد الدين أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، دار الكتب العلمية ـ لبنان : 359 .

(2) ينظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط3، 1420هـ : 192/25 .

أولاً: تأصيل المسألة.

أ. قال اليهود في سفرهم المحرف، سفر الخروج، فقد جاء فيه:" وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرق البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، دليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً، لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب"[1].

جاء في سفر الخروج من توراتهم إن بني إسرائيل عندما رفضوا الدخول إلى الأرض المقدسة التي جعلها الله لهم، استحقوا من الله تعالى عقاب، فكان عقابهم هو التيه في صحراء سيناء، إلا إن الرب كما يزعمون لن يتركهم تائهين هكذا ولاسيما إنهم شعبه المختار، لذلك وصفوه تعالى بأنه يسير أمامهم في الطريق ليلاً ونهاراً حتى لا يظلوا؟! ورغم هذا الجهد من قبل الرب إلا إنه لم يستطيع أن يأخذ بأيديهم إلى النجاة لمدة أربعين عاماً[2].

ب . دحض القرآن الكريم ذلك الزعم الباطل، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼ[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. استعمل الشيخ نص الآية الكريمة في بيان المراد منها قائلاً: مدح سبحانه ذاته، وذلك بقوله: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ)، أي: إن الله تعالى استوى على عرشه، ملكه استواء يليق بذاته بلا كيف أو تشبيه أو تمثيل[4].

2. يعتمد الشيخ على أقوال الفقهاء في بيان المراد بالآية الكريمة، فقد نقل عن الإمام مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان واجب، والسؤال بدعة[5].

---

[1] سفر الخروج : 20/13 - 22 .
[2] ينظر: الله جل جلاله والأنبياء (عليهم السلام)، محمد علي البار ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1 (1410هـ - 1990م) : 23.
[3] سورة طه : الآية (5) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 87/9 .
[5] ينظر: المصدر نفسه : 87/9 .

3. يبين الشيخ عدد المرات التي ذكر فيها العرش في القرآن الكريم وهي إحدى وعشرين آية من آيات القرآن الكريم[1].

4. اعتمد الشيخ على أقوال العلماء في بيان معنى الآية الكريمة قائلاً:" أما الاستواء على العرش فذهب سلف الأُمة، ومنهم الأئمة الأربعة، إلى إنه صفة لله ـ تعالى ـ بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل لاستحالة اتصافه ـ تعالى ـ بصفات المحدثين، ولوجوب تنزيهه تعالى عما لا يليق به (ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ)، وإنه يجب الإيمان بها كما وردت، وتفويض العلم بحقيقتها إليه تعالى"[2].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة:

1. قال الإمام الغزالي (رحمه الله): أعلم ان الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر والعلم هو ما ذهب إليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين)، وإن حقيقة مذهب السلف هو الحق عندنا وأن من بلغه حديث من الأحاديث من عوام الخلف يجب عليه سبعة أمور: التقديس والتصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة، أما التقديس فأعني به تنزيه الرب (سبحانه وتعالى) عن الجسمية وتوابعها[3].

2. قال الإمام الشافعي (رحمه الله) عندما سُئل عن الاستواء: آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل وأفهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك[4].

المسألة السادسة: زعمهم إن رؤية الله (سبحانه وتعالى) ممكنة في الأرض.

أولاً: تأصيل المسألة.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 9/ 87 .

[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 87/9، نقلاً عن صفوة التفاسير، حسنين محمد مخلوف : 293/1 .

[3] ينظر: إلجام العوام عن علم الكلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، طبعة القاهرة : 42.

[4] أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المتشابهات، مرعي بن يوسف بن ابي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت1033هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1، 1406هـ : 121.

أ . قال اليهود في سفر الخروج:" ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه ضعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا "[1].

ب . تذكر التوراة ان نبي الله موسى (عليه السلام) استطاع أن يرى ظهر الله (تعالى)، وكان ذلك أبشع ما يصورونه ويعتقدونه، فقد جاء في سفرهم:" ثم أرفع يدي فنظر ورائي، وأما وجهي فلا يرى[2].

ج . يدحض القرآن الكريم ذلك الزعم الباطل، وذلك عندما نفى رؤية نبي الله موسى (عليه السلام)، فقد جاء في قوله تعالى: چ ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ چ[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة:

1. فسر الشيخ معنى الآية الكريمة من سورة الأعراف قائلاً: لما حضر موسى (عليه السلام) لموقتنا الذي وقتناه له وحددناه، وخاطبه ربه من غير واسطة ملك، قال موسى (عليه السلام) ربي أرني ذاتك الجليلة، والمراد هنا مكني من رؤيتك، أو تجل لي، حتى أنظر إليك وأراك[4].

2. استعمل الشيخ قواعد النحو العربي في بيان المراد من الآية الكريمة:

أ . أما الفعل (أرني): فهو فعل أمر مبني على حذف الياء، وياء المتكلم مفعول، والمفعول الثاني محذوف، أي: ذاتك أو نفسك ولم يصرح به لأنه معلوم، وزيادة في التأدب مع الخالق (عز وجل).

---

(1) سفر الخروج : 24/ 10 - 11.

(2) سفر الخروج : 33/ 23 .

(3) سورة الأعراف : من الآية (143) .

(4) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 371/5 .

ب . أما جملة (لن تراني): فهي مستأنفة استئنافاً بيانياً، وأنه قيل: فماذا قال تعالى حين قال له موسى ذلك، فكان الجواب: (لن تراني)، أي: لن تطيق رؤيتي، وأنت في هذه النشأة وعلى الحالة التي أنت فيها في هذه الدنيا[1].

3. بيّن الشيخ أن نفي الرؤية منصب على ما كان عليه موسى (عليه السلام)، أي: في الحالة الدنيوية[2]، وفي هذا رد حاسم على اليهود، الذين يزعمون إن رؤية الله ممكنة في الأرض، أما في الآخرة فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين يرون ربهم في روضات الجنان[3].

ثالثاً: أقوال العلماء في رؤية الله.

1. قال الإمام الآلوسي (رحمه الله): إن هذه الآية الكريمة تدل على إمكانية الرؤية من وجهين هما[4]:

أ . الأول: إن موسى (عليه السلام) سأل بها ربه صريحاً وذلك بقوله: (ۋ ۇ ۆ ۈ)، فلو كانت الرؤية مستحيلة لما طلبها نبي الله موسى (عليه السلام) وهو أعلم بالاستحالة ولاسيما إنه نبي من أولى العزم، فهو لا يسأل المحال ولا يطلبه عادة.

ب . الثاني: كان تعليق الرؤية على استقرار الجبل وهذا ممكن في ذاته وما علق على ممكن فهو ممكن.

2. قال صاحب كتاب إظهار الحق (رحمه الله):" إن الله تعالى ليس له سببه، وأن رؤية الله في الدنيا غير واقعة، وأن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط"[5].

---

[1] المصدر نفسه: 371/5 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 371/5 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 371/5 .
[4] ينظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي : 46/9 - 55 .
[5] مختصر إظهار الحق، محمد رحمة الله بن خليل الهندي الحنفي (1307هـ)، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ : 126 .

3. اختلف العلماء في رؤية الرسول محمد(ﷺ) ربه حين عرج إلى السماء، والصحيح أنه لم والصحيح أنه لم يرَ ربّه في المعراج، وقد صح عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت:" ومن زعم أن محمداً (ﷺ) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية"[1].

4. وكان للشيخ الشيرازي رأياً آخر في الرؤية، إذ قال: إن رؤية الله تعالى مستحيلة في هذا العالم وفي العالم الآخر، والدليل على ذلك استعمال القرآن الكريم أداة النفي الأبدية (لن) بقوله تعالى: (ۇ ۆ)، فهذا نفي صريح وابدي بعدم الرؤية[2].

أما ما ذُكر من خلاف بين الفرق الإسلامية بشأن الرؤية، وهو خلاف معروف فهو ليس بالأمر الخطير ما دام الفريقان ينزهان الله تعالى عن الجهة والتجسيم، فالفريق الذي ينكر الرؤية، ينزه الله تعالى عن الجهة والتجسيم، والفريق الذي يثبت الرؤية، رأى النصوص والأدلة صريحة بإثباتها، لكنه ينزه الله تعالى عن الجهة والتجسيم، أما الرؤية التي قالوا بها، وذلك لأن أحوال الآخرة لا تشبه أحوال الحياة الدنيا كما هو معلوم[3].

وفي معنى ذلك قال الإمام أبو حنيفة (رحمه الله):" لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه.. وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كمقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا"[4].

رابعاً: نصوص من التوراة تنفي الرؤية.

1. قال اليهود في سفر الخروج:" لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش"[1].

---

[1] رواه مسلم : 159/1، كتاب الإيمان، باب هل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء، رقم الحديث: (177).
[2] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1 (1428هـ ـ 2008م) : 142/5 ـ 143 .
[3] ينظر: أصول الدين الإسلامي، رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، طبعة دار الإمام الأعظم، بيروت ـ لبنان، ط2 (1432هـ ـ 2011م) : 135.
[4] شرح الفقه الأكبر، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1404هـ : 31/15 ـ 32

2. جاء في سفرهم:" ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يُرى"[2].

أقول: إن هذين النصان وردا في سفر الخروج، كما هو مبين في أعلاه، والعجب من ذلك: إن السفر نفسه ثبت رؤية الله في الحياة الدنيا، فأي تناقض هذا يقع في السفر نفسه، ليثبت للجميع التحريف الذي طال كتبهم المقدسة، على حد تعبيرهم، فالناظر لهذين النصين يجد وبشكل واضح ذلك التناقض، فالنص الأول الذي ذكر في المسألة يؤكد إمكانية رؤية الله تعالى، بينما النص الآخر يؤكد عدم إمكانية ذلك، بل ينذر فيها صاحبها بالموت إن رآه؟! فهل هذا يُعقل.

المسألة السابعة: المصارعة المزعومة بين الله (سبحانه وتعالى) وبين نبي الله يعقوب (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفرهم المسمى بالتكوين:" وبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذه يعقوب في مصارعة معه، وقال: أطلقني لأنه طلع الفجر، فقال: لا أُطلقك إن لم تباركني، فقال له بتأخر ما اسمك، فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان (فينئل) قائلاً: لأني نظرت مع الله وجهاً لوجه ونجت نفسي"[3].

ب . يدحض القرآن الكريم ذلك الزعم، فقد جاء في قوله تعالى: چ ڎ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹچ[4].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. استعمل الشيخ نص الآية في بيان المراد منها، قائلاً: نزه الله سبحانه ذاته عن الشبيه أو النظير، فقال: (ڎ ٹ ٹ) تعالى لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[5].

---

(1) سفر الخروج : 33 / 20.
(2) سفر الخروج : 23/33 .
(3) سفر التكوين : 32/ 25 - 32 .
(4) سورة الشورى : من الآية (11) .
(5) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 19/13.

2. استعمل الشيخ قواعد النحو العربي في بيان المراد بالآية الكريمة قائلاً: أما الكاف فهي مزيدة في خبر ليس، وشيء اسمها، أي: ليس شيء مثله، أو أن الكاف أصلية، فيكون المعنى ليس مثله تعالى أحد لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال[1].

3. استشهد الشيخ في بيان المعنى بكلام العرب، فالعرب تقول: مثلك لا يبخل، يعنون: أنت لا تبخل على سبيل الكناية، قصداً إلى المبالغة في نفي البخل عن المخاطب بنفيه عن مثله، فيثبت انتفاؤه عنه بدليله[2].

4. ثم يبين الشيخ المعنى الإجمالي للآية، قائلاً: تنزيهه تعالى عن مشابهة خلقه في الذات أو الصفات أو الأفعال[3].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال ابن حزم (رحمه الله): إن هذه المصارعة جعلت الإله شبيهاً بالإنسان، إذ يقول: "وذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله (عز وجل) عن ذلك، وعن كل شبهة لخلقه، فكيف عن لعب الصراع، الذي لا يعقله إلا أهل البطالة، وأما أهل العقول فلا يعقلونه لغير ضرورة"[4].

2. قال الإمام الغزالي (رحمه الله): تلك القصة التي تعد من أغرب وأفجر ما اختلقه الروائيون، قائلين فيها: دامت هذه المصارعة ليلاً طويلاً، وكاد يعقوب أن يصرع ربه لولا الله الذي لجأ إلى حيلة هزم فيه يعقوب[5]،

3. يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري[1]: إن هذا الصراع الذي تذكره لنا التوراة المحرفة وقائعه تشابه وتماثل الأساطير اليونانية، ولاسيما الملحمة الأكدية المعروفة، فيكتسب البطل

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 19/13 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 13/ 19 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط : 13/ 19 .
[4] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (ت456هـ)، مكتبة الخانجي ـ القاهرة : 232/1 .
[5] ينظر: قذائف الحق، محمد الغزالي، مكتبة ذات السلاسل ـ الكويت : 17/2 .

بصراعة هذا مع الإله صفات تجعله فوق البشر أو نصف إله، وكذلك يكتسب البطل إذا انتصر على الإله حق دائم بنصرة الإله على الآخرين[2].

المبحث الثاني

عباداتُ اليهود والرد عليهم

مدخل:

---

[1] ترجمة الدكتور عبد الوهاب المسيري: تخرج من جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، فرع الإنجليزي، سنة (1959م)، وحصل على ماجستير الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة كولومبيا (الولايات المتحدة الأمريكية)، وكان هذا في سنة 1964م، ثم حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي المقارن أيضاً، شغل منصب خبير للصهيونية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام حتى عام 1975، صدر له العديد من الكتب أهمها: نهاية التاريخ : مقدمة لدراسة الفكر الصهيوني (1972م) و(أرض الوعد) و(الفردوس الأرضي) و(من هو اليهودي) و(اليد الخفية)، نقلاً عن مقدمة موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : 11/1 - 12.

[2] ينظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق ـ القاهرة، 2004م : 84/4 .

كانت عقيدة اليهود قبل أن يطالها التحريف، عقيدة التوحيد الخالصة، التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى (عليه السلام)، إلا ان اليهود حرفوها وبدّلوها وابتدعوا فيها ما لم ينزل به الله تعالى، حتى صاروا فيما بعد على الشرك الدائم مع الله تعالى، هذا وقد بدا انحراف العقيدة عندهم في عهد نبي الله موسى (عليه السلام)، وهو حي يُرزق بين أظهرهم، والدليل على ذلك الانحراف ما طلبوه من نبيهم أن يريهم الله تارة، ثم اتخذوا العجل إلهاً يُعبد من دون الله تارة أخرى[1]، فهم لم يستطيعوا أن يستقروا على عبادة الواحد الأحد في أي فترة من فتراتهم، وكان اتجاههم إلى التجسيد والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم، على الرغم من صلة النسب بينهم وبين نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، فالبدائية الدينية كانت الطابع الغالب عليهم، وكثرة الأنبياء فيهم هو دليل قاطع على تجدد الشرك فيهم، فهم بحاجة دائمة إلى إرسال الرسل، ليجددوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى دائماً[2]، لأن اليهود وبكل بساطة ورثوا الكتاب ودرسوه، لكنهم لم يكتفوا به، ولم تتأثر قلوبهم، ولم ينتفع به سلوكهم، شأنهم في ذلك شأن العقيدة حينما تتحول إلى ثقافة تدرس، وعلم يحفظ فهم كلما رأوا عرضاً من أعراض الدنيا تهافتوا عليه، ثم قالوا (سيغفر لنا) وهكذا[3]، والسبب يرجع في ذلك إلى الطبيعة اليهودية فهي أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، وأميل إلى التجسيد منها إلى التجديد، وقد انعكس ذلك على فكرتهم عن الله تعالى، فهم لم يستطيعوا بتلك النفسية أن يتصوروا الله كائناً سامياً منزهاً عن المادة ولوازمها، ولهذا أشارت كتبهم المقدسة وفي مواضع كثيرة إلى المادية والتجسيد، وتمثله تعالى في أشياء قرروا إنها من خلقه[4]، وكان انعكاس ذلك على عبادتهم، فهم لم يقتصروا على عبادة الأصنام والأوثان والتماثيل التي يصنعونها بأيديهم، بل تنوعت وكثرت المعبودات فيهم، فهم اتخذوا من الأحجار والمعادن والنباتات والحيوانات

---

[1] ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1 (1413هـ - 1992م) : 19 - 20 .

[2] ينظر: مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط2، 1988م : 154 - 155 .

[3] ينظر: الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً لوجه، اسطورة الوطن اليهودي، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، 1992م : 89 .

[4] قصة الأديان، رفقي زاهر، دراسة تاريخية مقارنة، ط1 (1400هـ - 1980م) : 64 .

والشمس والقمر والنجوم آلهة تُعبد من دون الله تعالى، بينما نجد تلك المعبودات تخر سُجداً لله (عز وجل) ، والدليل على ذلك ما جاء قوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[1] [2].

المطلب الأول: عبادة العجل إلهاً من دون الله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفرهم المزعوم من توراتهم:" لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: (أنزعوا) أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في أذنهم وآتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصفه

---

[1] سورة الحج : من الآية (18) .

[2] ينظر: جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، سميرة عبد الله بكر بناتي، جامعة أم القرى (1418- 1997م)، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها برقم (14) : 99 .

عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب، فبكروا وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح السلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر "[1].

ب . صور القرآن الكريم عبادة العجل في مواضع عدة منها:

1. ما جاء في سورة الأعراف، چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چچ[2].

2. قال تعالى: چ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ[3].

ثانياً: ردود الشيخ على المسألة.

1. أ . فسر الشيخ طنطاوي آيات القرآن الكريم الواردة في سورة آل عمران، راداً على اليهود في مسألة صناعة العجل قائلاً: يحكي لنا القرآن الكريم قصة عجيبة لبني إسرائيل وهي، بعد أن خرجوا من أرض مصر منتصرين بقيادة نبيهم موسى (عليه السلام)، وبعد أن أغرق الله فرعون وجنوده في البحر بمعجزة شق البحر بالعصا، سائرين مع نبيهم إلى الأرض المقدسة، ولكنهم بعد ما جاوزوا البحر وقعت أبصارهم على قوم يعبدون أصناماً من دون الله

---

[1] سفر الخروج : 32/ 1 - 8 .
[2] سورة الأعراف : الآيات (138 - 140) .
[3] سورة الأعراف : الآية (148) .

تعالى، فماذا كان من بني إسرائيل؟ كان منهم إن عاودتهم تلك الطبيعة الوثنية المتأصلة، فطلبوا من نبيهم أن يصنع لهم آلهة من جنس الآلهة التي يعبدها أولئك القوم[1].

ب . ثم يذكر الشيخ المنن العظيمة التي منحها الله إلى بني إسرائيل، ومنها منة عبورهم ذلك البحر، بعد أن ألهم الله تعالى نبيهم أن يضربه بالعصا، فيصبح يابساً يسيرون فيه بأمان واطمئنان، حتى عبروه إلى الناحية الأخرى يصحبهم لطف الله تعالى وتحدوهم عنايته ورعايته، والمراد بالبحر هنا هو بحر القلزم، وهو المسمى الآن بالبحر الأحمر[2].

جـ . يبين الشيخ نتيجة مشاهدة بني إسرائيل أحوال بعض المشركين عقب عبورهم البحر ونجاتهم من عدوهم، وذلك لأن المتوقع منهم أن يحتقروا ما شاهدوه، وأن ينفروا مما أبصروه للأسباب الآتية:

1. لأن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون سوء العذاب في ظل عبادة الأصنام عند فرعون وقومه.

2. لأن نجاتهم مما كانوا فيه من ذل وهوان، قد تمت على يد نبيهم الذي دعاهم إلى التوحيد.

فطبيعة بني إسرائيل المعوجة لم تفارقهم أبداً، فسرعان ما وقعت أبصارهم على قوم يداومون على عبادة أصنام لهم، حتى انجذبوا إليها، وطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم وثناً كغيرهم لكي يعبدوه من جديد.

د. يذكر لنا الشيخ أسباب طلب بني إسرائيل من نبيهم أن يجعل لهم وثناً قائلاً في ذلك[3].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 364/5 .
[2] المصدر نفسه : 364/5 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 365/5 .

1. وذلك لأن الإيمان لم يستقر في قلوبهم.

2. ما ألفوه من عبادة الأصنام أيام استعباد فرعون لهم ما زال متمكناً من نفوسهم ومسيطراً على عقولهم.

3. بسبب عدوى الأمراض التي تصيب النفوس كما تصيب الأبدان، وهكذا هي طبيعة بني إسرائيل ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط وما تكاد تسير في طريق الاستقامة حتى ترتكس وتنتكس.

4. يستدل الشيخ على غباء عقول بني إسرائيل، فاستعمله " أما قولهم لنبيهم (ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ) كان ذلك بصيغة الأمر، وهذا إن دل فهو دليل على غباء عقولهم، وسوء أدبهم؛ لأنهم لو استأذنوه ـ مثلاً ـ في اتخاذ صنم يعبدونه كغيرهم لكان شأنهم أقل غرابة ولكن الذي حصل منهم أنهم طلبوا منه أن يقوم هو بنفسه بصناعة صنم لكي يعبدوه كغيرهم، ولاسيما هو نبيهم الداعي لهم إلى التوحيد، والمنقذ لهم من عدوهم الوثني الجبار[1].

5. ثم يذكر الشيخ اختلاف المفسرون في شأن القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم عند مرور بني إسرائيل بهم، فقيل هم من عرب لخم، وقيل هم من لخم وجذام، وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى (عليه السلام) قومه بقتالهم، وقيل إنهم من العرب الذين كانوا يقيمون بقرب حدود مصر[2].

6. يستدل الشيخ على نظير قول بني إسرائيل معتمداً في ذلك على ما قاله الإمام القرطبي (رحمه الله): ونظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط لأنهم كانوا ينوطون بها سلاحهم، أي: يعلقونه، وكان الكفار يعظمون هذه الشجرة في كل سنة يوماً، قال الأعراب: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 365/5 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 365/5 .

رسول الله (ﷺ):" الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة لتركبن سنن من قبلكم حذوا القذة بالقذة[1]، حتى إنهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه وكان هذا في مخرج إلى حنين"[2].

7. ثم يبين الشيخ معنى قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ) مفسراً إنكم يا بني إسرائيل بطلبكم هذا برهنتم على أنكم قوم قد ملأ الجهل قلوبكم، وغطى عقولكم، فصرتم لا تفرقون بين ما عليه هؤلاء من ضلال مبين، وبين ما تستحقه الألوهية من صفات وتعظيم، ولم يقيد تعالى ذلك الجهل، وذلك ليفيد أنه جهل كامل وشامل يتناول فقد العلم، وسفه النفس، وفساد العقل، وسوء التقدير [3].

8. يبين الشيخ معنى قوله تعالى: (ڤ ڤ ڤ) معتمداً في ذلك على قواعد النحو العربي: فقال لهم نبي الله موسى (عليه السلام) بأسلوب الاستئناف المفيد للتعليل: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ) مبيناً المعنى اللغوي لكلمة متبر: فهو من التتبير بمعنى الإهلاك أو التكسير والتحطيم، يقال، تبره يتبره وتبره، أي: أهلكه ودمره[4] [5].

ثم يبين الشيخ المعنى الإجمالي للآية الكريمة قائلاً: إن هؤلاء الذين يبتغون في عبادة الأوثان محكوم على ما هم فيه بالدمار، ومقضي على ما يعملونه من عبادة الأصنام بالإضمحلال والزوال؛ لأن دين التوحيد سيظهر في هذه الديار، وستصير العبادة لله الواحد القهار، وبهذا الرد يكون موسى (عليه السلام) قد كشف لقومه عن سوء ما يطلبون، وصرح لهم بأن مصير ما يبغونه إلى الهلاك والتدمير [6].

---

[1] القذة: ريش السهم، ينظر: المعجم الوسيط : 721/2.
[2] تفسير الوسيط : 366/5، نقلاً عن الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 273/7 .
[3] المصدر نفسه : 366/5 .
[4] ينظر: تفسير الوسيط : 366/5 .
[5] ينظر: معجم الوسيط : 81/1.
[6] تفسير الوسيط، طنطاوي : 366/5 .

9. يعتمد الشيخ على ما قاله الإمام الرازي في بطلان عمل بني إسرائيل قائلاً: قال الإمام الرازي: (والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من عبادة ذلك العجل نفع ولا دفع ضرر، وتحقيق القول في هذا الباب أن المقصود من العبادة أن تصير المواظبة على تلك الأعمال سبباً لاستحكام ذكر الله تعالى في القلب حتى تصير الروح سعيدة بحصول تلك المعرفة فيها، فإذا اشتغل الإنسان بعبادة غير الله تعلق قلبه بغيره، ويصير ذلك التعلق سبباً لإعراض القلب عن ذكره تعالى، وإذا ثبت هذا التحقيق ظهر أن الاشتغال بعبادة غير الله متبر وباطل وضائع، وسعى في تحصيل ضد هذا الشيء ونقيضه، لأنا بينا أن المقصود من العبادة رسوخ معرفة الله تعالى في القلب والاشتغال بعبادة غير الله يزيل معرفته عن القلب، فكان هذا ضد الغرض ونقيضاً للمطلوب ـ والله أعلم)[1].

10. استعمل الشيخ في بيان قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ) على ما جاء من قواعد النحو العربي مبيناً، خروج الاستفهام في قوله (ﭻ) للإنكار المشرب معنى التعجب، لإبتغائهم معبوداً سوى الله تعالى الذي غمرهم بنعمه وأحاطهم بألوان إحسانه (وغير): منصوب على أنه مفعول به لأبغيكم على حذف اللام والتقدير: أأبغي لكم غير الله إلهاً، فلما حذف الحرف وصل الفعل بنفسه وهو غير منقاس، و(إلهاً) تميز لغير[2].

11. يبين لنا الشيخ ما صنعه بنو إسرائيل بعد فراق نبي الله موسى (عليه السلام) لهم، وذهابه لتلقي التوراة عن ربه، مستخلفاً عليهم أخاه هارون (عليه السلام)، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﭼ، معتمداً بذلك على:

1. استعمل الشيخ معاني اللغة العربية، مبيناً في ذلك معنى الآية الكريمة قائلاً: الحُلّي : بضم الحاء والتشديد، هي جمع حَلْى بفتح فسكون، وهو اسم ما تتزين به النساء من ذهب أو فضة[3]، أما قصة هذه الحلي فهي: كان نساء بني إسرائيل قبيل خروجهن من مصر قد

---

[1] المصدر نفسه : 367/5، نقلاً عن التفسير الكبير، الرازي : 350/14 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 367/5 .
[3] ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة : 195/1 .

استعرن من نساء المصريين، فلما أغرق الله تعالى فرعون وقومه، بقيت تلك الحلي في أيديهن، فجمعها السامري بحجة أنها لا تحل لهن، وصاغ منها عجلاً جسداً له خوار، وأوهمهم بأن هذا إلههم وإله موسى فعبدوه من دون الله[1].

2. اعتمد الشيخ قول الحافظ ابن كثير في اختلاف المفسرين في هذا العجل قائلاً: قال الحافظ ابن كثير:" وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحماً ودماً له خوار، أو استمر في كونه من ذهب إلا أنه يدخل في الهواء فيصوت كالبقر، على قولين والله أعلم"[2].

والمعنى: اتخذ قوم موسى من بعد فراقه لهم، لأخذ التوراة عن ربه، عجلاً جسداً له صوت البقر ليكون معبوداً لهم[3].

كما اعتمد على قول الإمام الزمخشري (رحمه الله) فيمن اتخذ العجل معبوداً قائلاً: قال صاحب الكشاف:" فإن قلت لم قيل: واتخذ موسى من بعده من حُليهم عجلاً والمتخذ هم السامري؟ قلت فيه وجهان:

أحدهما: أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلاً منهم باشره ووجد بين ظهرانيهم، كما يقال بنو تميم قالوا كذا، وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد، ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه.

الثاني: أن يراد واتخذوه إلهاً وعبدوه، فإن قلت لم قال من حليهم ولم تكن الحلي لهم إنما كانت عادية في أيديهم؟ قلت: الإضافة تكون بأدنى الملابس وكونها عوارى في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين، كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى قوله تعالى: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[4] [5].

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 379/5 .
[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 427/3 .
[3] المصدر السابق : 379/5 .
[4] سورة الشعراء : الآيات (57 - 59) .
[5] الكشاف، الزمخشري : 159/2 .

3. فسر الشيخ نص هذه الآية، مبيناً المعنى المراد بقوله تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ، والقول هنا تقريع لهم على جهالتهم، وفقدان عقولهم، والسبب في ذلك إن عمى البصيرة لهؤلاء القوم بلغ بهم إنهم لم يفطنوا حين عبدوا العجل، أنه لا يقدر على ما يقدر عليه آحاد البشر من الكلام والإرشاد إلى أي طريق من طرق الإفادة، وليس ذلك في صفات ربهم الذي له العبادة؛ لأن من صفاته تعالى أنه يكلم أنبياءه ورسله، ويرشد خلقه إلى طريق الخير، وينهاهم عن طريق الشر[1].

4. يبين الشيخ في التعبير عن ظلمهم بلفظ (كانوا)، قائلاً: إن لفظ (كانوا) هنا إنما يفيد الدوام والاستمرار، وذلك لإشعار بأن هذا الظلم هو دأبهم وعادتهم قبل هذا الاتخاذ، وأن ما صدر عنهم ليس بدعاً منهم ولا أول مناكيرهم، فقد سبق لهم أن قالوا لنبيهم بمجرد أن آتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون[2].

ثالثاً: براءة نبي الله هارون (عليه السلام) من صناعة العجل.

1. قال تعالى في كتابه العزيز: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[3]، فالنص القرآني صريح ببراءة ساحة نبي الله هارون (عليه السلام) من صناعة العجل الذي نسبته له التوراة بهتاناً وظلماً، كما ورد في النص التوراتي في بداءة المسألة، إذ نسب تعالى هذا الفعل إلى شخص يدعى بـ(السامري)، والسامري: هو اسم لشخص كان سبباً في ظلال بني إسرائيل، وقيل كان من زعماء بني إسرائيل وينسب إلى قبيلة تعرف بالسامرة[4]، وقيل فيه: إنه كان من قوم يعبدون البقر، وقيل غير ذلك من أقوال مظنونة غير محققة[5]، والمعنى في ذلك: قال تعالى لموسى (عليه

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 380/5 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 380/5 .
[3] سورة طه : الآيات (83 - 85) .
[4] السامرة: هي قبيلة من بني إسرائيل إليهم ينسب السامري، سكنوا نابلس من فلسطين، ويسمون أيضاً بالسمرة، ينظر: المعجم الوسيط : 448/1.
[5] ينظر: تفسير الوسيط : 137/9 .

السلام): إنا قد أخللنا قومك من بعد مفارقتك لهم، وكان السبب في ظلالهم السامري، حيث دعاهم إلى عبادة العجل فانقادوا له وأطاعوه[1].

رابعاً: نصوص من التوراة تنهي عن صنع التماثيل.

1. جاء في سفر الخروج ما نصه:" لا يكن لله آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا يسجد لهن ولا تعبدهن"[2]، وجاء:" لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب"[3]، وجاء في السفر نفسه:" لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة"[4].

فهذه النصوص واضحة في النهي عن صناعة التماثيل، فهذا تناقض واضح يقع في السفر المزعوم نفسه، فهذا إن دل فهو يدل على يد التحريف التي طالت التوراة، وآمنوا بها اليهود، فأي تناقض هذا يقع به أعداء الله.

خامساً: مصير من عبد العجل الذهبي.

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في توراتهم:" وقف موسى في باب المحلة، وقال من للرب فإليَّ، فاجتمع إليه جميع بني لاوي، فقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل: صنعوا كل واحد سيفه على فخذه، ومرّوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه وكل واحد قربه، ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل"[5]، ففي هذا النص إشارة واضحة لما فعله نبي الله موسى (عليه السلام) عندما أمر بني بني لاوي أن يقتل كل واحد أخاه، وأن يقتل كل واحد صاحبه، وأن يقتل كل واحد منهم قريبه، وهكذا استمر القتل حتى وقع في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل؟!

---

[1] المصدر نفسه : 137/9 .
[2] سفر الخروج : 3/20 - 5 .
[3] سفر الخروج : 23/20 .
[4] سفر الخروج : 34/ 17.
[5] سفر الخروج : 32/ 26 - 29.

ب . صور القرآن الكريم مصير من عبد العجل، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[1].

ثانياً: ردود الشيخ على المسألة.

1. بين الطنطاوي تفسير معنى هذه الآية الكريمة معتمداً في ذلك على قواعد النحو العربي: إن في نداء موسى (عليه السلام) لهم وذلك بقوله (يا قوم)، تلطف في الخطاب، وكان ذلك للأسباب التالية[2]:

أ . يجذب قلوب قومه إلى سماعه.

ب . يحملهم على تلقي أوامره، وذلك بحسن الطاعة.

جـ . ليشعرهم بأنهم قومه فهو منهم وهم منه، ومن كان بذلك الشأن لا يمكن أن يكذب عليهم أو يخدعهم، وإنما يريد لهم الخير.

2. ثم يوضح الشيخ معنى كلمة البارئ[3] قائلاً: هو خالق كل المخلوقات بدون تفاوت أو اضطراب، فيكون بذلك أخص من الخالق، ولذا قال تعالى الخالق البارئ المصور أراد الله في هذا التفسير الحكيم أموراً وهي[4]:

أ . تحريضهم على التوبة والاستجابة للبارئ الذي أحسن كل شيء خلقه.

ب . تقريع لهم على غباوتهم؛ لأنهم تركوا عبادة بديع السموات والأرض، وعبدوا عجلاً ضرب به المثل في الغباوة، فقالوا: (أبلد من الثور)، فكأنه سبحانه يقول لهم: لقد اتخذتم هذا العجل إلهاً لتشابههم معه في البلادة وضيق الأفق، فشتان بما جاء في التوراة، وما جاء في القرآن الكريم.

وبهذا ترى الباحثة فيما فعله بني إسرائيل في أثناء غياب نبي الله موسى (عليه السلام)، لميقات ربه المعروف، فهم عمدوا إلى عبادة العجل، ولم يتخلوا عن عبادة العجل قط، وبالرغم

---

(1) سورة البقرة : من الآية (54) .
(2) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 131/1 .
(3)تفسير الوسيط، طنطاوي : 131/1 .
(4) المصدر نفسه : 131/1 .

من وجود نبي التوحيد بين ظهرانهم، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى عبادة العجول، فهي تقليداً ما زال حياً في نفوسهم وذاكرتهم منذ كانوا في مصر[1]، وهم بهذا انحرفوا عن عقيدة التوحيد التي جاء بها نبيهم هذا، وقد نجد كثير من الباحثين والمفسرين اعتنوا كثيراً بموضوع عبادة العجل، والسبب يرجع في ذلك لاهتمام القرآن الكريم بتفاصيل ذلك الحدث، فقد ذُكر في مواضح كثيرة من القرآن منها ما تم ذكره من سورة آل عمران، ومنها ما جاء في سورة البقرة، فقد جاء في قوله تعالى: چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ چ[2].

3. وقد جاء في سورة طه: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨچ[3]، ومواضع كثيرة لا يسع المقام لحصرها جميعاً.

---

(1) ينظر: مقارنة الأديان ــ اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط8، 1988م : 151، وينظر: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، عبد الرزاق الأسود، الدار العربية للموسوعات ـ لبنان : 151/1 .

(2) سورة البقرة : الآية (92) .

(3) سورة طه : الآيتان (88 - 89) .

المطلب الثاني: عبادة الأحبار[1] والرهبان[2] آلهة من دون الله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة.

قال تعالى في كتابه العزيز: ڇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ڇ[3]، وهذا لون آخر من ألوان الانحراف اليهودي النصراني، وميلهم عن الحق إلى الباطل، وما فعلهم هذا إلا تقرير لما سبق عنهم من أقوال فاسدة وأفعال ذميمة[4].

ثانياً: ردود الشيخ الطنطاوي على المسألة، وكانت من جوانب عدة.

1. بيانه لقواعد النحو العربي: بيّن معنى الآية الكريمة على ما فعله اليهود في عباداتهم[5]:

أ . أما الضمير في قوله تعالى (ۇ) فهو يعود إلى الفريقين اللذين حكت الآية السابقة ما قالوه من باطل وبهتان.

---

(1) الأحبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه ومنه ثوب محبر، أي جمع الوينة والحسن، ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 157/4 - 158 .

(2) الرهبان: جمع راهب، وهم علماء النصارى، وهو الزاهد في متاع الدنيا، والمنعزل عن الناس، مأخوذ من الرهبة، وهو بمعنى الخشية والخوف من الله تعالى، ينظر: المصدر نفسه : 157/4 - 158 .

(3) سورة التوبة : الآية (131) .

(4) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 260/6 .

(5) ينظر: المصدر نفسه : 261/6 - 262 .

ب . قوله تعالى (ۋ ۅ ۅ)، فقد جاء المسيح هنا معطوف على قوله (أحبارهم)، والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف، أي: اتخذوه رباً وإلهاً.

جـ . أما قوله تعالى(ۉ ۉ ې ې) فهي جملة حالية، والحال فيها أنهم جميعاً ما أمروا على ألسنة رسلهم إلا بعبادة الله وحده، فهو المعبود الذي لا تعنوا الوجوه إلا ولا يكون الاعتماد إلا عليه، وكل ما سواه فهو مخلوق له.

د . قوله تعالى(□ □ □ □) هي صفة ثانية لقوله إلهاً، أو هو استئناف بياني لتعليل الأمر بعبادة الله وحده وأنه سبحانه هو المستحق لذلك شرعاً وعقلاً.

2. يعتمد الشيخ على ما جاء في التفسير المأثور عن الرسول محمد(ﷺ)، أما المراد باتخاذهم الأحبار والرهبان، أرباباً من دون الله، لأنهم أطاعوهم فيما أحلوه لهم، وفيما حرموه عليهم، ولو كان هذا التحليل والتحريم مخالفاً لشرع الله تعالى[1].

3. استعمل الطنطاوي في بيان عبادة القوم لأحبارهم ورهبانهم الحديث النبوي الشريف الذي يبين معنى الآية الكريمة: فقد روي عن الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم أنه لما بلغته دعوة رسول الله (ﷺ) فرّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومها، ثم منّ الرسول (ﷺ) على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله (ﷺ)، فقدم عدي المدينة، وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله (ﷺ) وفي عنق عدي صليب من فضة، وكان رسول الله يقرأ هذه الآية(ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ)، قال عدي: فقلت إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم[2].

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 261/6 .

(2) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى الترمذي (ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة الباب الحلبي ـ مصر، ط2 (1395هـ ـ 1975م) : 278/5، رقم الحديث: (3095) وأخرجه الطبري في تفسيره : 212/4.

4ثم يرد الله تعالى قولهم: (   )، فسبحانه هنا بمعنى تنزه[1]، أي: تنزه الله (عز وجل) وتقدس عن الشركاء والنفراء والأعوان والأضداد والأولاد، فهو رب العالمين وخالق الخلائق أجمعين[2].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال الطبري (رحمه الله)، سئل أبو العالية[3](رحمه الله): (كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)[4].

2. وقال القمي (رحمه الله) في معنى الآية الكريمة: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ)، أي: إنهم أطاعوهم بما أمروهم به وأخذوا بقولهم فاتخذوهم أرباباً من دون الله، وذلك بتركهم ما أمرهم الله به وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم، وما أمرهم به الأحبار والرهبان اتبعوه وأطاعوهم وعصوا الله (سبحانه وتعالى)، وإنما ذُكر ذلك في القرآن الكريم لكي نتعظ بهم، فعيّر الله (سبحانه وتعالى) بني إسرائيل بما صنعوا قائلاً لهم: ﭽ ۋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ چ[5][6].

---

[1] مختار الصحاح، الرازي : 140/1 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 262/6 .
[3] أبو العالية: هو رفيع – بالتصغير – ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء، ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة (90هـ) وقيل ما بعدها، ينظر: ترجمة في طبقات ابن سعد : 112/7 .
[4] ينظر: المرويات في تفسير الطبري : 212/14.
[5] سورة التوبة : من الآية (31).
[6] ينظر: تفسير القمي، لأبي حسن القمي (ت329هـ)، صححه: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، ط3 (1404هـ - 1983م): 289/1 .

3. قال الحافظ ابن كثير، قال حذيفة بن اليمان[1]: (كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)، وقال أيضاً: (أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه، فتلك كانت ربوبيتهم)، وقال: (لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم في المعاصي)، وقال في هذا المعنى عبد الله بن عباس (رضي الله عنه): (لم يأمروهم أن يسجدوا، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسماهم الله بذلك أرباباً)[2].

4. وقال الآلوسي (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ) يعني بالسجود لهم ونحوه مما لا يصلح إلا لله تعالى، وحينئذٍ فلا مجاز، إلا إنه مقال لأحد بعد صحة الخير عن الرسول (ﷺ)، وهذه الآية ناعية على كثير من الفرق الضالة المضلة، الذين تركوا كتاب الله (عز وجل) وسنة رسوله(ﷺ)، بسبب علمائهم ورؤسائهم، والحق بالإتباع، فمتى ظهر الحق فعلى المسلم اتباعه وإن أخطأه اجتهاد مقلده[3].

5. قال الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) في بيان معنى الشرك في الربوبية، وهو إن يسند الخلق والتدبير في الكون إلى غير الله (سبحانه وتعالى)، أو أن تأخذ أحكام الدين في العبادة في التحليل والتحريم عن غير الله (سبحانه وتعالى)، وهذا يكون خارج عن كتاب الله ووحيه الذي بلّغه عن رسله بحجة أنَّ من يأخذ عنهم الدين من غير بيان الله الوحي، أعلمُ بمراد الله فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم[4].

6. يبين لنا سيد قطب من خلال تفسير هذه الآيات الكريمة، حقيقة العقيدة والدين قائلاً: إنَّ العبادة هي الإتباع في الشرائع بنص القرآن الكريم وتفسير الرسول(ﷺ)، فاليهود والنصارى

---

[1] حذيفة بن اليمان: هو صحابي جليل، ولد في مكة، وعاش في المدينة المنورة، ومات سنة (36هـ) في المدائن، ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 (1453هـ - 1985م) : 361/2 .

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 119/4.

[3] ينظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي : 276/5.

[4] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا : 45/2 .

لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد في ألوهيتهم، أو تقديم الشعائر التعبدية لهم... ومع هذا فقد حكم الله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية، وبالكفر بالآية التي تتلوها لمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فأطاعوهم واتبعوهم، فهذا وحده دون الاعتقاد، وهذه الشعائر كافية لاعتبار من يفعلها مشرك بالله (سبحانه وتعالى)، والشرك هذا الذي يخرجه من عداد المؤمنين، ويدخله في عداد الكافرين، ثم نجد النص القرآني ساوى بين اليهود والنصارى في الشرك بالله (سبحانه وتعالى)، فاليهود اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله، والنصارى الذين قالوا بألوهية المسيح (عليه السلام)[1].

7. قال صاحب (صفوة التفاسير): ان اليهود لم يؤمنوا قط ولم يصدقوا بأن موسى (عليه السلام) نبي مرسل من الله تعالى، ولهذا السبب كان لديهم أحبار يلجئون إليهم في أمور دينهم ودنياهم، وكان هؤلاء الأحبار يحرّمون عليهم أموراً ويحللون لهم أموراً أخرى، وما كان منهم إلا تقديم الطاعة العمياء لهؤلاء، متخذين منهم أرباباً في الطاعة من حيث التحليل والتحريم وكأنهم عبدوهم[2].

وترى الباحثة إن ما فعله اليهود في عبادة أحبارهم، ما هو إلا لأنهم وضعوا التلمود[3] فوق التوراة المنزلة، والحاخام[4] فوق الله تعالى، وما يقترفه اليهودي من الخطايا ضد التلمود أعظم بكثير من الخطايا المقترفة ضد التوراة، أما أوامر الحاخام وتعاليمه فلا يمكن لليهود

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب : 1621/3 .

(2) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (1417هـ ـ 1997م) : 493 ـ 494.

(3) التلمود: هو القانون الشفهي الذي لم يأتِ به موسى (عليه السلام)، وهو جمع من آراء ومعتقدات الأحبار، فضلاً عن شروح التوراة المحرفة، ويقسم التلمود حسب زعمهم إلى قسمين هما: (المشناة والجمارا).
المشناة: هي الأصل أو المتن، والجمارا: هو الشرح أو الإتمام، ينظر: في العقائد والأديان، محمد جابر عبد العال، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ك1، 1971 : 218، والإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الدعوة ـ الإسكندرية، ط1، 1990م : 157 .

(4) الحاخام: هو الفقيه أو المعلم أو الحكيم المحافظ على الشريعة اليهودية المكتوبة والشفوية، ينظر: موسوعة اليهود والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق ـ القاهرة، (ب ـ ط)، 2004م : 223/5

نقضها أو تغيرها حتى ولو كان هذا بأمر من الله (تعالى)[1] ، وإن تقديس اليهود لتلمودهم، وتفضيل ما جاء فيه من أقوال أحبارهم، ونبذ أحكام الله تعالى وراء ظهورهم، وهو خير دليل على اتخاذ هؤلاء الأحبار أرباباً لهم من دون الله (تعالى)[2]، هذا ويعدُّ اليهود التلمود كتاباً مقدساً، بل هو أفضل من التوراة المنزلة، والدليل على ذلك ما قالوه بشأنه: إنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، معللين ذلك لأن؛ أقوال علمائهم هي أفضل ممّا جاء بشريعة موسى (عليه السلام)، بل وصل الغلو فيهم إلى حد القول بأن من قرأ في التوراة بدون المشنا والجمارة، أي: (التلمود)، فليس له إله، ويستحق الموت من يحتقر أقوال الحاخامات، أما من يحتقر أقوال التوراة فإنه لا ينال عقاباً؛ لأنهم يعتقدون أن لحاخاماتهم سلطة إلهية، وإنّ كل أقوالهم صادرة من الله تعالى، وبذلك هم معصومون عن الخطأ[3].

---

[1] ينظر: مغالطات اليهود وردها من واقع اسفارهم، عبد الوهاب طويلة : 534 ـ 535، وينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1 (1410هـ ـ 1990م) : 339 .

[2] ينظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي محمد الزعبي، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، ط1 (1414هـ ـ 1994م) : 73.

[3] ينظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، لكتاب اليهودية على حسب التلمود، للدكتور الفرنسي (روهلينح)، وكتاب الدكتور (أشبل لوران) بعنوان: تاريخ سورية لسنة 1984م، تصحيح وتعليق: الشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا : 32.

المطلب الثالث: عبادة (البعل) إلهاً من دون الله (سبحانه وتعالى).

أولاً: تأصيل المسألة.

تذكر لنا التوراة الكثير من النصوص الدالة على عبادة الأصنام منها:

أ . جاء في سفر الخروج:" كلم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث[1] بين مجدل[2] والبحر، أمام بعل صفوان"[3] مقابله تنزلون عند البحر... فسعى المصريون وراءهم وأدركوا جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه، وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفوان][4].

ب . ما جاء في سفر القضاة:" وفعل بنو إسرائيل الشرقي عيني الرب وعبدوا البعليم[5]، وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتارون"[6].

جـ . وجاء في سفر العدد أيضاً:" وأمام إسرائيل شطيم[1]، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مُوآب، فدّعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن، وتعلق إسرائيل ببعل"[2].

---

[1] فم الحيروث: منطقة مستنقعات ملحية، التفسير الحديث للكتاب المقدس، ترجمة : نكلس شيم، ط1، دار الثقافة ـ القاهرة : 134/2.

[2] مجدل : من الأماكن الغامضة التي لا تُعرف، المصدر نفسه : 134/2.

[3] بعل صفوان: هو معبد لإله كنعاني، المصدر نفسه : 134/2.

[4] سفر الخروج : 14/ 2 ـ 9 .

[5] البعليم : هو جمع بعل وهو اسم سامي معناه (رب أَوسيد) إله وثني كنعاني، أولع أهل المشرق والإسرائيليون بعبادته، وقيل هو اسم صنم كان يعبده قوم موسى(عليه السلام). ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 366.

[6] سفر القضاة : 8/3.

د . قال تعالى في كتابه العزيز: ﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ ﯦ □□ □□ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □ □ ﭐ ﭑ ﭑﭼ[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. بيّن الشيخ من هو الياس قائلاً لنا: الياس (عليه السلام) فهو ابن فنحاص بن العيزرا بن هارون (عليه السلام)، فهو بهذا ينتمي نسبه إلى إبراهيم وإسحاق (عليهما السلام)، هذا ويُعرف الياس في كتب الإسرائيليين باسم (إيليا)، وقد أرسله الله (سبحانه وتعالى) إلى قوم كانوا يعبدون صنماً يسمونه (بعلاً)، ويقال ان رسالته كانت في عهد (آحاب)[4]، وهو أحد ملوك بني إسرائيل في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، والمعنى في ذلك إن الله تعالى أرسل الياس (عليه السلام) إلى الناس ليخرجوهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان[5].

2. بيّن الشيخ معنى قوله تعالى: (ۉ ې ﯦ) معتمداً في ذلك على قواعد النحو العربي:

أ . أما قوله تعالى: (ۉ ې ﯦ □) فهو شروع في بيان ما نصح به الياس، والظرف مفعول لفعل محذوف، والتقدير: اذكر وقت أن قال لقومه ألا تتقون الله، وتخشون عذابه ونقمته.

ب . خرج الاستفهام في قوله تعالى: (ﯦ □)، للحض على تقوى الله تعالى واجتناب ما يغضبه، ثم أنكر تعالى عليهم عبادتهم لغيره سبحانه، فقال: (□□ □ □ □ □)، مبيناً ما جاء في البعل قائلاً[6]:

1. البعل: هو اسم لصنم الذي كان يعبده قوم نبي الله الياس (عليه السلام)، وقيل: سميت باسمه مدينة بعلبك[1] بالشام، وكان قومه يسكنون فيها .

---

(1) شطيم: موضع في سهول موآب، عبر الأرون مقابل أريحا، موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل : 188.

(2) سفر العدد : 25 / 1 - 3 .

(3) سورة الصافات : الآيات (123 - 127) .

(4) آحاب: اسم عبري معناه (أخو الأب). ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 63.

(5) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 108/12.

(6) المصدر نفسه : 12/ 108 .

2. البعل: هو الرب بلغة أهل اليمن.

جـ . استعمل الشيخ أسلوب التوبيخ والزجر في بيان المراد بمعنى الآية الكريمة قائلاً: قال الله تعالى لهم على سبيل التوبيخ والزجر: أتعبدون صنماً لا يضر ولا ينفع وتتركون عبادة أحسن من يقال له خالق، وهو الله (عز وجل) الذي خلقكم ورزقكم[2].

3. أما قوله تعالى: (□ □ □ □ □) فهو بدل من أحسن الخالقين، والمعنى في ذلك: إنكم تعبدون صنماً صنعتموه بأيديكم، وتذرون عبادة الله تعالى الذي هو ربكم ورب آبائكم الأولين.

4. اعتمد الشيخ على القراءات في بيان المراد بقوله تعالى: (□ □) قائلاً: وقرأ غير واحد من القراء السبعة الله بالرفع على أنه مبتدأ، وربكم خبره[3].

5. أما الغرض في ذكر ربوبيته تعالى لآبائهم الأولين هو التأكيد على بطلان عبادتهم لغيره سبحانه فكأنه يقول لهم: إن الله تعالى الذي أدعوكم لعبادته وحده ليس هو ربكم وحدكم، بل أيضاً هو رب آبائكم الأولين، الذين من طريقهم أتيتم إلى هذه الحياة[4].

6. ثم بيّن الشيخ موقفهم من نبيهم من خلال قوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ)، ولما حل بهم من عذاب بسبب إعراضهم عن دعوة نبيهم لهم، أي: عندما دعا الياس قومه إلى عبادة الله تعالى وحده كذبوه وأعرضوا عن دعوته، وسيترتب على تكذيبهم هذا، إحضارهم إلى جهنم إحضاراً فيه ذلهم وهوانهم[5].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

---

(1) بعلبك: بالفتح ثم السكون وفتح اللام، والباء موحدة والكاف مشددة، مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، وحضور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل: اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل، معجم البلدان، للحموي : 453/1 .

(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 109/12 .

(3) المصدر نفسه : 109/12 .

(4) المصدر نفسه : 109/12 .

(5) ينظر: المصدر نفسه : 12/ 109 .

1. قال ابن عطية الأندلسي: أما المراد بـ(البعل) فهو اسم لامرأة كانوا يعبدونها دون الله تعالى[1].

2. قال الإمام البيضاوي في البعل: هو بمعنى الرب بلغة أهل اليمن، نقول: من بعل هذا الثور، أي: من ربه[2].

3. قال الحافظ ابن كثير في البعل: هو اسم لصنم خاص ببني إسرائيل كانوا يعبدونه، وإليه نُسب الناس، وكان إلهاً لأهل (بك)، وهي منطقة بالشام يقال لها اليوم (بعلبك) [3].

4. قال صاحب الإتقان في ذلك: (وكل ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ﴿إلّا □ □﴾ فهو الصنم)[4].

أما الراجح من هذه الأقوال، فهو ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير (رحمه الله) قائلاً: (وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له بعل فدعاهم نبيهم الياس (عليه السلام) إلى الله تعالى، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدّ، واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم، ووعدوه الإيمان به إن أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث، فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله أن يقبضه إليه[5].

هذا ولابد لنا من الإشارة ونحن بهذا الصدد إلى إن (بعلاً) يعتبر من أبرز الآلهة الكنعانية التي عبدها اليهود متخذيه إلهاً من دون الله تعالى، مقدمين له القرابين والهدايا[6]،

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت542هـ)، دار النشر، دار الكتب العلمية ـ لبنان (1413هـ ـ 1993م) : 484/4 .

[2] ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي : 17/5 .

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 32/7 .

[4] الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين للسيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1394هـ ـ 1972م) : 156/2 .

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 32/7 .

[6] ينظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي محمد الزعبي : 778 ـ 779 .

ولما كانت كلمة (بعل) اسماً عاماً في الأصل وهو بمعنى (سيّد) لهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة، لكن البعل الأكبر كان إله العاصفة والبرق والمطر والإعصار. هذا وقد جرى بعض العلماء على عدّ (بعل) إلهاً معيناً، وهذا خلط يُحسن أن يزول، فإنّ اللفظ يطلق على الإله بوجه عام، فيما عدا إطلاقة في نصوص رأس الشمر الكنعانية على الإله الأكبر بعل، فيقال: فيما عدا هذا الاستثناء، بعل هذا الإقليم أو ذاك مثل بعل صور أو بعل لبنان، بمعنى سيد صور وسيد لبنان، والمهم أنّ هذا الاصطلاح كان يومئذٍ اسم جنس محتاجاً إلى وصف يحدد له مدلول[1].

أما عبادة البعل عبادة كانت منتشرة بين أهالي المشرق في الزمن القديم، ولهذا السبب نجد لـ(بعلاً) أسماء عديدة، ويرجع السبب في ذلك لأن كل أمة كانت تسمي هذا الإله باسم معين يعرف به عند شعبها، وكان الاسم غالباً يبتدأ (ببعل) وينتهي باسم تلك البلاد أو المدينة الموجودة فيها نحو:

(بعل فغور) الذي كان يعبده المؤابين و(بعل بريث) الذ كان يعبده الكنعانيون، و(بعل زبوب) الذي كان يعبده الفلسطينيون وهكذا، هذا ونجد اليهود قد عبدوا هذه البعول الثلاثة، وتشير التوراة إلى هذه الآلهة التي تنسب إلى بعل بصيغة الجمع في اللغة العبرانية وهي (البعليم)، ويقصد بهذا اللفظ أحياناً الآلهة الوثنية عموماً، هذا وعندما وصل الإسرائيليون إلى أرض كنعان احتكوا واتصلوا بهم، وكان نتاج ذلك الاحتكاك إن عبدوا آلهتهم، وكان الإله بعل من أبرز آلهة الكنعانيين التي عبدوها في عصر القضاة وازدهرت هذه العبادة في عصر الانقسام، ودخلت إلى المملكة الشمالية في عهد الملك (آخاب) عن طريق زوجته (إيزابيل)، ودخلت المملكة الجنوبية عن طريق ابنتها (عثليا)[2]. ويذكر لنا التاريخ إن الملك آخاب كان ضعيف الإرادة قليل العزيمة، وكان هذا الضعف سبباً في أن تفرض زوجته (ازابيل) شخصيتها التي وصفها التاريخ بقوة الشخصية والسيطرة على زوجها، ولأنها كانت تعبد الإله (بعل

---

[1] تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، للزعبي : 704، نقلاً عن كتاب الحضارة الفينيقية، محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه: طه حسين من سلسلة المراجع الجامعية، إدارة الثقافة ، وزارة التربية والتعليم بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، الناشر: شركة مركز كتب الشرق الأوسط ـ القاهرة، (ب ـ ت): 119 - 120 .

[2] ينظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، الزعبي : 704 .

صور)، فقد حاولت فرض عبادته على مملكة إسرائيل، وأدت دوراً مهماً في صبغ عبادته بالصبغة الرسمية في المملكة وإنساق وراءها زوجها (آخاب)، فقد بنى بنفسه معبداً ومذبح للبعل في السامرة[1].

وبسبب الانحلال الديني والخلقي الذي تفشى بين الإسرائيليين في عهد الملك (آخاب)، وبعد أن تركوا عبادة الرب تركاً تاماً واتخذوا من (البعل) إلهاً موحداً للبلاد، فضلاً عن ظهور أنبياء مشهورين في عهده أو عصره، وكانوا في نزاع دائم معهم؟!! هذا وقد ذهب البعض إلى ان الشعب الإسرائيلي في عصر الملك (آخاب) اعتنقوا عبادة توفيقية، وهي عبادة تقوم على إشراك بعلاً مع يهوه، وإن النبيين إيليا واليشع حاربا هذه العبادة[2].

وذهب بعضهم الآخر إلى ان عبادة (البعل) كانت في أول عصر الملك (آخاب) وعندما أرسل الرب عليهم الأنبياء حاربوا الأنبياء هذه العبادة، فقاموا بالتوفيق بين عبادتي يهوه والبعل[3].

وبهذا ترى الباحثة ومن خلال ما عرضناه من النصوص التوراتية إنّ بني إسرائيل كانوا يصرون وبشكل عجيب على الإشراك بالله (سبحانه وتعالى)، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى المادية في الشخصية اليهودية، فهم قوم أقرب إلى التجسم والتعدد والإشراك منه إلى التوحيد، فلم يستطع اليهود على مر تاريخهم أن يستوعبوا فكرة التوحيد، فلهذا نجد عقيدة التوحيد مشوشة بل مضطربة أيما اضطراب في الفكر اليهودي، وإن زعم اليهود بتعدد الآلهة ما هو إلا انحراف واضح في عقيدة التوحيد، فهم بفعلهم هذا يناقضون أنفسهم في دعوى الإيمان

---

[1] ينظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيلب متي، ترجمة: جورج حداد، دار الثقافة ـ بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، بغداد، نيويورك، 1958م : 209/1 ـ 211.

[2] ينظر: الألوهية عند بني إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبي البابلي، محمد علي حسين هواري، رسالة دكتوراه بقسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب، جامعة غين شمس، 1983م : 342، وينظر: المدخل لدراسة التوراة، محمد علي البار : 229 .

[3] ينظر: تأثر اليهودية في الأديان الوثنية، الزعبي : 708، وينظر: الله والأنبياء في العهد القديم، محمد علي البار : 517 .

والتوحيد من جهة، وتعدد الآلهة التي ذكرناها سابقاً من جهة أخرى وهكذا، وانحرافهم هذا الذي يصرون عليه لا يوافقه عادةً دليل من نقل أو عقل، لأسباب عدة منها:

أ . إن جميع الأنبياء من لدن نوح (عليه السلام) إلى عهد نبينا محمد(ﷺ) يقرون بتوحيد الله (عز وجل)، ومنهم أنبياء بني إسرائيل، والدليل على ذلك ما بيّنه تعالى على لسان نبي الله يعقوب (عليه السلام)، فقال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯥ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[1].

فالآيات الكريمة بينت وبشكل واضح إن نبي الله يعقوب وبنيه (عليهم السلام) مقرون بوحدانية الله (سبحانه وتعالى)، وهم أنبياء لبني إسرائيل، والدليل على ذلك الآية الكريمة وقولهم فيها (إلهاً واحداً)، هذا ما حكاه لنا القرآن الكريم وهو القول الفاصل بين الحق وبين ما تزعمه اليهود.

بيّن الشيخ طنطاوي معنى هذه الآية الكريمة قائلاً: بعد أن بين الله تعالى إن إبراهيم (عليه السلام) كان كاملاً في نفسه، اتبع ذلك ببيان إنه كان حريصاً على أن يكمل غيره، ودعوته إلى توحيد الله (تبارك وتعالى)، فقد وصى إبراهيم (عليه السلام) نبيه باتباع ملته، ويعقوب (عليه السلام) أوصاهم باتباعها أيضاً، وما سؤاله لبنيه الذي يبدو واضحاً في الآية أن يأخذ منهم ميثاقاً بالثبات على ملة أبيهم إبراهيم (عليه السلام) من بعده، لكي يسعدوا في دنياهم وأخراهم، وقد أجابوه بنيه بما يدل على رسوخ إيمانهم، إذ قالوا: (ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، وما جوابهم هذا إلا انهم متمسكين بملة إبراهيم (عليه السلام) وهي ملة لا تثليث فيها، ولا تشبيه بمخلوق، ولا تعدد آلهة وإنما هي أفراد الله تعالى بالعبودية والاستسلام له بالخضوع والانقياد[2].

---

[1] سورة البقرة : الآية (133) .

[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 276/1 - 277 .

ب . قوله تعالى: چ ڎ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ےۓ ۓ ڭ ڭڭچ[1]، وفي هذه الآية الكريمة رداً عظيم وبليغ، وهو ان الذي له ملك السموات والأرض بالإيجاد والاختراع ليس به حاجة إلى الولد، وهو مالك للجميع، وما دام جميع في السموات والأرض ملك له، خاضع مطيع مسخر، فالولد المنسوب إليه لا يصلح أن يكون في السماء ولا في الأرض، حيث لا معنى لتخصيص واحد منهم بالانتساب إليه، فإنه سبحانه يختص من شاء، كاختصاص الأنبياء بالوحي، ولكن هذه التخصيص لا يرتقي بالمخلوق إلى مرتبة الخالق[2].

ذكر الشيخ طنطاوي في تفسير الآية الكريمة قائلاً: وهذا زعم آخر من مزاعم اليهود، وهي إثبات قولهم في أن يتخذ الله (سبحانه وتعالى) ولداً له، فإن جميع ما احتوت عليه السموات والأرض مملوك لله يتصرف فيه كيف يشاء، فلا حاجة له إلى اتخاذ الولد، إذ الولد إنما يسعى إليه الوالد، أو يرغب فيه ليعتز به أو ليحي ذكره، أو ليستعين به على القيام بأعباء الحياة، والله تعالى منزه عن أمثال هذه الأغراض التي لا تليق إلا بمن خلق ضعيفاً كالإنسان، ثم إن الحكمة من التوالد بقاء النوع محفوظاً بتوارد أمثال الوالد، حيث لا سبيل إلى بقائه بعينه، أما الخالق تعالى فهو الواحد في ذاته وصفاته والباقي على الدوام[3].

ج . الولدية نقيض الجنسية والحدوث: قال تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[4]، والمعنى في ذلك إن الله تعالى نزه مقامه الكريم عن الولد، لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، فكيف للحق سبحانه أن يتخذ له ولداً وهو لا يشبه في شيء، ثم ان النبوة تتافي الرق والعبودية التي فرضها على من سواه، فكيف يكون ولد عبداً؟ هذا محال، وما أدى إلى المحال فهو محال[5].

---

(1) سورة البقرة : الآية (116) .
(2) يهود الأمس سلف سيء، لخلف أسو، لعبد الرحمن بن محمد الدوسري، مكتبة الوادي ـ جدة، ط1، 1413هـ : 272 .
(3) تفسير الوسيط : 256/1 .
(4) سورة مريم : الآية (93) .
(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 18/ 158، وينظر: روح المعاني، الآلوسي : 457/8 ـ 458 .

المبحث الثالث

مفهوم الملائكة في الفكر اليهودي وموقف سيد طنطاوي منه

مدخل:

اليهود أمة تؤمن بكل شيء محسوس، فهي أمة مادية لا تؤمن بالأمور الغيبية قط، وإذا ذكروا الأمر الغيبي ذكروه على سبيل إثارة الفتن والتشكيك والجدال، ومن تلك الغيبيات التي جادلوا فيها اليهود النبي محمد(ﷺ) الوحي جبريل (عليه السلام)، فاليهود لسفه عقولهم وغلظ حسدهم لم يتصوروا قط كيف ينزل الوحي ليقول لهم: چ   ىچ[1]، وسعوا وبشتى الطرق تشكيك الصحابة (رضوان الله عليهم) بأمر الوحي، وإلى جانب سؤالهم عن الروح ومناقشتهم للوحي نراهم لم يتورعوا عن سؤالهم المستمر عن ماهية الروح، وعن كيفية عذابها وهم يسعون وراء ذلك تعضيد الأمور، وتحير العقول، وتشعب البحث، فهم يدركون ان الروح من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل المجرد أن يبحث فيها دون الرجوع إلى النص، ولذلك أكثر اليهود من السؤال عن الروح بطريقة غريبة تعمدوا فيها إثارة الشبهات حول نبوة المصطفى(ﷺ)[2]، وهم بهذا لم يسلم أحد من كفرهم وتحريفهم وادعائهم، وقد نال الملائكة

---

[1] سورة الإسراء : من الآية (85).

[2] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 422 ـ 423، وينظر: يهود المدينة في العهد النبوي، سامي أبو زهري : 150.

الأطهار من هذا الميراث اليهودي ما نالهم[1]، وسنتعرف في الدراسة في هذا المبحث منظورهم حول الملائكة ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الملائكة في المنظور اليهودي.

أولاً: التعريف اللغوي.

تشير كلمة (ملاك) في اللغة العبرانية إلى معنى الرسول في مواضع من التوراة، وفي مواضع أخرى تشير إلى أناس لا إلى أرواح سماوية، إلا إنها في الغالب يراد بها أرواح سماوية مرسلة للخدمة[2]، وقيل في الملائكة أيضاً: هي صيغة جمع لكلمة (ملاك)، ومعناها المرسل لأداء مهمة أو بعثة[3]، وبهذا تكون كلمة ملاك في النادر تُشير إلى أناس من البشر، وهذا ما يوضحه سفر صموئيل الثاني، فقد جاء فيه:" فأرسل داود رسلاً إلى أهل جلعاد"[4].

فقد جاءت معنى كلمة (رسلاً) حسب ما ترجمه قاموس الكتاب المقدس بـ(معنى ملاك)[5]، ونجد هذه الكلمة في الغالب يراد بها أرواح سماوية حسب النصوص التوراتية، والشاهد على ذلك ما ورد في سفر الملوك الأول:" وإذا بملاك قد مسه وقال: قم وكل"[6].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي.

اضطرب مفهوم الملائكة في الفكر اليهودي اضطراباً بالغاً تستطيع فلم الموسوعات اليهودية بقواميسها أن نضع تعريفاً واضحاً جامعاً لمعنى (ملاك) في التوراة، فتارة تجعل منها

---

(1) الشخصية اليهودي من خلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي : 179 .
(2) ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 1822.
(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ط1، دار الشروق ـ القاهرة، 1999م : 291/2 .
(4) سفر صموئيل الثاني : 5/2 .
(5) ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 1822 .
(6) سفر الملوك الأول : 5/19 .

مشابهة للبشر من حيث التزاوج والتناسل وعدم الخلود، وتارة أخرى تجعلها أرواحاً سماويةً ذات مهمة معينة، لذا سأعرض مفهوم الملائكة حسب ما جاء في الموسوعات اليهودية، ثم استدرك موضحة معنى الملائكة في الموسوعات العربية، ولاسيما إن الموسوعات العربية كانت موفقة في تعريف كلمة (ملاك) وحسب المواضع الواردة في نصوصهم من العهد القديم.

ففي فهرس الكتاب المقدس يوجد نص يوضح معنى الملائكة:" الملائكة يؤلفون جنساً خاصاً ولا يتناسلون بعضهم من بعض على نحو ما يتناسل به البشر، ومع إنّ الملائكة أجساداً أثيرية فهم لا يكفون عن أن يكونوا كائنات روحية غير قابلة للفساد أو الموت وهم مخلدون ولا يتزوجون"[1]، ولكن وصفهم هذا يناقض ما جاء في تلمودهم، فقد يشير التلمود إلى ولادة الملائكة في اليوم الأول من الخلق مختونين، فهم بهذا يجعلون من الملائكة كالبشر من حيث الولادة والختان، وهذا تحسيم مألوف في العقيدة اليهودية خاصة في الغيبيات واتبعهم بهذا الافتراء النصارى[2]، وقيل في الملائكة:"هي شخصيات روحية عاقلة لهم تفكيرهم وشعورهم وحرية إرادتهم"[3]، وقالوا فيها إنها لها إرادة والدليل على ذلك إن الشيطان كان من الملائكة فعصى أمر الله، فضلاً عن الحرية التي يتمتعون بها فهم مخيرون إما أن يتقدموا في الخبر أو يعقدوا حالة القداسة التي يتصفون بها منذ خلقهم[4]، وقيل فيها أيضاً إنها تتميز بالقوة وهم على درجة من المعرفة أعظم من الإنسان إلا إنهم يتحركون داخل حدود معينة ويجهلون الغيب والأمور المخبوئة في قلوب البشر، فضلاً عن المهام الموكلة بهم في تنفيذ قدرة الله (سبحانه وتعالى)[5].

---

[1] فهرس الكتاب المقدس : 585/1.
[2] ينظر: مخطوطات قمران ـ البحر الميت ـ التوراة المنحول، تحقيق: أندرية دويون وسومر مارك، ترجمة: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، سوريا ـ دمشق، ط1، 1998م : 30/2 ـ 34 .
[3] فهرس الكتاب المقدس : 584/1 .
[4] المصدر نفسه : 592/1 .
[5] ينظر: المصدر نفسه : 965/2 .

وتقديم المديح له عن طريق التسبيح وهم بها يكونوا وسطاء بين الله والإنسان، ولهذه الوساطة أهمية خاصة[1]، وبهذا العرض ترى الباحثة اضطراباً في تعريف معنى الملائكة عند اليهود، فتارة يعرفوها على إنها أرواح سماوية، وتارة أخرى على إنها جنس خاص ولها شخصيات معينة، وتارة يشبهونها بالإنسان، والسبب يرجع في ذلك إلى العقل اليهودي الوثني الذي لا يستطيع أن يدرك الأمور الغيبية رغم ذكرها في الكتاب المقدس، فلهذا لم يستطيعوا أن يعطوا وصفاً واضحاً دقيقاً لمعنى الملائكة في مفهومهم؟

وقد تسعفنا بعض الدراسات الأكاديمية في هذا[2]، إذ بيّنت معاني عدة منها:

1. الملائكة: رسل من الله (سبحانه وتعالى) مخلوقة له يخضعون لسلطانه، ولهم عدة وظائف، فهم يخدمون المؤمنين، ويحرسون الضعفاء وينشرون رسالة الله وينفذون قضائه.

2. هم مخلوقات خلقها الله (سبحانه وتعالى) لفعل الخير، ليس لها أجسام فهي ليس من ذوي المادة، وهي مدركة ومختارة، وهم الواسطة المعتمدة من الله (سبحانه وتعالى)، بينه وبين الموجودات، ولهم القدرة على التقلب أحياناً، فهم يستطيعون أن يأتوا بهيئة رجال أو نساء وأحياناً ينقلبون أرواحاً.

3. الملائكة في التلمود تدخل في إطارين حلولي وتوحيدي، تختلف في كل منها عن الآخر.

أ . الإطار التوحيدي: هي رمز للغيب وتعبير عن قدرة الإله اللانهائية التي يتجاوز مقدرات البشر وإدراكهم.

ب . الإطار الحلولي: الإيمان بالملائكة داخل الإطار الحلولي هي إحدى العقائد الأساسية في التلمود، فهم ليسوا رسل الإله وحسب وإنما هم جزء منه ووسطاؤه، وهم أبناء

---

(1) ينظر: الملائكة والجن، دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث : (اليهودية ـ النصرانية ـ الإسلام)، مي حسن محمد : 21.

(2) ينظر: جهود ابن حزم في جدال اليهود، عماد جميل عبد الرحمن عبيد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ـ غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة : 111، نقلاً عن الملائكة عند أهل الكتاب عرض ونقد، بثينة الدجني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ـ غزة، قسم العقيدة : 3.

الإله المقدسون، ولذا يشار إلى الملائكة في التراث الديني اليهودي باعتبارهم (بنو الوهيم) أو (بنو إليم)، أي: أبناء الإله ، أو (فيدوشيم)، أي: المقدسون، وأحياناً (إيش) أي: رجل، وجاء في التلمود على إنهم أجرام سماوية، يعقلون ويفهمون، وقيل إنها مخلوقات خلقها الله لعبادته وتقديسه، فضلاً على إن الملائكة أجسام ليسوا أرواح من غير جسم لوصفهم في التوراة بصفات جسمية من انتصاب وحركة ونطق وسمع وبصر وأيدي وأرجل وأجنحة، وليس لهم الآن الغذاء والروح، فلا يوجد فيهم لحم ولا دم ولا قلب ولا رئة أو معدة وغيرها، والملائكة غير موصوفون بالعقل لأن العقل من صفات الإنسان، فهو يخطئ ويصيب وهم منزهون عن الخطأ، إلا إنهم يوصفون بالعلم فهم مخلوقات خلقت لطاعة الباري (عز وجل)، ومع هذا الكلام فقد استمرت فرق يهودية مثل الصديقين في إنكار الملائكة، وهو جزء من إنكارها للبعث وذلك الإله المتجاوز للطبيعة.

وقد عُرفت الملائكة في موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية على إنها: (تشير كلمة (ملاك) إلى معنى مبعوث ورسول، وقد وردت عدة مرات في العهد القديم بمعنى إنسان مكلف بمهمة أو مبعوث، ويطلق على النبي على انه مبعوث الرب اسم (ملاك) أحياناً، إلا إنه في الغالب يطلق اسم (ملاك) على ملاك الربّ، أي: عن المخلوقات السماوية المكلفة بمهام محدودة ورسالات للبشر، وأحياناً يطلق عليها اسم أبناء الرب)[1].

وقيل في الملائكة: هي رمز للغيب وتعبير عن القدرة الإلهية اللانهائية التي تتجاوز مقدرات البشر وإدراكهم[2].

هذا ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد على وجود بعض التوافق، وإن كان نادراً بين المفهوم اليهودي للملائكة والمفهوم الإسلامي، فمن هذه التوافقات، التسبيح لله (سبحانه وتعالى)، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ

[1] موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد شامي، المكتب المصري للتوزيع، ط1، 2003م : 191.
[2] ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري : 103/2 .

ےچ[1]. هذا وقد أثبت القرآن الكريم للملائكة العقل والإرادة، لقوله تعالى: چ ۋ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ې ې ۉ ۉ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[2]، فالأمر والنهي يكون للعاقل عادةً، أما وصف اليهود للملائكة لصفة الخلود فقد جاء هذا موافق ما جاء به النصارى ومخالف ما جاء في المفهوم الإسلامي، فالملائكة مخلوقات تموت كباقي المخلوقات، والدليل على ذلك قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ ڍچ[3]، وكذلك قوله تعالى: چ ہ ھ ے ے ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ[4]، فالآية صريحة وقاطعة في نفي صفة الخلود عن الملائكة الكرام، وإن كان فناؤهم بعد قيام الساعة لذلك كانت أعمارهم طويلة[5]، وكذلك إتهام الملائكة بالمعصية في المفهوم اليهودي هو موافق للمفهوم النصراني ومخالف للإسلام، فالقرآن الكريم يثبت على إنهم مخلوقات معصومة ومنزه عن الخطأ وفي هذا قال تعالى: چ ۋ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ې ې ۉ ۉ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[6]، أي: إنهم مخلوقات الله لا يخالفونه في أمره الذي يأمرهم به وينتهون على ما نهاهم عنه ولا يتأخرون عن أمره طرفة عين[7].

---

(1) سورة الأنبياء : الآية (19) .

(2) سورة التحريم : الآية (6) .

(3) سورة الرحمن : الآية (26).

(4) سورة الأنبياء : الآية (8) .

(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط3، 1404م : 119/3 .

(6) سورة التحريم : الآية (6) .

(7) تفسير الطبري، الطبري : 168/2 .

المطلب الثاني: وصف الملائكة بصفات تشبه صفات البشر.

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . نسبة الأكل والشرب للملائكة.

وهذا افتراء آخر من افتراءاتهم على ما خلق الله (سبحانه وتعالى)، وهم الملائكة الكرام، فنجد التوراة بنصوصها، وادعت عليهم كما ادعت على الله (سبحانه وتعالى)، بل أكثر والدليل على ذلك ما جاء في سفر التكوين الذي يُعد من أهم أسفارهم قصة الملائكة الذين جاءوا يبشرون نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بميلاد إسحاق (عليه السلام)، والمفراقة هنا إن ملائكة الله المبعوثين يأكلون في بيت نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، العجل المشوي واللبن والزبد الذي قُدّم لضيافتهم[1].

ومن تلك النصوص:

1. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع يطهوه ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعه قدامهم (قدام الملائكة)... وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة ... أكلوا "[2].

وقد جاء الإخبار القرآني الصريح لهذا اللقاء موضحاً جوهر القصة: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ ﮍ ﮎ □ □ □ ﮏ[1].

---

[1] ينظر: التوراة، مصطفى محمود : 57 .

[2] سفر التكوين : 18/ 7 .

فهي تحكي لنا ما دار بين إبراهيم (عليه السلام)، وبين الملائكة الذين جاءوا لبشارته بابنه إسحاق ولإخباره بإهلاك قوم لوط، وقد وردت قبل ذلك في سورتي هود والحجر[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على زعم اليهود في الملائكة.

بين الشيخ طنطاوي معنى الآيات الكريمة ومن جوانب عدة:

1. قواعد النحو العربي:

أ . لقد افتتحت الآية الكريمة بأسلوب (الاستفهام)، وذلك بقوله تعالى: (ۋ ۅ ۉ)، وذلك لأغراض منها:

1. للإشعار بأهمية هذه القصة.

2. تفخيم شأنها.

3. لا علم بهذه القصة إلا عن طريق الوحي.

ب . تفسيره للوصف القرآني:

(ﭑ ﭒ ﭓ)، فهو ظرف متعلق بلفظ سابق، أي هل بلغك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه... أو بمحذوف تقديره (اذكر)، أي: اذكر وقت إن دخلوا عليه فقالوا سلاماً، أي: فقالوا تسلم عليك سلاماً[3].

جـ . اعتمد على قواعد النحو العربي في بيان المراد بقوله تعالى: (ﭙ) بالرفع، لإفادة الدوام والثبات عن طريق الجملة الاسمية التي تدل على ذلك، وللإشارة إلى أدبه معهم، حيث رد تحيتهم بأفضل منها[4].

---

(1) سورة الذاريات : الآيات (24 - 28) .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 19/14 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 14/ 20 .
(4) المصدر نفسه : 20/14 .

وقيل إن (هل) هنا جاءت بمعنى (قد)، والمعنى في ذلك: هل أتاك ـ أيها الرسول الكريم ـ حديث ضيف إبراهيم المكرمين؟ إننا فيما أنزلناه عليك من قرآن كريم، نقص عليك قصتهم بالحق الذي لا يحوم حوله باطل، على سبيل التثبيت، والتسلية لقلبك[1].

2. معاني اللغة العربية : أ . والضيف في الأصل مصدر بمعنى الميل، يقال ضاف فلاناً فلاناً إذا مال كل واحد منهما نحو الآخر، ويطلق على الواحد والجماعة، والمراد هنا جماعة الملائكة الذي قدموا على إبراهيم (عليه السلام) وعلى رأسهم جبريل (عليه السلام)، ووصفهم بأنهم كانوا مكرمين لإكرام الله تعالى لهم بطاعته وامتثال أمره، ولإكرام إبراهيم لهم، حيث قدم لهم أشهى الطعام وأجودها[2].

ب . استعمل معاني اللغة في بيان المراد من قوله تعالى:ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[3]، قائلاً: يقال راغ فلان إلى كذا، إذ مال إليه في استحفاء وسرعة[4]، والمعنى في ذلك إن إبراهيم (عليه السلام) ذهب إلى أهله في خفية من ضيوفه، فجاء بعجل ممتلئ لحماً وشحماً[5].

3. اعتمد على أقوال العلماء، منها:

أ . الآلوسي (رحمه الله) في بيان عددهم، إذ قال: كانوا اثنى عشر ملكاً، وقيل ثلاثة وهم جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وسموا ضيفاً؛ لأنهم كانوا في صورة ضيف من جهة، ولأن

---

[1] المصدر نفسه : 19/14 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: 20/14 .
[3] سورة الذاريات : الآية (26) .
[4] ينظر: قاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي (ت817هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط8 (1426هـ ـ 2005م) : 782/1 .
[5] ينظر: تفسير الوسيط : 14/ 20 .

إبراهيم (عليه السلام) حسبهم كذلك، فالتسمية على مقتضى الظاهر والحسبان، وبدأ بقصة إبراهيم وإن كانت متأخرة عن قصة عاد، لأنها أقوى في غرض التسلية[1].

ب . اعتمد الطنطاوي على ما قاله الزمخشري في الإنكار قائلاً:" أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام، أو أراد أنهم ليسوا من معارفه، أو جنس الناس الذي عهدهم أو رأى لهم حالاً وشكلاً خلاف حال الناس وشكلهم، أو كان هذا سؤال لهم، كأنه قال: أنتم قوم منكرون فعرفني من أنتم"[(2)][(3)]، وقيل: إن إبراهيم قد قال في نفسه، والتقدير: هؤلاء قوم منكرون؛ لأنه لم يرهم قبل ذلك[(4)].

جـ . يعتمد على قول الحافظ ابن كثير فيما انتظمت فيه هذه الآيات الكريمات قائلاً: قال ابن كثير: وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتهن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل سمين مشوي فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﭼ   ﭼ[(5)] على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق، فافعل[(6)].

4. التفسير بالمأثور في قوله تعالى:

أ . (ﭲ   )، أي: قال إبراهيم في جوابه عليهم، عليكم السلام، أنتم قوم منكرون، أي: غير معروفين لي قبل ذلك[(7)].

---

[1] المصدر نفسه : 20/14، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 12/14 .
[(2)]تفسير الوسيط، طنطاوي : 14/ 20 .
[(3)] المصدر نفسه : 20/14، نقلاً عن الكشاف، الزمخشري : 14/ 401 .
[(4)] المصدر نفسه : 14/ 20 .
[(5)] سورة الذاريات : من الآية (27) .
[(6)] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 14/ 21، نقلاً عن تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 397/7 .
[(7)] المصدر نفسه : 14/ 20 .

ب . استعمل التفسير بالمأثور في بيان معنى قوله تعالى: ﭽ   ﭼ[1]، أي: فذهب إلى أهله فذبح عجلاً وشواه، فقربه إلى ضيوفه، ثم خصهم على الأكل، شأنه في ذلك شأن المضيف الكريم، ثم قال لهم بكل تلطف مع حسن العرض ألا تأكلون معي[2].

5. يعتمد على تفسير آي القرآن الكريم، في بيان معنى الآية الكريمة موضحاً: ولكن إبراهيم (عليه السلام) مع هذا العرض الحسن، والكرم الواضح، لم يجد من ضيوفه استجابة لدعوتهﭽ   ﭼ[3]، أي: أضمر في نفسه خوفاً منهم، حينما رأى منهم إعراضاً عن الطعام، مع خصهم على الأكل منه، ومع جودة هذا الطعام، وهنا كشف الملائكة عن ذواتهم قائلين له: لا تخف، فإنا رسل الله إليك، نبشرك بغلام سيولد لك، وسيكون كثير العلم عندما يبلغ سن الرشد، وهذا الغلام هو نبي الله إسحاق (عليه السلام)[4].

أقول: هذه الآيات الكريمات قاطعة قطوعاً يقينياً بأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب، عكس ما جاء في التوراة، بنسبة الأكل والشرب للملائكة، مدعين في ذلك إن ضيوف إبراهيم (عليه السلام) أكلوا في داره، الخبز واللحم مع الزبد، فأي ادعاء هذا وأي ظلم تخوضه اليهود بحق الخالق العظيم.

2. نسبة الزواج للملائكة:

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفرهم ما نصه:" فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض، وولد لهم البنات، فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساءً][5].

ب . يدحض القرآن الكريم ذلك الإدعاء المزعوم:

---

[1] سورة الذاريات : من الآية (27) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 14/ 21 .
[3] سورة الذاريات : من الآية (28) .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 14/ 21 .
[5] سفر التكوين : 6 / 1.

1. فقد جاء قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪﭼ[1].

2. وأيضاً مما جاء في سورة الصافات: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ[2].

3. قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، كان من جوانب عدة[4]:

1. معاني اللغة، قائلاً: قال المشركون الذين انطمست بصائرهم عن معرفة الحق: ﭽﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ)، فقوله سبحانه، أي: تنزه وتقدس الله تعالى عن ذلك جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً.

أما قوله (ﭨ ﭩ)، فهو إضراب عما قالوه، وإبطال له، وثناء على ملائكته الذين زعم فريق من المشركين أنهم بنات الله، ثم قال أما عباد، فهو جمع عبد، والعبودية لله تعالى معناها إظهار التذلل له سبحانه والخضوع لذاته العليا.

2. استعماله اللغة العربية في بيان لفظ (مكرم): هو اسم مفعول من أكرم وإكرام الله تعالى لعبده إحسانه إليه وإنعامه عليه، والمعنى في ذلك: لقد كذب هؤلاء المشركون في زعمهم إن الملائكة بنات الله، والحق إن الملائكة هم عباد مخلوقون له تعالى ومقربون إليه ومكرمون عنده.

3. ثم يبين الشيخ طنطاوي معنى الآية الكريمة من سورة الصافات[5]:

وأما المراد بالجنة هنا الملائكة سمو بذلك لاحتيانهم واستتارهم عن الأعين، والمعنى في ذلك أن المشركين لم يكتفوا بما قالوا في الآيات السابقة، بل أضافوا جريمة أخرى إلى

---

[1] سورة الأنبياء : الآية (26) .
[2] سورة الصافات : الآية (158) .
[3] سورة الإسراء : الآية (40) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 200/9 .
[5] ينظر: المصدر نفسه: 116/12 .

جرائمهم، وهي أنهم جعلوا بين الله تعالى وبين الملائكة نسباً، ولقد علمت الملائكة إن القائلون بهذا القول (لمحضرون) إلى العذاب يوم القيامة، ليذوقوا سوء عاقبة كذبهم.

4. يبين الشيخ طنطاوي معنى الآية الكريمة من سورة الإسراء[1]:

1. بيانه معاني اللغة الذي بين فحوى الخطاب في قوله تعالى: (ﭫ) للكافرين الذين قالوا الملائكة بنات الله، و(الاصفاء بالشيء): جعله خالصاً، يقال: أصفى فلان فلاناً بالشيء، إذا آثره به، ويقال للأشياء التي يختص السلطان بها نفسه: الصوافي وفعله: صفا يصفو، وتضمن هنا معنى التخصيص.

2. وأما خروج الاستفهام في الآية الكريمة فهو للإنكار والتوبيخ والتهكم، والمعنى نفي ما زعموه من أن الملائكة بنات الله، وذلك بأبلغ وجه، أي: لم يخصكم ربكم بالبنين، ولم يتخذ من الملائكة إناثاً؛ لأنه سبحانه تنزه عن الشريك والولد والوالد والشبيه.

3. ثم يرد الشيخ على ذلك الادعاء بسرد آيات من القرآن الكريم:

أ . ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[2].

ب . وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[3].

4. اعتمد على تفسير قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ) على التفسير بالمأثور قائلاً:" أنكم بنسبكم البنات إلى الله تعالى لتقولن قولاً عظيماً في قبحه وشناعته، وفي استهجان العقول السليمة له، وفيما يترتب عليه من عقوبات أليمة من الله تعالى لكم".

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 356/8 .
[2] سورة الزمر : الآية (4) .
[3] سورة النجم : الآيتان (21 - 22) .

أقول: نفى الله القرآن الكريم وبشكل واضح وقطعي تزاوج الملائكة، لأن الملائكة ما هم إلا عباد الله تعالى وأيما عباد، بل هم عباد مكرمون مقربون لله تعالى، وبهذا رد القرآن الكريم عما جاء في توراتهم من تزاوج الملائكة، فتعالى الله عما يزعمون علواً كبيراً.

3. نسبة التدليس للملائكة.

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفر الملوك المزعوم:" رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يقوي آخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد فقال هكذا هكذا أو قال ذاك هكذا، ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه وقال له الرب بماذا... فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه.. فقال إنك تغويه وتقتدر فأخرج وافعل هكذا"[1].

تدعي التوراة أن جبريل (عليه السلام) يمكن أن يقوم بوظيفة الشيطان (حاشاه) فيرسله الله للتدليس على أنبيائه[2]، فجبريل (عليه السلام) الذي وصفه الله تبارك وتعالى بالروح الأمين ، يجعل من نفسه روح كذب، ويجعل من الله تبارك وتعالى روح كذب يدلس على الأنبياء، إذن أين إبليس وأين دوره ولاسيما إن مهمته الغواية، أهناك أزمة في الشياطين والأرواح الشريرة والجن والمردة وهواتف الضلال ودليل الغواية، ولو أراد الله أن يختم على الأبصار والقلوب لختم عليها دون حاجة إلى هذا التزوير ودون حاجة إلى إنزال ملائكة في زي الكذابين المدلسين[3].

---

[1] سفر الملوك : 19/22.
[2] ينظر: سفر الملوك: 22/ 19، وينظر: التوراة، مصطفى محمود : 58 .
[3] المصدر نفسه : 59.

ب . يدحض القرآن الكريم ذلك الزعم بقوله تعالى: چ ڳ ڱ ڳ ڳڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ۀ ۀچ[1]، الذي فيه بيان جلي للمسألة.

ثالثاً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة[2]:

1. فقد وضح المعنى في التفسير بالمأثور الذي وصف الله تعالى من أنزل القرآن الكريم بالأمانة فقال: (ڳ ڱ ڳ ڳڱ)، وهو جبريل (عليه السلام) وعبر عنه بالروح؛ لأن الأرواح تحيا بما نزل به كما تحيا الأجسام بالغذاء، أقول: إن هذه الآية الكريمة قاطعة بأمانة أمين الوحي جبريل (عليه السلام)، وهي رداً حاسماً عما ادعوه اليهود من تدليس لذلك الملاك الكريم، فتعالى الله وملائكته عما يفترون.

---

(1) سورة الشعراء : الآيات (193 - 195) .

(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 279/1 .

المطلب الثالث: عداوة اليهود لجبريل ومحبة ميكائيل (عليهما السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

ذهب الشيخ طنطاوي في بيان أصول هذه المسألة، معتمداً في ذلك عما جاء في القرآن الكريم، فقد جاء قوله تعالى: چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ہچ[1].

حكى لنا القرآن الكريم جملة من تضليل اليهود وآثامهم، وكان منها تلك المجاهرة بالعداوة لأمين الوحي جبريل (عليه السلام)، مصوراً لنا هذه العداوة البغضاء، كما هو مبين في الآية أعلاه فهاتان الآيتان الكريمتان تكشفان رذيلة عجيبة من رذائل اليهود، وهي عداوتهم لملك من ملائكة الله تعالى لا يأكل مما يأكلون، ولا يشرب مما يشربون، وإنما هو من الملائكة المقربين الذي لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فليس هنالك أي مقتضى لعداوته، فلماذا هذا التصريح منهم ببغضه وكراهيته[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة معتمداً بذلك على[3]:

1. التفسير بالمأثور فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم محمد(ﷺ) أن يقول لهؤلاء اليهود، الذين أعلنوا عداءهم لجبريل (عليه السلام) إن لا وجه لعداوته، لأنه لم ينزل بالقرآن الكريم من

---

(1) سورة البقرة : الآيتان (97 - 98).
(2) تفسير الوسيط : 216/1 .
(3) ينظر: المصدر نفسه : 217/1 .

تلقاء نفسه، إنما أنزله على قلبك بأمر من الله تعالى ليكون هذا مؤيداً لما نزل قبله من الكتب السماوية، وليكون هداية إلى طريق السعادة، وبشارة للمؤمنين بالجنة، آمراً أن يقول لهم كذلك، من كان معادياً لله أو لملك من ملائكته، أو رسول من رسله، فقد كفر وباء بغضب من الله، ومن غضب عليه الله، جزاءه الخزي وسوء المصير[1].

2. اعتماده على أقوال العلماء:

أ . على الإمام الطبري في إجماع أهل العلم قائلاً: قال الإمام ابن جرير: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم"[2].

ب . ثم يرفد الطنطاوي قول ابن عاشور صاحب التفسير: "ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من عند الله، ومع ذلك يبغضونه وهذا أحط درجات الإنحطاط في العقل، والعقيدة ولا شك ان اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة؛ لأنه ينبئ عن تظافر آرائهم على الخطأ والأوهام"[3].

جـ . اعتمد الشيخ على صاحب الكشاف في بيان قوله تعالى: (ک ک ک گ) كان جزاء للشرط قائلاً: قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف استقام قوله تعالى: (ک ک ک گ) جزاء للشرط؟ قلت فيه وجهان:

أحدهما: إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لهم لمعادته، حيث نزل كتاباً مصدقاً للكتب التي بين يديه، فلو أنصفوه لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزال ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 217/1.
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 218/1، نقلاً عن جامع البيان، الطبري : 476/1 - 486 .
[3] المصدر نفسه : 218/1، نقلاً عن تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور : 621/1.

الثاني: إن عاداه أحد، فالسبب في العداء، أنه نزل عليك القرآن الكريم مصدقاً لكتابهم، وموافقاً له، وهم كارهون للقرآن الكريم، ولموافقته لكتابهم، [1]، ولذلك يحرفونه ويجحدون موافقته له، كقولك:" إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه"[2].

د . اعتمد على قول صاحب المنار في بيان فساد العلة قائلاً: قال صاحب المنار: فهذه الآية الكريمة وعيد لهم بعد بيان فساد العلّة التي جاءوا بها، فهم لم يدّعوا عداوة هؤلاء كلهم، لكنهم في نفس الأمر، فأراد أن يُبين حقيقة حالهم في الواقع، وهي أنهم أعداء الحق وأعداء كل من يمثله ويدعو إليه، فالتصريح بعداوة جبريل كالتصريح بعداوة ميكائيل الذي يزعمون أنهم يحبونه وإنهم كانوا يؤمنون بالنبي(ﷺ) لو كان هو الذي ينزل بالوحي عليه، ومعاداة القرآن الكريم كمعاداة سائر الكتب الإلهية، لأن المقصود من الجميع واحد، فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل من ذكر، وهذا ضرب من ضروب إيجاز القرآن الكريم التي انفرد بها)[3]، وبهذا تكون الآيتان الكريمتان قد دمغتا اليهود بالكفر والجهالة، لمعاداتهم لجبريل وتكذيبهم لمحمد(ﷺ) وبينتا ما عليه من خزي وهوان بسبب هذه العداوة التي لا باعث عليها إلا الحسد، وكراهية أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده[4].

3. اعتماده على أحاديث السنة النبوية الشريفة، فقد روى الإمام بخاري في صحيحه عن أنس ابن مالك (رضي الله عنه)، قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي(ﷺ) وهو في أرض يخترف، أي يجنى ثمارها، فأتى النبي(ﷺ) فقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم ذلك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ النبي(ﷺ) هذه الآية: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ)، ثم قال: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب! وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا

---

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري : 170/1.
[2] ينظر: تفسير الوسيط : 219/1، نقلاً عن تفسير الكشاف الزمخشري : 170/1 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 221/1، نقلاً عن تفسير المنار، محمد رشيد رضا : 325/1 .
[4] المصدر نفسه : 221/1 .

سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن نسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي(ﷺ)، أي: رجل فيكم عبد الله؟ قالوا: جبريل وابن حبرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم أن أسلم عبد الله بن لام؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك؟ فخرج عبد الله فقال:" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله"، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وأنقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله"[1].

ثم بين الشيخ طنطاوي دلالة الحديث ف:" يؤخذ من الحديث النبوي الشريف، أن اليهود في عهد النبي(ﷺ) كانوا يجاهرون بعداوتهم لجبريل (عليه السلام)، وان هذه المجاهرة بالهداوة قد تكررت منهم في مواقف متعددة بينهم وبين النبي(ﷺ)، وان الذي حملهم على ذلك هو حسدهم له، وغيضهم من جبريل؛ لأنه ينزل بالوحي عليه"[2].

4. استعمل النحو العربي لتوضيح معنى الآية الكريمة:

أ . ففي أمر الرسول (ﷺ) بلفظ (قل) كان للأسباب هي[3]:

1. الرد على اليهود في زعمهم الباطل.

2. تثبيت للرسول العظيم محمد(ﷺ).

3. تطمين لنفسه من جهة وتوبيخ لليهود من جهة أخرى على تلك المعادات لأمين الوحي جبريل (عليه السلام).

ب . وكان في قوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک)، هنا شرط عام، وكان المقصود به إن الله تعالى لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادي جبريل إن وجد معاد آخر له سواهم.

---

[1] صحيح بخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة : 172/3، رقم الحديث: (3034)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ) : 23/6 .

[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 218/1 .

[3] ينظر: المصدر نفسه : 218/1 .

جـ . وكان في قوله تعالى: (ﮐ ﮑ) زيادةً في التقدير للتنزيل في بيان محل الوحي، مع الإشارة إلى سبب تمكن الرسول(ﷺ) من تلاوة القرآن الكريم وإبلاغه للناس لثباته في قلبه، ثم بين تعالى بأنه لا موجب لعداوة أمين الوحي جبريل (عليه السلام)؛ لأنه نزل القرآن الكريم على قلب الرسول(ﷺ)، وكان ذلك بأمر من الله تعالى، فعداوته في الحقيقة ما هي إلا عداوة لله تعالى، فهذه الجملة كانت تعليل لجواب الشرط وقائمة مقامه[1].

د . قواعد النحو العربي قائلاً: أما قوله تعالى: (ﮒ)، فكان حال من الضمير العائد على القرآن الكريم في قوله (ﮐ)، أي: أنزله حاله كونه مؤيداً للكتب السماوية التي قبله ومن بينها التوراة، وهذه حجة ثانية عليهم[2].

5. معاني اللغة قائلاً: أما قوله تعالى: (ﮎ ﮏ)، أي: بأمره، وهذا توبيخ لهم على عداوتهم لأمين الوحي جبريل (عليه السلام)، الذي أنزل القرآن بإذن الله لا من تلقاء نفسه، وهذه حجة أولى عليهم.

6. اعتمد على آيات القرآن الكريم نفسها في بيان قوله تعالى: (ﮕ ﮖ)، أي: ان هذا القرآن الذي أنزله تعالى كان مصدقاً لكتبهم، فهو الهادي إلى طريق الفلاح والنجاح، والعاقل عادةً لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه مما هو فيه من ضلالات ولو كان الواسطة في مجيئها عدواً له، وهو أيضاً مبشراً للمؤمنين برضا الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة، أما الضالون فقد أنذرهم بسوء العقبى فعليكم أن تتبعوا طريق الإيمان لتكونوا من المفلحين، وبذلك يكون القرآن قد أقام حججاً متعددة على حماقتهم وعنادهم وجحودهم للحق بعدما تبين[3].

7. بيّن الشيخ إن الآية الكريمة قد مدحت القرآن بخمس صفات هي[4]:

أ . انه منزل من عند الله تعالى وبإذنه.

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 218/1 .
(2) ينظر: المصدر نفسه : 219/1 .
(3) المصدر نفسه : 219/1 .
(4) المصدر نفسه : 219/1 .

ب . انه منزل على قلب النبي(ﷺ).

جـ . انه مصدق لما نزل قبله من الكتب السماوية.

د . انه هاد إلى الخير أبلغ هدى وأقواه.

هـ . انه بشارة للمؤمنين.

8. فسر طنطاوي قوله تعالى: (ﮚﮛ ﮜ ﮝ) مبيناً: إن الله تعالى بيّن حقيقة أمر من يعادي جبريل (عليه السلام)؛ لأن عداوته، هي عداوة لله تعالى؛ لأنه أمين وحيه إلى رسله، وليس له في ذلك شيء إلا أن يبلغ ما أمر الله به، ثم بين (رحمه الله) معنى عداوة العبد لله: فهي تكمن في كفره به ومخالفته لأوامره ونواهيه، أما عداوته لملائكته: فهي إنكار فضلهم ووصفهم بما ينافي عصمتهم ورفعة منزلتهم، ومعنى عداوته لرسله: فهي تكذيب لهم وتعمد إلحاق الأذى بهم، أما عداوة الله لعبده: فهي غضبه سبحانه عليه ومجازاته له على كفره[1].

9. بيّن السبب في صدارة لفظ الجلالة الآية الكريمة موضحاً ذلك بـ:

أ . تفخيماً لشأن الملائكة ورسله.

ب . إشعاراً بأن عداوتهم إنما هي عداوة له ـ تعالى .

10. بيّن السبب في إفراد جبريل وميكال بالذكر، مع اندراجهما مع عموم الملائكة قائلاً[2]:

أ . تصريح اليهود بعداوة جبريل وتعظيم ميكائيل.

ب . المعاداة لأحدهما تقي معاداة الجميع.

جـ . الكفر بأحدهما هو الكفر بالآخر.

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 220/1 .

(2) المصدر نفسه : 220/1 .

11. ثم بيّن ختام الآية في قوله تعالى: (ۀ ہ ہ ۂ) قائلاً: إن الله تعالى لم يقل عدو له أولهم ليدل على أن عداوة كل واحد ممن اشتملت عليه الآية الكريمة على ذكرهم كفر وجحود، ليكون اندراجهم تحت هذا الحكم العام من باب إثبات الحكم بالدليل، وبلا شعار بأن عداوة الله تعالى لهم كانت كفرهم فإنه تعالى لن يعادي قوماً لذواتهم ولا لأنسابهم، وإنما يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدو للعدو[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في عداوة اليهود لجبريل (عليه السلام).

1. قال مقاتل بن سليمان في تفسيره: إن سبب عداوة اليهود لجبريل (عليه السلام)؛ لأنه عدل بالنبوة فجعلها إلى بني إسماعيل (عليه السلام)، إذ قالت اليهود: إن جبريل عدونا أُمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا[2].

2. قال ابن حجر العسقلاني: إن من أسباب العداوة لجبريل (عليه السلام)؛ لأن اليهود يرون أن جبريل (عليه السلام) حال بينهم وبين قتل بختنصر الذي خرب بيت المقدس وسفك دماءهم وسبى ذراريهم[3].

فعن ابن عباس (رضي الله عنه): (أن سبب عداوة اليهود لجبريل (عليه السلام) ان نبيهم موسى أخبرهم أن بختنصر سيخرب بيت المقدس، فبعثوا رجلاً ليقتله، فوجدوه شاباً ضعيفاً، فمنعه جبريل من قتله، وقال له: إن كان الله أراد هلاكهم على يده فلن تتسلط عليه، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله فتركه فكبر بختنصر، وغزا بيت المقدس فقتلهم فصاروا يكرهون جبريل لذلك[4].

رابعاً: زعم اليهود محبة ميكائيل (عليه السلام).

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 220/1 .
[2] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان : 1/ 120 .
[3] ينظر: العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي : 298/1 .
[4] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، باب (من كان عدو لجبريل): 166/8، وينظر: العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني : 359/1.

فقد زعمت اليهود إن ميكائيل (عليه السلام) هو وليهم من الملائكة، ولهذا فهو الملاك المفضل لديهم، والذي يكنوا له كل المحبة والدليل على ذلك ما جاء في الأثر (حدثني محمد بن المثنى قال: حدثنا ربعي بن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: نزل عمر الروحاء فرأى رجالاً أحجاراً يصلون إليها فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله (ﷺ) صلى ههنا، فكره ذلك وقال: إنما رسول الله (ﷺ) أدركته الصلاة بوادٍ ثم ارتحل فتركه، ثم أنشأ يحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان، ومن الفرقان كيف تصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك! قلت: ولم ذلك؟ قالوا: إنك تغشانا وتأتينا، قال: قلت إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق الفرقان! قال: ومر رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم، فألحق به! قال: فقلت لهم عند ذلك أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا، قال: أما إذ أنشدتنا به فإنا نعلم أنه رسول الله، قال: قلت: ويحكم إذا أهلكتم قالوا إنا لم نهلك، قال: قلت: كيف ذاك وأنتم تعلمون أنه رسول الله (ﷺ)، ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه، قالوا: إن لدينا عدداً من الملائكة وسلماً من الملائكة، وإنه قرن به عدونا من الملائكة، قال: قلت ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل، قال: قلت وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل؟ قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا.

قال، قلت: وما منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال، قلت: فو الله الذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم سالمهما ما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، قال: ثم قمت فأتبعت النبي(ﷺ) فلحقته وهو خارج من مخرقة لبني فلان فقال لي: (يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن) فقرأ عليّ: (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه،

حتى قرأ الآيات، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك الخبر فاسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخير)[1].

وجاءت في الأثر أيضاً: حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر بن قتادة في قوله: (من كان عدو لجبريل) قال: قالت اليهود: إن جبريل هو عدونا لأنه ينزل بالشدة والحرب والسنة وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب، فجبريل عدونا، فقال الله جل ثناؤه: ﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾[2].

نستنتج من الأثر الذي تم ذكره إن الملك المقرب عندهم هو ميكائيل (عليه السلام)، والسبب يرجع في ذلك لأنه ملك موكل بالرحمة والغيث...إلخ، وهذا حسب ما يزعمون، ولهذا نجد الآية الكريمة ذكرت جبريل (عليه السلام) وميكائيل (عليه السلام) رغم دخولهما ضمن الملائكة جميعاً، وذلك للرد على مزاعم اليهود في التفريق وتكذيب مزاعمهم حول معاداة جبريل ومحبة ميكائيل، هذا وقد نفهم من سياق الآية الكريمة ان اليهود كسبوا عداوة الله (سبحانه وتعالى) بعداوتهم للملائكة ولجبريل وبشكل خاص، فليس لهم الحق في التفريق بين ملائكة الله (سبحانه وتعالى)، وقد وصفهم رب العزة بوصف واحد لقوله تعالى: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ﴾[3]، وقال تعالى في هذا المعنى: ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ﴾[4].

فالآيتين السابقتين تخبرنا إن الملائكة لا يعصون خالقهم في شيء ويفعلون ما يؤمرون، فليس لهم تصرف من عند أنفسهم، بل عباد لله مكرمون مقربون، قال الطبري (رحمه الله) عند تفسير الآيات السابقة قائلاً: خاطب الله (سبحانه وتعالى) نبيه الكريم محمد(ﷺ) أمراً له بأن يقول لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو لأنه صاحب سطوات

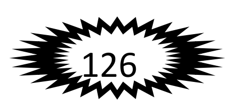
---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : 381/2 - 382، والدر المنثور، السيوطي : 221/1 - 222.

[2] المصدر نفسه، الطبري : 382/2 - 383، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 225/1

[3] سورة النحل : الآية (50) .

[4] سورة التحريم : الآية (6) .



وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئتهم به من الآيات، ثم أخبرهم إن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعاد جميع الملائكة والرسل، لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله ولياً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته؛ لأن العدو لله عدو لأوليائه، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته، لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له، فكذلك قال لليهود الذين قالوا: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم: چگ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھچ[1]، ثم يخبرهم (جب ثناؤه) أن من كان عدو لجبريل فهو لكل من ذكره من الملائكة والرسل وميكائيل عدو، وكذلك إن عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولي)[2].

المطلب الرابع: ملكان بابل (هاروت وماروت) وافتراء اليهود عليهم.

أولاً: تأصيل المسألة.

بين الشيخ طنطاوي أصول هذه المسألة معتمداً في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم، فقد جاء في قوله تعالى: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ

[1] سورة البقرة : الآية (98).
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري : 435/1 .

ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، وكانت في جوانب عدة:

1. فسر طنطاوي قوله تعالى: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) مبيناً: هذا بيان لما صدر عن اليهود من تكذيب للرسول (ﷺ)، وطرح لتعاليم كتابهم التي أمرتهم باتباعه.

2. اعتمد على أقوال العلماء:

أ . اعتمد على قول ابن جرير فيما أخرجه عن السدي (قال في قوله تعالى: ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)، أي: لما جاءهم محمد(ﷺ) عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة والقرآن، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت، فذلك قول الله كأنهم لا يعلمون، أي: كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود، فنقضوا عهد الله، لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتباع محمد(ﷺ) وتصديقه[2].

أما الغاية في وصف الرسول محمد(ﷺ) بأنه أتى من الله تعالى، فهي:

أ . تعظيم له.

ب . مبالغة في إنكار عدم إيمانهم به.

جـ . إغراء الناس جميعاً بالدخول في دعوته.

د . بيان إنه ليس رسول من تلقاء نفسه، وإنما هو رسول من عند الله تعالى.

---

(1) سورة البقرة : الآيتان (101 - 102).
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 224/1، نقلاً عن تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري : 404/2 .

ب . اعتمد على قول الشيخ محمد رشيد رضا في بيان معنى قوله تعالى: (ٹ ڌ ڌ)، قائلاً: قال الأستاذ الإمام في قوله تعالى: (ٹ ڌ ڌ) وجهان:

أحدهما: أنه متصل بقوله تعالى: (ٻ ٻ ٹ)، أي: أن الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر.

الثاني: وهو لأظهر أنه متصل بالكلام عن اليهود، وأن الكلام في الشياطين قد انتهى عند قوله تعالى: (ٹ) وانتحال اليهود لتعليم السحر أمر كان مشهور في زمن التنزيل، ولا يزالون ينتحلون ذلك إلى اليوم، أي: أن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وها هنا يقول القائل: بماذا اتبعوا أولئك الشياطين الذين كذبوا على سليمان في رميه بالكفر وزعمهم أن السحر استخرج من كتبه التي كانت تحت كرسيه؟ فأجاب عن طريق الاستئناف البياني يُعلمون الناس السحر، ونفي الكفر عن سليمان وإلصاقه بالشياطين الكاذبين ذكر بطريقة الاعتراض، فعلم أيضاً أنهم اتبعوا الشياطين بهذه الفرية، وإنما كان القصد إلى وصف اليهود بتعلم السحر، لأنه من السيئات التي كانوا متلبسين بها، ويضرون بها الناس خداعاً وتمويهاً وتلبساً[1].

3. بين المراد بقوله تعالى: ( ) وهي التوراة، والمعنى في ذلك أن ما جاء به من تعاليم موافق لها في أصول الدين، وأن ما جاءت به من صفات للرسول المنتظر بعد عيسى (عليه السلام) لا تنطبق إلا عليه (ﷺ)[2].

4. على معاني اللغة:

أ . لأنه تعالى عبر عن تركهم العمل بالكتاب الذي نزل لهدايتهم بالنبذ، مبالغة في عدم اعتداءهم، وتناسيهم إياه، لأن أصل النبذ طرح وإلقاء مالا يعتد به[1]، مبيناً بعد ذلك أسباب إسناد النبذ إلى فريق من أهل الكتاب.

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 1/ 227، نقلاً عن تفسير المنار، محمد رشيد رضا : 331/1 .
[2] المصدر نفسه : 1/ 224 .

1. سخرية بهم. 2. استجهال لهم؛ لأن الذين آتوه هم الذين نبذوه، ولو كان النابذون من المشركين لكان لهم بعض العذر لجهلهم، ولكن أن يكون التاركون لنورهم الذين آتوه وأكرموا به، فذلك هو الضلال المبين[2].

ب . معاني اللغة قائلاً: اتبعوا: هو من الاتباع وهو الاقتداء[3]، والضمير فيه يعود على اليهود المعاصرين للنبي(ﷺ)، أما وتتلو: فهو من التلاوة بمعنى الاتباع أو القراءة[4]، أما الشياطين فهي جمع شيطان، وهو كائن حي خلق من النار، ويطلق على الممتلئ شراً من الإنس[5] .

5. وقيل المراد بكتاب الله الذي نبذوه القرآن، لأنهم لم يؤمنوا به، بل تركوه بعد سماعه، وتناسوا ما اشتمل عليه من هداية وإرشاد مع أنه كان من المتحتم عليهم أن يتلقوه بالقبول وبعد ذلك يرجح طنطاوي:

القول الأول: معللاً ذلك بـ(النبذ)؛ لأنه يقضي سابقة الأخذ في الجملة، وهو متحقق بالنسبة للتوراة، بخلاف القرآن الكريم، فإنهم لم يسبق لهم أن تمسكوا به، ولأن مذمتهم تكون أشد وجحودهم أكثر، إذ كان المراد بالكتاب الذي نبذوه، هو عين الكتاب الذي نزل لهدايتهم وآمنوا به وهو التوراة[6].

6. استعمل ضرب من ضروب البلاغة وهي (الكتابة) مع قول العرب، في بيان قوله تعالى: (   )؛ لأنه كناية عن إعراضهم الشديد عنه، وتوليهم عن تعاليمه؛ لأن العرب تقول: جعل هذا الأمر وراء ظهره، أي تولى عنه معرضاً؛ لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر

---

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ)، الناشر: دار الكتب، ط1 (1429هـ - 2008م) : 2156/3 .

(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 1/ 224 .

(3) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي : 706/1 .

(4) ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 46/1 .

(5) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي : 1209/1 .

(6) تفسير الوسيط، طنطاوي : 1/ 225 .

إليه، وفي هذه الجملة الكريمة تصوير صادق لإعراضهم عن كتاب الله تعالى، حيث شبه سبحانه تركهم لكتابه، بحالة شيء يرمى به وراء الظهر استهانة به، وفي إضافة الوراء إلى الظهر، تأكيد لنبذ ما ترك بحيث لا يؤخذ بعد ذلك.

7. قواعد النحو العربي قائلاً:

أ . أما قوله تعالى: (   )، فهو نفي الحال والاستقبال للإشعار بأنهم قوم لا أمل في توبتهم وإنابتهم، بل هم تمر بهم الأيام وتتوالى عليهم العظات، ومع ذلك لا يتوبون ولا يرجعون إلى الحق، فهم مستمرون على طرح كتاب الله في كل وقت وآن، ومصممون على ذلك[1].

ب . استعمل قواعد النحو في بيان المراد بقوله تعالى:(ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) قائلاً: أما قوله تعالى: (ٹ ٹ)، فهي موصولة وهي معطوفة على السحر في قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ)، أي: يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم الذي أنزل على الملكين، أما الذي أنزل عليهما هو وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به، ليعرفاه الناس فيجتنبوه على حد قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه[2]

فالشياطين عرفوه فعملوا به، وعلموه للناس ليستعملوه في الشر ورد المآثم بينما المؤمنون عرفوه واستفادوا من الاطلاع عليه فتجنبوه[3].

جـ . ثم يبين الشيخ نفي سبحانه أن يكون السحر مؤثراً بذاته، وذلك لقوله تعالى: (ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ)، معتمداً بذلك على[4]:

---

(1) المصدر نفسه : 225/1 .
(2) ديوان أبو فراس الحمداني، من قصيدة عرفت الشر: 232/1 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 228/1 .
(4) ينظر: المصدر نفسه : 230/1 .

ثم جاءت معترضة لدفع توهم أن يكون السحر مضراً بذاته، بحيث لا يتخلف عنه الضرر متى تعاطاه السامر، أما المراد بقوله: (ﭫ ﭬ) هنا تخليته سبحانه بين المسحور وضرر الساحر، أي: إن شاء حصل الضرر بسبب السحر، وإن شاء منعه فلا يصيب المسحور منه شيء من الأذى.

د . عبر سبحانه عن هذا المعنى بأسلوب القصر، وذلك لـ:

– مبالغة في نفي أي تأثير للسحر بذاته.

– إغراء للناس بتكذيب ما يزعمه السحرة من أن لهم قوة، سوى الأسباب التي ربط الله بها المسببات.

– إرشاد لهم إلى حسن الاعتقاد.

– سلامة اليقين.

8 . بين المعنى الإجمالي للآية قائلاً: إن هؤلاء اليهود الذين نبذوا كتاب الله، وتبعوا ما تتلوه وتقصه الشياطين في زمان سليمان من الأكاذيب والكفر، ومن ذلك إن ملكه قام على أساس السحر، وأنه ارتد في أواخر أيامه، وعبد الأصنام إرضاء لنسائه الوثنيات إلى غير ذلك من الأكاذيب التي لصقوها به (عليه السلام)، وهي بريء منها[1].

9. استعمل آيات القرآن الكريم في بيان قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ)، أي: ان نبي الله سليمان (عليه السلام) ما كفر، ولكن الشياطين هم الذين كفروا، وذلك بتعلم السحر وتعليمه للناس والعمل به، ففي الجملة الكريمة تنزيه لنبي الله سليمان (عليه السلام) عن الردة والشرك والسحر، الذي كان يتعاطاه الشياطين، ثم ينسبوه إليه زوراً وبهتاناً، ودلالة على أن ذلك السحر الذي نسبوه إليه وباشرته الشياطين نوع من الكفر، وكان اليهود عندما يذكر النبي محمد (ﷺ)

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 226/1 .

سليمان بين الأنبياء يقولون: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحراً يركب الريح[1].

10. بين الحكمة في نفي الكفر في سليمان (عليه السلام) مع ان صدر الآية لا يقيد أن أحداً نسب إليه ذلك قائلاً:

إن اليهود الذين نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما تلته الشياطين من السحر أضافوا هذا السحر إلى سليمان، وقالوا إنه كان يسخر به الجن والإنس والريح، فأكذبهم الله تعالى بقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ)، وذلك لأن الضمير في قوله تعالى: (ﭨ ﭩ ﭪ) يعود على الشياطين الذين افتروا الأكاذيب على سليمان (عليه السلام)، ويجوز أن يعود على اليهود الذين نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تلته الشياطين على سليمان[2].

11. يبين الشيخ سبب إضافة الله تعالى إلى اليهود إتباع ما تتلوا الشياطين، مع انه كان معروفاً قبل سليمان (عليه السلام)، وذلك:

أ . لأن هذا كان هو الواقع منهم.

ب . لأن سحر هؤلاء الشياطين الذين كانوا على عهد سليمان، كان مدوناً في صحف اليهود من قديم.

جـ . توارثه خلفهم عن سلفهم، إلى أن وصل إلى من عاصر النبي محمد(ﷺ).

د . لأن سليمان (عليه السلام) أعطاه الله تعالى ملكاً واسعاً، وسخر له الإنس والجن والريح، فعزت الشياطين ذلك كله إلى تعلمه السحر[3].

12. ثم بين سبب اختصاص بابل[4] بالإنزال قائلاً:

أ . لأنها كانت أكثر البلاد عملاً بالسحر.

---

[1] المصدر نفسه : 226/1 .
[2]المصدر نفسه: 1/ 227 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 227/1 .
[4] بابل: هي مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر، ينظر: معجم البلدان، الحموي : 309/1 .

ب . كان سحرتها قد اتخذوا من السحر وسيلة لتسخير العامة لهم في أبدانهم وعقولهم وأموالهم.

ت . جروهم إلى عبادة الأصنام والأوثان والكواكب فحدث فساد عظيم وعمت الأباطيل حتى ألهم الله تعالى هاروت وماروت، أن يكشفا للناس حقيقة السحر ودقائقه، حتى يعلموا الناس أن السحرة الذين صرفوهم عن عبادة الله (عز وجل) إلى عبادات أخرى، قد خدعوهم وأضلوهم، وبذلك يعودون إلى الصراط المستقيم[1].

13. استعمل القراءات في بيان حركة اللام في قوله تعالى: (ملكين) قائلاً: واللام في الملكين مفتوحة في القراءات العشر المتواترة، وقرئ شاذاً الملكين بكسر اللام، ثم ذكر قول بعض المفسرين في المراد بـ(الملكين) بفتح اللام قائلاً: قال بعض المفسرين: أما المراد بـ(الملكين) فهما رجلان صالحان اطلعا على أسرار السحر التي كانت تفعلها السحرة، فعلماها للناس ليحذرهم من الانقياد لتلبيسات الشياطين، وسميا ملكين مع أنهما من البشر لصلاحهما وتقواهما، ويؤيد هذا الرأي قراءة (ملِكين) بكسر اللام، وإن كانت شاذة[2].

14. ذكر قول جمهور المفسرين في بيان المراد بـ(الملكين) قائلاً: قال جمهور المفسرين: إنهما ملكان على الحقيقة أنزلهما الله تعالى ليعلما الناس السحر ابتلاء لهم، ليفضحا مزاعم السحرة الذين كانوا يدعون النبوة كذباً، ويسخرون العامة لهم ويخرجوهم إلى عبادة غير الله، (وهاروت وماروت)، هما اسمان للملكين الذين أنزل عليهما السحر[3].

15. استعمل قواعد النحو مع معاني اللغة، في بيان المراد بقزله تعالى:(ڤ ڤ ڤ ڤ) في هذه الآية الكريمة بيان لما كان ينصح به الملكان من يريد تعلم السحر منهما، والجملة الحالية من (هاروت وماروت)، أما المراد بالفتنة: فهي الابتلاء والاختبار، نقول فتنت الذهب

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 1/ 228 .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 228/1 .
(3) المصدر نفسه : 228/1 .

فب النار، أي: أخبرته لتعرف جودته ورداءته[1]، والمعنى في ذلك أن الملكين لا يعلمان أحد من الناس السحر ألا وينصحانه، وذلك بقولهما له إن ما نعلمك إياه من فنون السحر كان الغرض منه الابتلاء والاختيار، وذلك ليميز المطيع من العاصي، فمن عمل به ضل وغوى، ومن تركه فهو على هدى ونور من الله، وكذلك لإظهار الفرق بين المعجزة والسحر[2].

16. بين الشيخ لوناً من ألوان السحر البغيض، معتمداً في ذلك على نص الآية الكريمة، فقد جاء في قوله تعالى: (ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)، أي: يتعلم بعض الناس من الملكين ما يحصل به الفراق بين المرء وزوجه، فالجملة الكريمة تقريع عما دل عليه قوله تعالى: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ)، لأنه يقتضي أن التعليم حاصل، وأن بعض المتعلمين قد استعملوه في التفريق بين الزوجين، وإنما خصص سبحانه هذا اللون من السحر بالنص عليه، وذلك:

أ . للتنبيه على شدة فساده.

ب . شناعة ذنب من يقوم به.

ت . لأنه تسبب في التفريق بين الزوجين اللذين جمعت بينهما أواصر المودة والرحمة[3].

17. بين الشيخ معنى قوله تعالى: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ)، مفسراً معنى الجملة الكريمة وفيها زيادة في التنبيه إلى:

1. تفاهة عقول المشتغلين بالسحر للأذى.

2. مبالغة في تجهيل المصدقين لهم؛ لأن الساحر مهما بلغت براعته فلن يستطيع أن يمنع شيئاً أراده الله، ولا يأتي بشيء منعه الله، مادام الأمر كذلك، فالمشتغل به والمصدق له

(1) ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 234/1 .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 229/1 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 229/1 .

كلاهما وقع في ضلال مبين، هذا وقد أفادت الجملة الكريمة بجمعهما بين إثبات الضر ونفي النفع مفاد الحصر فكأنه سبحانه يقول ويتعلمون ما ليس إلا ضرراً بحتاً[1].

18. بين الشيخ معنى قوله تعالى: (ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ)، على:

أ . قواعد النحو قائلاً: أما الضمير في (ک)، فهو يعود إلى اولئك اليهود الذين تركوا كتاب الله واستبدلوا به السحر، وأن من فعل ذلك ليس له حظ في الجنة، لأنه قد اختار الضلال وترك الهدى، وعلمهم مرجعه إلى أن التوراة قد حرمت عليهم تعلم السحر وتعليمه للأذى والضرر، بل وشددت العقوبة على مرتكبيه[2].

ب . معاني اللغة قائلاً: أما شروا هنا فهي بمعنى: باعوا وبيع الأنفس هنا معناه بيع نصيبها من الجنة ونعيمها، والمعنى في ذلك ولبئس شيئاً باع به اولئك السحرة حظوظ أنفسهم تعلم ما يضر من السحر والعمل به، ولو كانوا ينتفعون بعلمهم لما فعلوا ذلك، ثم أثبت لهم تعالى العلم بذلك قائلاً: (ک ک ک گ) ثم نفاه عنهم لقوله: (ڻ ڻ ڈ)، فكان هذا جرياً على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة من أن العالم بالشيء إذا لم يعمل بموجب علمه نزل منزلة الجاهل ونفى عنه العلم كما ينفى عن الجاهلين[3].

19. ثم بين الشيخ معنى السحر معتمداً في ذلك على:

أ . معاني اللغة قائلاً: أما السحر في أصل اللغة معناه الصرف[4]، أي: فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، هذا وقد ذكر السحر في القرآن والسنة، واتفق علماء المسلمين على أن هناك شيئاً يسمى سحراً، إلا انهم اختلفوا في تصويره، فجمهور أهل السنة ذهب إلى أن للسحر آثار حقيقية، وأن الساحر يأتي بأشياء غير عادية إلا ان الفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر نبيه (ﷺ) أن يستعيد به من شر النفاثات في العقد، وهم السحرة على أرجح الأقوال[5].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

---

[1] المصدر نفسه : 230/1 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 230/1 .
[3]تفسير الوسيط: 1/ 231 .
[4] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 143/1 .
[5] تفسير الوسيط، طنطاوي : 232/1 - 233 .

1. يقول ابن كثير: وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من إن الزهرة كانت امرأة، وقد اجتمع معها هذين الملكين فراودوها على نفسها، وطلبا منها الفاحشة فأبت، إلا أن يعلماها الاسم الأعظم فعلّماها فقالته فرفعت إلى السماء، فهذا الكلام على أغلب الظن من الإسرائيليات التي غزت كتب التفسير وتلقاها بعض السلف فذكروها على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل) [1].

2. ينكر الآلوسي (رحمه الله) الآراء التي تم ترويجها من قبل أعداء الله من اليهود عن قصة هذين الملكين فيقول: (وأمّا ما روي أن الملائكة تعجّبت من بني آدم في مخالفتهم ما أمر الله تعالى به، وقالوا له تعالى: لوكنّا مكانهم ما عصيناك، فقال: اختاروا ملكين منكم، فاختاروهما فهبطا إلى الأرض ومثلا ببشرين، وألقى الله تعالى عليها الشبق، حكما بين الناس، فافتتنا بامرأة يقال لها زهرة، فطلباها وامتنعت إلا أن يعبدا صنماً أو يشربا خمراً، أو يقتلا ففعلا، ثم تعلمت منهما ما صعدت به إلى السماء فصعدت ومسخت هذا النجم وأرادوا الخروج فلم يمكنهما، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما الآن يعذبان فيها، إلى غير ذلك من الآثار التي بلغت طرقها نيفاً وعشرين، فقد أنكره جماعة القاضي عياض[2]، وذكر أنَّ ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت لم يرد منه شيء، لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله (ﷺ)، أما من (اعتقد أن هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله العظيم فإن الملائكة معصومون ﭽ
      ﭼ[3].

---

[1] ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 (1408هـ - 1998م) : 39/1 .
[2] روح المعاني، الآلوسي : 339/1.
[3] سورة التحريم : من الآية (6) .

المطلب الخامس: تعريف الملائكة في المنظور الإسلامي.

مدخل:

رأت الباحثة أن يكون هناك تعريفات للملائكة من وجه نظر إسلامية حتى يستطيع القارئ والباحث الوقوف على حقيقة هؤلاء المخلوقات التي خلقها الله (سبحانه وتعالى)، ووجوب الإيمان بها، ولا سيما إن جميع الشرائع التي أنزلها الله (سبحانه وتعالى) على أصفياءه كانت تدعو إلى توحيد الله (سبحانه وتعالى)، والإيمان به وبرسله وملائكته، فالإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الثابتة لدى المسلمين وإنكارهم يعتبر خروج من الملة، وبهذا يكون ما ذهب إليه المسلمين مختلف تماماً على ما ذهب إليه أهل الكتاب في الاعتقاد بالملائكة وغيرها، فمذهب المسلمين أوجب على الإيمان بكل ما جاء من عند الله (سبحانه وتعالى) سواء كان أمراً محسوساً أم أمراً غيبياً، فنحن قوم نؤمن بالله (سبحانه وتعالى) وكل ما أنزله على أنبياءه المرسلين من الاعتقاد بالجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه، وخروج الروح، ووجود الملائكة والجن والشياطين والقضاء والقدر، والبعث والحساب، فقال سبحانه وتعالى واصفاً بذلك عباده المؤمنين: چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟچ[1]، ووجوب الإيمان بالملائكة لم يقتصر على ما ذكره القرآن الكريم فقط، وإنما تعداه إلى أن يذكر في السنة النبوية الشريعة، فقد نصت السنة النبوية الشريفة على الإيمان بالملائكة إيماناً مطلقاً، والدليل على ذلك ما جاء من حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الصحيح:" الإيمان أن نؤمن بالله وملائكته

---

[1] سورة البقرة : الآية (3) .

وكتبه ورسله واليوم الآخر ونؤمن بالقدر خيره وشره"[1]، وكذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: (أن رسول الله (ﷺ)، قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة في النهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يُعرج الذين يأتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون[2].

أولاً: التعريف اللغوي.

الملائكة: جمع مَلْكَ بفتحتين، وقيل هي مخفف في مَالَكٍ، وقيل أيضاً إن أصلها المَلْك بفتح ثم سكون: وهو الأخذ بالقوة، وقيل في أصل وزنه إنه جاء على زنة مفعل فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع، وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيث الجمع، وكان للكسائي رأي آخر في ذلك، فقال أصل الملائكة من مَألك وذلك بتقدم الهمزة من الأَلوك، وهي الرسّالة، ثم قلبت وقُدّمت اللام[3].

الملائكة في الاصطلاح: المَلَك جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماء[4].

ومما تقدم فإن الباحثة خلصت إلى ان مفهوم الألوهية عند اليهود هو:

1. العقيدة اليهودية في أصلها هي عقيدة التوحيد الخالص، وهذا ما جاء به أنبياء بني إسرائيل كما هو واضح للجميع.

---

[1] صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : 37/1، رقم الحديث: (8) .

[2] صحيح بخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعرج الملائكة والروح إليه : 2702/6، رقم الحديث: (2992).

[3] ينظر: لسان العرب، لابن منظور : 496/10، وينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي : 932/1، وينظر: تاج العروس، للزبيدي : 354/27.

[4] ينظر: التعريفات، للجرجاني : 229/1، وينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب ـ القاهرة، ط1 (1429هـ ـ 2008م) : 724/1، باب (ملاك)، برقم: (4810).

2. التوراة التي بين يدي اليهود اليوم، اعتراها كثير من التحريف والتضليل والافتراء والتغير.

3. لا يمكن لأي باحث في النصوص التوراتية المحرفة أن يصف عقيدة اليهود بالتوحيد، فهي نصوص تزخر بكم هائل من المقاطع والفقرات التي تدل وبشكل واضح على عدم التوحيد عندهم.

4. النصوص التوراتية توافق القرآن الكريم بالنسبة للأحداث إلا انها تبتعد كل البعد في الأسلوب والألفاظ والمعاني، وهذا إن يدل فهو يدل وبشكل قاطع على أيدي التحريف التي طالت التوراة من قبل أحبارهم، فهم يذكرون الحدث كما جاء في القرآن الكريم، إلا إنهم عاجزين عن الإتيان بذلك التناسق العظيم.

5. صورة الإله في الفكر اليهودي صورة مشوشة مشوبة بالخرافات والأساطير، والسبب يرجع في ذلك إلى كُتّاب التوراة الذين تأثروا كثيراً بالحضارات القديمة.

6. ما صورته النصوص التوراتية لصورة الإله لا يؤيدها عقل سليم، وهم بهذا خرجوا عن عقيدة التوحيد بفكرهم الضال إلى عقيدة الشرك والإلحاد.

الفصل الثاني

مفهوم النبوة وصورة الأنبياء في المنظور اليهودي وموقف سيد طنطاوي منه

المبحث الأول

مفهوم النبوة والرسالة عند اليهود والمسلمين وموقف سيد طنطاوي منه.

مدخل:

مما لاريب فيه إن الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، هم الصفوة المختارة من البشر، تم اصطفائهم لمهمة عظيمة، وهي هداية الناس لطريق الحق، ومن هنا كانت النبوة والرسالة اختياراً خالصاً لله (سبحانه وتعالى)، يختص بها من يشاء من عباده وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭽ ﭼ ﭼ ﭽ ﭽ ﯾﭼ[1][2]، وقال تعالى في معرض الحديث عن بعض الرسل: ﭽ ﭽ ﭼ ﭼ ﭽ ﭽ ﭼ[3]، وإنما كانت النبوة اصطفاءً واختياراً من الله (سبحانه وتعالى)؛ لأنها مسؤولية كبيرة لا يستطيع أن يقوم بثقلها وإعبائها إلا من كان ذو عزم وقوة من الرجال، والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ[4]، وبهذا اقتضت حكمته العليا أن يجعل أصفياءه أكمل البشر خلقاً وأحسنهم سلوكاً، وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً وأكثرهم فطنة وعقلاً[5]، ولهذا أوصى القرآن الكريم مؤكداً احترام جميع الأنبياء مع الحث المستمر على عدم التفرقة بينهم ولاسيما لأنهم أعلى من أبناء البشر، لهم صفات خاصة ميزتهم عن سائر الخلق، مع تحليهم بأعظم الصفات من الصبر والثبات بوجه الأذى الملازم للمستكبرين الذين يصدون الناس عن

---

[1] سورة الحج : من الآية (75) .

[2] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 261 .

[3] سورة ص : الآية (47) .

[4] سورة المزمل : الآية (5) .

[5] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 261 .

الدين الحق[1]، ولأجل ذلك كله كان حديث القرآن الكريم عن أنبياء الله حديثاً يتناسب مع تلك المكانة العالية، وذلك التشريف السام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ[2]، والمتتبع لحديث القرآن الكريم عن أنبياء الله يجد إن الله (سبحانه وتعالى) يتحدث عن أنبياءه ويصفهم بأسمى الصفات والخلق والمواهب، فقد قال عن إبراهيم (عليه السلام)، واصفاً إياه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ[3]، وقال عن إسماعيل (عليه السلام): ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭼ[4]، هكذا كان حديث القرآن الكريم عن أنبياء الله واصفياءه، حديثاً يتلاءم مع تلك المكانة السامية، على عكس ما وجدناه في التوراة، فقد تحدث اليهود عن أنبياء الله حديثاً لا يليق بهم، بل لا يليق بأرذل الناس خلقاً[5]، هذا ولابد من الإشارة هنا إلى قضية النبوة، فهي قضية شغلت مساحات واسعة من اهتمام الديانات المختلفة، فهي تأتي من حيث الأهمية بعد الألوهية مباشرةً، والديانة اليهودية كغيرها من الديانات السماوية قد أفردت للنبوة حيزاً كبيراً من نصوصها، وعالجت العلاقة بين الأنبياء والإله بشكل مفصل، وإن القارئ للأسفار اليهودية المقدسة التي كانت موضوعها النبوة والأنبياء، سيجد أن القراءة الأولية للنصوص قد تحمل أكثر من تأويل وتفسير، يخرج القارئ من أجواء روحية مقدسة إلى معانٍ تخلو من هذه السمة وربما تقترب كثيراً من الكفر والتجديف، وهذا ما كان شائعاً في نصوص العهد القديم[6].

المطلب الأول: مفهوم النبوة في المنظور اليهودي.

---

(1) ينظر: المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (عليه السلام) وفرعون مقارنة عقائدية، زاهية راغب الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط1 (1418هـ ـ 1998م) : 148 .

(2) سورة الأنبياء : الآية (73) .

(3) سورة مريم : من الآية (41) .

(4) سورة مريم : من الآية (54) .

(5) ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 261 .

(6) أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود، فلسفة ابن ميمون أنموذجاً، فكري جواد عبد، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة : 31 .

نجد ان مفهوم النبوة في الرؤية اليهودية تختلف عنه عند المسلمين، فهي لا تقتصر على من اختارهم الله لهذه المهمة العظيمة، بل تتسع لتشمل كل من يدعي النبوة من الكهنة والسحرة والمخادعين والكذابين، فضلاً عن أدعياء النبوة رجالاً كانوا أو نساءً[1].

وإلى هذا المعنى يشير سفر حزقيال بقوله:" وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم: اسمعوا كلمة الرب، هكذا قال السيد الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب، لم تصعدوا إلى الثغر، ولم تبنوا جدار لبيت إسرائيل للوقوف في الحرب في يوم الرب، رأوا باطلاً وعراقة كاذبة. القائلون: وحي الرب، والرب لم يرسلهم، وانتظروا إنبات كلمة"[2]، وبهذا تكون النبوة عند اليهود لها مفهوم واسع وشامل، وهي غالباً ما تكون عنصراً مزدوجاً يجمع الدين والدنيا ويغطي جوانبها، فالنبوة ليست فقط ضوء يلقيه الله ليكشف عن مكنونات المستقبل وأسراره، بل يهدف أولاً إلى معرفة ما في القلب، وذلك من خلال إعلان فكر الله تعالى، وعلمه الواسع المحيط بالأشخاص والأشياء والأزمنة والأماكن واستحضاره أما الله تعالى[3]، ونجد ان هذا الاضطراب في مفهوم النبوة لدى اليهود إنما يرجع إلى من كتب التوراة، لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن جلال النبوة ورفعة قدّرها، وقداستها، بل كانوا يجهلون عن الأنبياء والنبوات كل شيء[4]، والدليل على ذلك ذلك النبوة في نصوص التوراة هي لا تقتصر على الرجال فقط، بل تتعدى لتكون للنساء، فقد ذكرت لنا التوراة في أكثر من موضع نبيات من النساء، منها مريم أُخت هارون، حيث جاء في سفر الخروج:" فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها"[5].

---

[1] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 293.

[2] سفر حزقيال : 13/ 2 - 6 .

[3] ينظر: صدى النبوات في الماضي في الحاضر في المستقبل ـ بيروت، ط3، 1991م : 10، وينظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط6 : 37 .

[4] ينظر: فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة، آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والنشر ـ القاهرة، ط1 : 127 .

[5] سفر الخروج : 20/15 .

وجاء في سفر العدد أيضاً:" وتكلمت مريم وهارون على موسى.. فقالا هل كلم الرب موسى وحده أَلم يكلمنا نحن أيضاً"[1]، ومن نبيات العهد القديم كذلك دبورة النبية التي جمعت كما يزعمون بين القضاء والنبوة في وقت واحد، حيث ورد في سفر القضاة:" ودبورة امرأة نبية"[2].

وكذلك (خلدة) النبية التي جمعت بين الكهانة وبين النبوة، حيث ورد في سفر الملوك الثاني:"فذهب حلقيا الكاهن وأَخيقام وعكيور وشافان وعسايا إلى خلدة النبية"[3].

هذا وقد تذكر لنا التوراة أنواع كثيرة من الأنبياء منهم ما كانوا أنبياء حقيقيين وما كانوا أنبياء كذبة محترفين، والعجب في ذلك إن الصورة التي قدمها كتبة أسفار العهد القديم للأنبياء الحقيقيين صورة مشوهة لا تليق بمن اختارهم الله (سبحانه وتعالى) لهذه المهمة السامية، فقد نسبوا لهم من صفات الرذيلة التي لا تليق بالإنسان العادي، لا وبل جعلوا سلوك أنبياء بني إسرائيل حتى الأنبياء الكبار منهم أو الحقيقيون على حد تعبيرهم، لا تختلف في بعض المواقف عن سلوك الأنبياء الكذبة المحترفين[4]، ومن الفروقات التي تذكرها لنا التوراة المحرفة بين ما يطلقون عليهم أنبياء حقيقيين وأنبياء كذبة، أن النبي الحقيقي يتنبأ دائماً بالكوارث والنكبات والمصائب لعلمه أن الله يحكم الناس بالعدل، ويأخذ عليهم خطاياهم دون محاباة، أما النبي الكاذب فهو لا يتنبأ إلا بالخبر كما يزعمون[5]؟ هذا وقد تذكر لنا التوراة أيضاً أنبياء للأصنام، حيث ورد في سفر الملوك الأول:" وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السواري أربع المئة"[6].

---

(1) سفر العدد : 12/ 1 - 2 .
(2) سفر القضاة : 4/ 4 .
(3) سفر الملوك الثاني : 22/ 14 .
(4) ينظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، لواء أحمد عبد الوهاب : 16 - 20، وينظر: الأنبياء والنبوة، إبراهيم مطر، مكتبة مشعل الأنجلية - بيروت، 1958م : 13 .
(5) ينظر: المرشد إلى الكتاب المقدس، القس سيكل سيل، ط8 - بيروت، 1958م : 47/1 .
(6) سفر الملوك الأول : 18/ 9 .

وبهذا يكون هنالك صعوبة قصوى في التميز بين النبي الصادق من النبي الكاذب في نظر التوراة وكتَّابها، هذا وتصور لنا التوراة الأنبياء كسائر البشر لا يختلفون عنهم في شيء، وكل ما يجوز على البشر من الوقوع بالمعاصي وعدم العصمة والكذب والغش والخداع والزنا وشرب الخمر يجوز عليهم، حتى في حال نبوتهم، ويجوز عليهم كذلك أن يشركوا بالله (سبحانه وتعالى)، وأن يدعوا الناس إلى الشرك ويعينونهم عليه، ومن هنا نسبوا إليهم مالا يليق بهم من المعاصي والآثام والذنوب سواء كانت هذه الذنوب من الكبائر أو من الصغائر، وباختصار فهم ينسبون إليهم أكبر الكبائر دون حرج أو حياء[1]، وبهذا يكون مفهوم النبوة في التوراة مفهوم مضطرب مشوه غير واضح، فهنالك خلط واضح بين المصطلحات، كمصطلح الرائي والنبي ورجل الله، فالرائي مثلاً يتلقى الوحي وهو بكامل وعيه ويقظته، فضلاً عن القدرة التي يمتلكها في رؤية أمور لا تقع في دائرة البصر الطبيعي للبشر، ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن أن تسمعها[2].

أما مصطلح (النبي) فهو يشير إلى التنبؤ بأمور المستقبل، لذا كان لكل ملك عندهم من مملكة يهوذا أو مملكة إسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء مهمتهم التنبؤ لهذا الملك بالمستقبل؟[3] أما مصطلح (رجل الله) عندهم فهو يعبر عن كل من كان له دعوة مقدسة أو مؤتمن على دعوة الله، وبهذا يكون هنالك تحول واضح عن مصطلح الرائي أو النبي بعد ما اتسع شأن (رجال الله)، وقوي في أيام (اليسع)(عليه السلام)، ففي هذا العصر تغيرت صفات رجال الله ووضائهم وأوصافهم[4].

---

[1] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 264، وينظر: النبوة والأنبياء عند اليهود في العهد القديم، سليمان بن قاسم العيد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية : 10 .

[2] ينظر: ترجمان الأديان، أسعد السحراني، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط2 (1433هـ ـ 2012م : 219 - 220 .

[3] ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1 (1410هـ ـ 1990م) : 222 - 223 .

[4] ينظر: أبحاث في الفكر اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، دار العلوم ـ بيروت، ط1 (1407هـ ـ 1997م) : 62 .

هذا وقد يعتقد اليهود إن النبوة ممتدة في بني يعقوب وإلى الأبد، فهم ينسبون إلى الله قوله:"قال الرب روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد"[(1)].

هذا وكما إنهم يعتقدون دائماً إن النبوة ممكنة لجميع بني إسرائيل دون استثناء بين الرجال أو النساء، والكبار والصغار، والعبيد والإماء، فهم ينسبون إلى الله قول محرف في سفر يوئيل، حيث ورد فيه:" وإني أنا الرب إلهكم وليس غيري ولا يخزي شعبي إلى الأبد، ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام"[(2)].

ويشير الدكتور عباس محمود العقاد إلى أن اليهود اكتسبوا معنى أو مفهوم النبوة من العرب، لأنهم لم يفهموا من النبوة في بداية الأمر إلا معنى الإنذار، فلهذا كانوا يستخدمون لفظ الآباء، وقد سمي إبراهيم (عليه السلام) رئيس الآباء، هذا وقد يعتقد الكثير من علماء الأديان الغربيين أن اليهود قد اكتسبوا كلمة النبوة من العرب[(3)].

والناظر في قصة نبوة صموئيل التي وردت في سفر صموئيل فهو تنبأ وهو ما يزال صغيراً، إذ جاء فيه:" وكان الصبي صموئيل يخدم الرب أمام عالي وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام.. وعرف جميع إسرائيل من دان إلى سبع أنه قد اؤتمن صموئيل نبياً للرب"[(4)]، وعندما أطلق اليهود لفظ نبي على عاموس قال لهم:" لست نبياً ولا أنا ابن نبي، بل أنا داعٍ وجاني جميز فأخذني الرب من وراء الظأن وقال الرب: اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل"[(5)].

[(1)] سفر أشعياء : 59/ 21 .
[(2)] سفر يوئيل : 27/2 - 29 .
[(3)] ينظر: إبراهيم أبو الأنبياء، العقاد، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، ط5، 2005م : 151.
[(4)] سفر صموئيل الأول : 13/ 1 - 21 .
[(5)] سفر عاموس : 7/ 14 - 15 .

نستخلص من هذا، إن مفهوم النبوة عند اليهود مفهوم واسع المدلول، فلا يشترط في النبي أن يكون صاحب شريعة عامة شاملة، بل النبوة عندهم هي أشبه بالوظيفة، أو هي عبارة عن ازدواج ديني ودنيوي، سماوي وأرضي[1]، وكان من نتائج هذا الإتساع في مفهوم النبوة في التوراة، إلى الازدحام في ذكر الأنبياء، ومن ذلك انه بلغ عدد الأنبياء من الكثرة عند بني إسرائيل ان مئة نبي يجتمعون في مكان واحد، كما قالوا في ذلك:" وكان حينما قطعت إيزابيل أنبياء الرب أن عوبديا أخذ مائة نبي وخبأهم خمسين رجلاً في مغارة وعالهم بخبز وماء"[2].

ويشمل مفهوم النبوة عند اليهود أيضاً ارسال أنبياء على أنبياء، ومن ذلك ما ورد في سفر حزقيال: "وكان كلام الرب إليَّ قائلاً ابن آدم تنبأ على أنبياء إسرائيل"[3]، فالناظر لهذا النص يجد ان أنبياء الله (سبحانه وتعالى) قد خالفوا أمره، فاحتاج الأمر إلى أن يرسل إليهم أنبياء آخرين يردوهم إلى الصواب فأي افتراء هذا؟ هذا وقد أسندت أسفار التوراة إلى أنبياء الله ورسله وظائف مختلفة، فقد جاء في سفر الخروج عندما قال الله لموسى:" انظر: إنما جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك"[4]، والقارئ لهذا النص يستنتج إنَّ النبوة عند اليهود ترتقي إلى مقام الألوهية فيصبح النبي إلهاً ويكون شقيق ذلك النبي الذي ارتقى إلى مقام الألوهية العظيم نبياً هو الآخر، ومن الوظائف التي تنسبها التوراة لأنبيائها انهم كانوا وسطاء بين شعبهم وبين الله، فقد ورد في إبراهيم (عليه السلام):" ... فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا"[5]، فالصلاة هنا كانت من أجل الأفراد والجماعات الذين يلجئون إليه طالبين المغفرة أو أو قضاء حوائجهم من الله[6].

---

[1] ينظر: مفهوم النبوة في الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، سلامة حسين كاظم، بيت الحكمة ـ بغداد، ط1، 2012م : 15 .

[2] سفر الملوك الأول : 4/18 .

[3] سفر حزقيال : 13/ 1 - 2 .

[4] سفر الخروج : 7/ 1 .

[5] سفر التكوين : 20/ 7 .

[6] ينظر: أبحاث في الفكر اليهودي، حسن ظاظا : 70 - 71 .

هذا وقد يعبر عن عمل النبي في بعض الأحيان بـ(فم الله)، فقد ورد في سفر إرميا قائلاً: "هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبؤون لكم، فانهم يجعلونكم باطلاً، يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب"[1].

وكذلك يعبر عن عمل النبي بالرائي، وعمل النبي والرائي واحد، وهذا ما يؤكده النبي صموئيل، فقد ورد في ذلك:" سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله:" هلم نذهب إلى الرائي؛ لأن النبي اليوم كان يدعي سابقاً الرائي"[2].

هذا ويعبر أحياناً عن عمل النبي بـ(رجل الله)، فقد جاء في سفر التثنية:" وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله بني إسرائيل قبل موته"[3]، ويعبر عنه أحياناً بـ(خادم الله أو عبد الله)، فقد جاء في سفر حزقيال: "هكذا قال السيد الرب، هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة عن يد عبيدي أنبياء إسرائيل"[4]، وكذلك يعبر عن معنى النبي بمصطلح المرسل، فقد جاء في سفر حجي:" فقال حجي رسول الرب برسالة الرب لجميع الشعب قائلاً: أنا معكم يقول الرب"[5].

وبعد هذا العرض لنصوص التوراة، فقد ترى الباحثة ان مفهوم النبوة عند اليهود مفهوم مضطرب مشوه غير واضح لتلك المهمة المصطفاة، فكان لهذا الاضطراب في مفهوم النبوة، الأثر الواضح في اليهودية كديانة، يُدينها الكثير من الناس، مما انعكس وبشكل سلبي على المعتقد اليهودي الذي يدعي الإيمان بالنبوة والأنبياء من جهة، وبين تلك الأنواع الكثيرة المشوهة التي تذكرها لنا التوراة دون تورع أو خجل أو حياء من الله (سبحانه وتعالى)، فأي عقيدة هذه التي تصف أصفياء الله ومختار به بتلك الصفات التي لا يمكن أن يتصف بها أقل البشر خلقاً.

---

(1) سفر إرميا : 23 / 16 .
(2) سفر صموئيل الأول : 9/9 .
(3) سفر التثنية : 1/33 .
(4) سفر حزقيال : 17/38 .
(5) سفر حجي : 1/ 13 .

المطلب الثاني: مفهوم النبي والرسول في الرؤيا اليهودية والتفريق بينهما.

(النبي والرسول): هو الشخص الذي يعلن إرادة الله والمستقبل للشعب كما يرشده الوحي الإلهي[1]، وقيل هو كل من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه[2]، وقيل فيه أيضاً هو كل من ينوب بين الله والناس من أجل توضيح ما يريده ويقصده الله من خلقه، والدليل على ذلك ما جاء في سفر الخروج: "وهارون أخوك يكون نبياً"[3].

فمهمة النبي في هذه الفقرة تتلخص بأن هارون سوف يبلغ كلام موسى لفرعون ويوضح له قصده، فهو بهذا يكون نائباً عن أخيه موسى بما يريده ويقصده[4]، فرسالة النبي هي تبليغ إرادة الله ومقاصده للبشر، مع معرفة تعاليمه وأوامره ووصاياه وتحذيرهم من الابتعاد عن الملة، والتمرد على الله أو الإشراك به عن طريق عبادة الآلهة الوثنية من دونه، ناسبين هذا العلم إلى الله لا إلى أنفسهم[5]، ولم تقتصر وظيفة النبي عما ذكرناه بل تعدت ليكون النبي عند اليهود شفيعاً للشعب أمام الله، فهو من يلجأ إليه الأفراد في حالة السراء والضراء، فيقوم ذلك النبي ضارعاً لشعبه أمام الإله، كما فعل ذلك إبراهيم (عليه السلام) عندما تضرع للإله حتى لا تخسف سدوم[6]، وقيل في النبي أيضاً هو كل من تنبأ ولم تكن له أسفار نبوية، ومنهم من ينسبون إليهم أسفاراً جمعت مع أسفار موسى لتكون أسفار العهد القديم[7]، ويسمى النبي عند اليهود بالرائي، وذلك لأنه يرى أموراً لا تقع في دائرة البصر الطبيعي، فضلاً عن سماعه

---

(1) ثقتي في التوراة والإنجيل، جوش مكدويل، ترجمة: القس منيس عبد النور، دار الثقافة ـ القاهرة : 81 .
(2) قاموس الكتاب المقدس : 949 .
(3) سفر الخروج : 1/7 .
(4) ينظر: علم اللاهوت الكتابي، جوهاردوس قوس، ترجمة: عزت زكي (ت ـ ط)(ب ـ ت) : 299 ـ 33
(5) ينظر: المجتمع اليهودي، زكي شنوده، مكتبة الخانجي ـ القاهرة : 86 .
(6) سدوم: هي المدينة التي اتخذها لوط مسكن له بعد انفصاله عن إبراهيم لمعرفته بخصب أرضها وسهولة الري فيها، وقد عُوقبت من الله تعالى بسبب من اشتهروا به من الشذوذ الجنسي، وتقع سدوم اليوم تحت الماء جنوب البحر الميت، أي في الأردن حالياً، ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 928 .
(7) المصدر السابق : 951 ـ 952 .

أشياء لا تستطيع الأذن الطبيعية أن تسمعها كما يزعمون، وبهذا يكون النبي والرائي مصطلحان مترادفان[1]، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وكذلك يشير اليهود إلى النبي بتعابير كثيرة منها الرقيب، رجل الله، عبد يهوه، رسول يهوه، مفسر رجل الروح[2]، هذا وقد تصف اليهود النبي بأنه شخص مستقل برأيه دائماً، ومن الصعب تقيده بالعرف والعادة أو الرأي العام، فضلاً عما يتمتع من خشونة الخلق والجسد، وهو بهذا يسترعي انتباه الناس له، ولكونه مندفعاً وحاداً يكون دائماً معرضاً للمعاكسة والمقاومة[3]. هذا وقد يعتقد اليهود اتصال النبي بالملك اتصالاً وثيقاً، وهم بهذا يجعلون النبي يحتل مكان الملك، ولاسيما في إدارة شؤون اليهود السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وهو من توكّل له مهمة مصير اليهود في زمن السلم والحرب على حد سواء[4]، والدليل على ذلك ما ذكره لنا قاموس الكتاب المقدس من ان طاعة بني إسرائيل لموسى، ما كانت إلا لاعتقادهم في قيادته وسلطته وسطوته عليهم، وبصفته أنجح القادة الحربيين عليهم، لا لكونه نبياً ومرسلاً فقط[5]، وبهذا يكون اليهود أُمة لا تستطيع أن تفهم معنى النبي، بل اعتبروا الأنبياء طائفة من المشعوذين الذين يتلقون علوم التنجيم، والعرافة، وقراءة الغيب، ومعرفة الطالع في مدارس مخصصة لذلك[6].

ويصف اليهود أنبيائهم بالشعراء، فقد جاء قولهم ما نصه:" الشعر كلام موزون يسهل حفظه وتداوله ومن أجل ذلك فقد كان من السهل تناقل كلام الأنبياء، ورواية ما تفوهوا به، وكان الشعر يُدّرس في مدارس الأنبياء ويتناقله الرواة بسهولة"[7]، كما إنهم يدّعون ان النبوة بدأت بموسى وانتهت بملاخي، أما من كان قبل موسى أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب فهم يطلقون عليهم الآباء أو البطارقة[8]، ويعتبر اليهود زوجات الأنبياء نبيات أحياناً، دون أن

---

(1) دائرة المعارف الكتابية، جوزيف صابر وآخرون، دار الثقافة ـ القاهرة : 14/2 .
(2) الأنبياء، دروس في الكتاب المقدس، المنشورات المعمدانية : 6، وينظر: المرشد إلى الكتاب المقدس، سيكل سيل : 123/2 .
(3) المصدر نفسه : 6 ـ 7 .
(4) سفر الخروج: 17/ 13 .
(5) ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 930 .
(6) ينظر: المجتمع اليهودي، زكي شنوده : 169 .
(7) الأنبياء والنبوة، إبراهيم مطر، مكتبة المشعل الإنجيلية ـ بيروت، 1985م : 12 .
(8) ينظر: كل شيء عن اليهود، محمد سعيد مرسي، ط1 (1423هـ ـ 2003م)، مصر ـ القاهرة : 33 .

تكون لهن موهبة نبوية[1]، ولم يكن لأولئك النبيات من تأثير كبير على مجرى النبوة في العهد القديم[2].

ويظن اليهود إن العلاقة التي تربط بين أنبيائهم هي علاقة دم ونسب، وذلك لإعتقادهم دائماً باختصاص النبوة بهم دون غيرهم، أما غاياتهم ووحدة دعواتهم، فأمر ليس بالإعتبار مطلقاً، كما يعتقدون ان النبوة تنتقل من نبي لآخر، فهذا أمر شائع بين أنبياء بني إسرائيل فضلاً عن انتقالها إلى البشر العاديين لمجرد اللمس، فإذا وضع يده على آخر ليهبه النبوة فإنه يتنبأ أن يختصه الله بذلك[3]. وقد يؤسس اليهود مدارس للنبوة يتخرج طلابها باسم أبناء الأنبياء ويدعي رئيس المدرسة أباً أو سيداً[4]، أما مناهج تلك المدارس فتشمل تفسير التوراة، وتعليم الموسيقى والشعر، وكان نتاج ذلك ان نمت موجة من الشعر والغناء واللعب على آلات الطرب عند الأنبياء[5].

ولابد من الإشارة بمكان، بأن اليهود لا تعتقد بالتفريق بين النبي والرسول، فهما اسمان لمسمى واحد، فقد جاء عن ابن كمونة[6]: (يقال: نبي ورسول لمن يؤدي إخبار عن الله تعالى من غير أن يكون بينة وبينة واسطة آدمي[7]، وعلى هذا تكون النبوة والرسالة عندهم هي إخبار خفايا الله ومقاصده وتعاليمه وعن المستقبل وما حدث في الماضي، بوحي خاص منزل من الله على فم الأنبياء بدون واسطة تذكر[8]، وبهذا العرض اليسير ترى الباحثة اضطراب واضح في مفهوم النبي عند اليهود فهو مصطلح واسع جداً، ليشمل النبي الصادق، والكاذب، الكاهن، المنجم، فضلاً عن عابدي الآلهة الوثنية، هذا ويمكن أن تعطى النبوة وحسب اعتقادهم إلى من كان مشرك أو كافر، أو إلى من وصفوهم بالشعراء، ويعتقد اليهود بنبوة النساء، وقد تبرأ الرب من هؤلاء جميعاً، والدليل على ذلك نص من نصوصهم في التوراة حيث

---

[1] ينظر: المجتمع اليهودي، زكي شنوده : 88 .
[2] الأنبياء والنبوة، إبراهيم مطر : 48 .
[3] ينظر: سفر العدد : 25/11 .
[4] ينظر: صموئيل الأول : 10/ 12، والملوك الثاني : 3/2 .
[5] ينظر: قاموس الكتاب المقدس، طنطاوي : 949 .
[6] ابن كمونة: هو سعد بن منصور بن سعد بن الحسن، من أهل بغداد، كان له اشتغال بالمنطق والحكمة، توفي في الحلة، له مؤلفات كثيرة منها: (شرح تلويحات السهروردي في الحكمة)، (تذكرة في الكيمياء). ينظر: الإعلام، للزركلي : 3/ 102 - 103 .
[7] تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام، سعد بن منصور بن كمونة، دار الأنصار، المطبعة الفنية ـ القاهرة : 3 .
[8] المصدر نفسه : 3، وينظر: قاموس الكتاب المقدس : 949 .

قال إرميا على لسان الرب: "فقال الرب لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء بإسمي لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون"[1].

المطلب الثالث: مفهوم النبي والرسول والفرق بينهما في المنظور الإسلامي، وموقف سيد طنطاوي منه.

أولاً: النبي في اللغة.

مشتق من النبأ، والنبأ في اللغة هو الخبر أو الأخبار، يقال نبّأ وأَنبأ، أي: أخبر، ولما كان النبأ في اللغة بمعنى الخبر، فالنبيء حسب ذلك هو المخبر عن الله (عز وجل) لقوله تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ﴾[2]، يوضح الشيخ الطنطاوي (رحمه الله تعالى) معنى النبأ قائلاً: النبأ هنا هو الخبر مطلقاً، ويرى بعضهم أنه خبر ذو الفائدة العظيمة[3].

وجمعه (أنباء)، واستنبأ النبأ، أي: بحث عنه، وتنبأ، أي: أدعى ومنه المتنبي[4]، والنبي في الأصل صفة، مرويّ بالتخفيف، ولهذا دخله اللام، والنبي بغير الهمز، مشتق من النبوة كالرحمة وهي الرفعة والحق، وإن كان النبيء مهموز، فهو مشتق من النبأ، والنبأ هو الخبر ذو فائدة عظيمة، به علم أو غلبة ظن، وصفته التعري عن الكذب[5]، وبناءً على ذلك، فالنبوة إذن في أصلها الهمز، ولكن لما كثر الاستعمال خفف اللفظ وذلك بإسقاط الهمز، وتأتي النبوة في اللغة دائماً بمعنى الارتفاع والعلو عن الأرض، وذلك لأنها شرف من الله (سبحانه وتعالى) للأنبياء الكرام على سائر الخلق، وذلك لقوله تعالى: ﴿ہ ھ ھ ے ے ۓ﴾[6] [7].

ثانياً: النبي في الاصطلاح.

---

[1] سفر إرميا : 14/ 14 .
[2] سورة النبأ : الآيتان (1 - 2) .
[3] تفسير الوسيط للقرآن الكريم : 247/15 .
[4] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 268/1، وينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي : 67/1 .
[5] ينظر: الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي : 900/1 .
[6] سورة آل عمران : من الآية (139) .
[7] ينظر: النبوات، ابن تيمية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1985م : 336 - 337 .

هو من أوحي إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نبّه بالرؤيا الصالحة[1]، وأما مسماه في العرف: فهو ذكر من بني آدم، سليم من مُنَفِّر، معصوم عن الخطأ، أكمل معاصريه غير الرسل، اصطفاه الله من بين عباده وخصه بمشيئته، موهبة ورحمة منه، وأوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر بذلك[2].

فالنبوة بناءً على ذلك: هي تلك التشريف والتكليف الشاق، وهي ذلك الفضل الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده، وذلك لقوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼ[3] [4].

وقيل فيها أيضاً: بأنها تلك السفارة التي تكون بين العبد وبين ذوي العقول من الخلق، وذلك لإزالة علتهم، فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين، ولهذا يوصف النبي دائماً بالحجة والهداية؛ لأنه يزيح العلل، ويرشد إلى سبيل الهداية والحق[5].

ويعرف الشيخ طنطاوي (رحمه الله): النبي على إنه ذلك الشخص الذي هداه الله إلى طريق الحق، وهو المجتبى المختار لحمل الرسالة والوحي[6]. وبهذا ترى الباحثة ان الشيخ طنطاوي (رحمه الله) لم يخرج عمن سبقه في تعريف مصطلح النبي.

ثالثاً: الرسول في اللغة.

مأخوذ من الإرسال، والإرسال في اللغة، بمعنى التوجيه، أو مأخوذ من الرسل، والرسل بمعنى التتابع ومنها، رسل اللبن، إذ تتابع دره، ولما كان الرسل بمعنى التتابع في اللغة، فعليه

---

(1) التعريفات، للجرجاني : 307/1 .
(2) الكليات، الكفوي : 900/1 .
(3) سورة مريم : من الآية (58) .
(4) مفهوم النبوة في الإسلام، أبو عبد الرحمن الإدريسي، 2014 : 1 .
(5) ينظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت430هـ)، تحقيق: أحمد رواسي قلعه وصي، دار النفائس ـ بيروت، ط2 (1406هـ ـ 1986م) : 33/1 .
(6) ينظر: تفسير الوسيط : 49/9 .

يكون الرسول، هو الذي يتابع أخبار من بعثه، ومنها ما قالته العرب: جاءت الإبل رسلاً، أي: متتابعة، وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسالةٍ[1].

رابعاً: الرسول في الاصطلاح.

هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، فان لم يؤمر فنبي فقط[2].

خامساً: الفرق بين النبي والرسول.

للعلماء في التفريق بين كل نبي ورسول أقوال كثيرة، ولكنني سوف أذكر أشهرها وهي:

1. لا فرق بين النبي والرسول، فالأنبياء والرسل واحد، فهذا من قبيل الترادف لا غير، وعلى هذا فكل نبي رسول، وكل رسول نبي، فالرسول مأخوذ من تحمل الرسالة عادةً، أما النبي فهو مأخوذ من النبأ، إذا كان بهمز، والنبأ في اللغة الخبر، فيكون النبي بهذا مخبر عن الله (عز وجل)، ومن النبوة بغير الهمز، وهو الموضع المرتفع، والدليل على الترادف؛ لأن النبي محمد(ﷺ) كان يخاطب بهما[3].

2. النبي: هو من أوحي إليه بشرع إلا انه لم يؤمر بتبليغه، أمّا الرسول فهو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وبهذا يكون كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، والدليل على ذلك لأن القرآن الكريم قد جاء بهما جمعاً ومفصلاً، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[4] ﭼ[4] [1]، وهذا هو الراجح، والله تعالى أعلم.

---

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (رسل) : 11/ 283 ـ 284، وينظر: تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي : 10/ 36 .

[2] ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النوري، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار النشر، مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض : 59/1 .

[3] ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 193/1، وينظر: مفهوم النبوة في الإسلام، أبو عبد الرحمن الإدريسي، إسلام ديب، 2014م : 1.

[4] سورة الحج : الآية (52) .

المبحث الثاني

صورة أنبياء الله (عليهم السلام) في المنظور التوراتي المحرف والرد عليهم.

مدخل:

إن المتتبع لحال أعلام أنبياء بني إسرائيل الذي جاء ذكرهم في نصوص التوراة المحرفة، لا يكاد يجد نبياً سوياً.. بل كلهم أصابتهم أقلام كتّاب العهد القديم، في خير ما يملكون من صفات[2].

فقد تجرأ اليهود على أنبياء الله وأصفياءه، فوصفوهم بأقبح الصفات، وألصقوا بهم أشنع التهم، مما يتورع عنه كثير من سفلة الناس وأرذلهم[3]، والعجب من فعلهم هذا، إن هذه الصفات تتنافى مع وضع الأنبياء الديني والاجتماعي، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ولا يتصور صدورها إلا من سفه عقله فضيع عقيدته[4]، والعجب الأكبر ان المدافعين عن التوراة يقولون، إن ما جاء في العهد القديم من خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيها ولا مبالغة، وذلك لأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث، فقد أراد من وراء ذلك أن يثبت لخلقه، إن أنبياءه أُناس عاديون يخطئون ... ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته، فالله تعالى أراد أن يبعث

---

(1) ينظر: إعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 (1407هـ ـ 1987م) : 900/1 .

(2) ينظر: اليهود تاريخ وعقيدة، كامل سعفان، دار الاعتصام، 1981م : 163 .

(3) ينظر: النبوة والأنبياء عند اليهود في العهد القديم، سليمان بن قاسم العيد: 30، وينظر: أصول العقيدة في التوراة المحرفة عرض ونقد، محمد حافظ الشريده، جامعة النجاح الوطنية، كلية الشريعة، نابلس ـ فلسطين، 2004م : 289 .

(4) ينظر: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية ـ لبنان، ط1 (1424هـ ـ 2004م) : 160 .

الخطائين، خطائين مثلهم، والأنبياء كما هو معلوم خلقوا من طينة البشر، وعلى هذا فهم يمتلكون الضعف والغواية التي هي في البشر العاديين، وحوار الرب مع اليهود كان من خلال شخصيات متعثرة مثل البشر تماماً، وهذه هي أروع صورة لحرية إرادة الإنسان مع عظمة نعمة الله تعالى[1]، والذي يعنينا الآن، أن نذكر بديهية يتفق عليها من كان مؤمناً بالله وأنبيائه ورسله، وهي أن أنبياء الله ورسله هم المثل الأعلى من البشر، اختارهم الله وأصطفاهم لهداية الناس، فهم أهلاً أن يقتدى بهم، ومن هنا وجب أن تكون صورهم أمامنا صورة في غاية الحسن والصفاء، فإذا حدث وألقيت شبهة حول سلوكهم أو التصق بسيرتهم شيء من المثالب، كان اللازم تمحيص هذا وذاك، حتى نميز الخبيث من الطيب، ونستبين بذلك حقيقة الأنبياء والمرسلين[2].

يقول الإمام محمد عبده:" عندما تحدث الإسلام عن صفات الأنبياء (عليهم السلام) أثبت لهم جميعاً علو فطرتهم وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلّغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية وسلامة أبدانهم مما تنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات المتقدمة وأن أرواحهم معدودة من الجلال الإلهي مالا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة (روحانية)[3].

وبهذا ترى الباحثة إن الله تعالى لا يرسل إلى خلقه إلا من كانوا صفوتهم وخيارهم، ومن كان لهم قدوة حسنة في كل شيء، خُلقاً وعملاً ونسباً، وهذا ما وصف به أنبياء الله في القرآن الكريم، أما ما كان من صور مشوهة لأنبياء الله في التوراة المحرفة، فسنتعرف عليها عندما نتناول أهم الأنبياء.

---

[1] ينظر: التوراة، مصطفى محمود : 61 .

[2] ينظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط2، 1413هـ : 30 .

[3] رسالة التوحيد، محمد عبده، دار إحياء العلوم ـ بيروت، 1962م : 65 .

المطلب الأول: نوح (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

تروي لنا أسفار العهد القديم زعماً وافتراء على نبي الله نوح (عليه السلام)، متهمة إياه بشرب الخمر حتى أسرف في شربه، فتعرى وكان أضحوكة لبعض بنيه، فقد جاء في سفر التكوين:

أ . "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجها هما إلى الوراء، فلم يبصروا أبيهما، فلما استيقظ نوح من سكره، علم مل فعل ابنه الصغير، فقال (ملعون كنعان)، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام ليكن كنعان عبداً لهم"[1]، أقول: هذا نص واضح وصريح ذكر في كتابهم المقدس، فضلاً على ان هذا النص شرح نفسه بنفسه ولا يحتاج منا أي تفسير أو تعليق أو توضيح، فعند استقراء هذا النص، نجد إن من كتب هذا النص المفترى تعمد أن ينسب إلى شيخ الأنبياء الصبور الشكور نوح (عليه السلام) مصوراً إياه بأنه سكير شارباً للخمر، لا وبل يُسرف في شرب الخمر حتى يتعرى داخل خبائه كما يزعمون، حتى يرى عورته أصغر أبنائه، ناقلاً الخبر لأخويه ساخراً من أبيه، وعندما يفيق نوح من سكره يصب لعنته على كنعان أصغر أبنائه، وذكر كنعان هنا؛ لأن الكنعانيين هم أصحاب الأرض التي يطمع فيها الإسرائيليون[2].

---

[1] سفر التكوين : 20/9 - 26 .

[2] ينظر: اليهودية تاريخ وعقيدة، كامل سعفان : 163 .

مناقشة اليهود في زعمهم المذكور:

وهنا سؤال يُطرح للنقاش: ما هي الدوافع التي تدفع اليهود إلى هذه الأكاذيب المفتراة على نبي من أنبياء الله المصطفين ولاسيما نبي سبقهم بقرون، ولماذا؟ يُجيبنا على هذا السؤال الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي[1]قائلاً:" وأحسب من جانبي أن الأمر لا يعدو أن يكون تأصيلاً لنظرية بني إسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات، وراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثان شنيعان خسيسان هما:

1. تأصيل اصطفاء السلالة ورفعها ـ عرقياً وعنصرياً ـ فوق الكنعانيين أعدائهم التقليديين، وذلك إن الكنعانيين إن هم إلا الفلسطينيون أصحاب الأرض التي استولى عليها بنو إسرائيل، وكانت بينهم دماء وحروب وثارات.

2. التشنيع على أول رسل الله نوح (عليه السلام)، والتشغب عليه تنفيذاً لخطتهم الخبيثة في تشويه صورة كرام البشر عموماً ورسل الله خصوصاً"[2]، وكان لصاحب كتاب الصهيونية تحليل رائع يقول فيه:" وإذا حلّلنا هذا الزعم الذي هو غير مبرر بجريمة لا تُغتفر حتى تعاقب عليها أجيال إلى يوم الدين، فنراه لفائدة النسل المختار وأمراً مدبراً بليل"[3]، " ومن المحزن حقاً أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية وسنداً قوياً يحتجون به، فقد صدرت مجلة (لايف) عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس، جاء فيه: (لا تزال

---

[1] محمد عبد الله الشرقاوي: هو أستاذ ورئيس قسم الفلسفة ومقارنة الأديان بكلية العلوم بجامعة القاهرة، وله مؤلفات كثيرة منها: (القرآن والكون، (والإيمان). ينظر: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل ـ بيروت، مكتبة الزهراء ـ بحرم الجامعة ـ القاهرة، ط2، 1990 : 275 - 276 .

[2] في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل ـ بيروت، مكتبة الزهراء، بحرم جامعة القاهرة، ط2 (1410هـ ـ 1990م) : 194 - 195 .

[3] أصول الصهيونية ومآلها، عبد الحميد بن شنهو، الشركة الوطنية ـ الجزائر، (ب، ط)(ب، ت) : 25، نقلاً عن عقيدة اليهود في تفسير الشيرازي، فلاح صبحي : 170 .

حكومة جنوب أفريقيا معتمدة على ما جاء في سفر التكوين الذي يصف أحد أبناء حام (وهو كنعان) بأنه عبد العبيد، لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم"[1]؟!

هكذا وصف العهد القديم أول أنبياء الله ومصطفيه نوح (عليه السلام) بلا حياء أو تورع من نبي اختاره الله لهداية الناس.

ب . الصورة التي رسمها لنا القرآن الكريم عن شيخ الأنبياء، فهي صورة مشرفة يستحقها هذا النبي الكريم، فقد برأ الله تعالى ساحة نبيه مما نسب إليه زوراً وبهتاناً، مخبراً عنه، هو ذلك النبي الذي أدى الأمانة فبلغ الرسالة بكل إخلاص واحترام وصبر على أذى قومه، فاستحق بذلك الصبر أن يكون من أولي العزم من الرسل الكرام، فضلاً عن تسمية صورة كاملة له في القرآن الكريم، إعلاءً لذكره وتشريفاً وثناءً عليه، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ[2].

ثانياً: ردود الشيخ الطنطاوي على المسألة، وفيها جوانب عدة.

استعان طنطاوي في بيان معنى الآية الكريمة:

1. معاني اللغة العربية: فقد بيّن معنى الميثاق الذي ورد في قوله تعالى، فهو العهد الموثق المؤكد، المأخوذ من لفظ وثق، المتضمن معنى الشد والربط على الشيء بقوة وإحكام[3]، أي: إن الله (سبحانه وتعالى) أخذ من هؤلاء الأنبياء عهد عظيم الشأن، بالغ الخطورة، رفيع المقدار، على أن يبلغوا ما أوحي الله لهم من هداية الناس والأمر بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وعلى أن يصدق بعضهم بعضاً في أصول الشرائع ومكارم الأخلاق، وكان على رأس الذي أخذ منهم هذا العهد العظيم النبي محمد (ﷺ)، وقُدم (عليه الصلاة والسلام) لمزيد من فضله على جميع الأنبياء، ثم خص هؤلاء الأنبياء وحسب ترتيب

---

[1] النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب : 34 .
[2] سورة الأحزاب : الآية (7) .
[3] ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي : 927/1 .

بعثتهم وهم (نوح، إبراهيم، وموسى وعيسى ابن مريم) بالذكر للتنويه على فضلهم، فهم أولو العزم من الرسل، وهم الذين تحملوا في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى أكثر ما تحمل غيرهم[1]، ثم بيّن سبب تقديم النبي(ﷺ) على سائر الأنبياء، وذلك لمزيد فضله عليهم.

2. اعتمد على قول الآلوسي في تقديم نوح (عليه السلام) في سورة الشورى، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮊ[2]، فلا يضر ذلك التقديم؛ لأن لكل مقام مقال، والمقام في سورة الشورى وصف دين الإسلام بالأصالة، والمناسب فيه تقديم نوح، فكأنه قيل: شرع لكم من الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم، وبعث عليه محمد(ﷺ) في العهد الحديث، وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء[3].

3. اعتمد قواعد اللغة العربية في إفادة تفخيم ذلك الميثاق، حيث جاء قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﭼ[4]، فجاء معطوف على ما قبله وهو (أخذنا من النبيين ميثاقهم)، مع بيان أنه عهد في أقصى درجات الأهمية والشدة[5].

4. استعمل وجه من وجوه البلاغة في وصف ذلك الميثاق بالغلظ، فالغلظ إستعارة في وصف الأجرام، والمراد هنا عظم ذلك الميثاق وجلالة شأنه في بابه.

المواضع التي ذكر فيها نبي الله نوح (عليه السلام):

أ . ذُكر في سور متعددة من القرآن منها سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة نوح، وسورة المؤمنون، مصوراً لنا القرآن الكريم جانباً من النعم التي أنعم بها الله تعالى على نبيه نوح (عليه السلام)، فقد استجابة لدعائه الذي تضرع به، فقد نجاه وأهله من الكرب العظيم، مهلكاً

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 11/ 178 - 179 .
(2) سورة الشورى : الآية (13) .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 179/11، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 154/21.
(4) سورة البقرة : من الآية (154) .
(5) تفسير الوسيط : 179/11 .

أعداءه بالطوفان المعروف، فقد جاء في قوله تعالى: چ □ □ ى ى ې □ □ □ □ □ چ[1]،

ب . ثم يشهد الله (تعالى) شهادة مشرفة في حق هذا النبي الصبور، فقد كان (عليه السلام) من العباد الشكورين، وذلك بقوله تعالى: چ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃچ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇچ[2].

ج . يجازي الله (تعالى) نبيه نوح (عليه السلام)، وذلك ببعثه له تحية سلام، مبقياً له الذكر الحسن والكلمة الطيبة في الأمم التي تأتي بعده إلى يوم القيامة، فقد جاء في قوله تعالى: چ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ[3] [4]، هذه هي الصورة التي يصورها القرآن الكريم لنبي من أنبياء الله المصطفين، فقد اجتباه واختاره وفضله على كثير من الناس، ثم شهد له بالإيمان المطلق، بخلاف ما تصوره لنا التوراة عن هذا النبي الكريم، فهل يعقل أن نبي الله موسى (عليه السلام) يصف أخيه نوح (عليه السلام) بهذه الصفات؟ التي لا يمكن أن يتصف بها أقل الناس خلقاً[5].

---

[1] سورة الصافات : الآيتان (75 - 76) .
[2] سورة الإسراء : الآية (3) .
[3] سورة الصافات : الآيتان (79 - 81) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 12/ 92 .
[5] ينظر: في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي : 196 .

المطلب الثاني: إبراهيم (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

ينسب العهد القديم إلى إبراهيم (عليه السلام)، أنه كان يدفع زوجته إلى الفاحشة، وذلك للحصول على الهدايا والأموال، وهذا ما جاء في سفر التكوين: أ ." وحدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر انه قال الساراي امرأته، إني قد علمتُ إنك امرأة حسنة المنظر، قولي إنك أُختي ليكون لي خير بسببك...، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير"[1]، هذه هي الرواية اليهودية عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) رواية مليئة بالخبث والكذب والافتراء على أنبياء الله الصادقين[2]، فالرواية التوراتية هذه تبين لأي قارئ موقف إبراهيم من زوجته، فقد وقف موقف التاجر بعرضه، المحتمي بامرأته الجميلة (سارة)، ليصير له بعد ذلك غنم وبقر وحمير وإماء و.... وجمال وهذا على حد قولهم[3].

وتظهر لنا الرواية أيضاً، إن إبراهيم (عليه السلام) لو لم يقل عن زوجته إنها أخته ما أخذها فرعون؟ وكان الكذب في قوله هذا ليس لمجرد الخوف فقط، بل كان لحصوله على منفعة أخرى وهي أن يُصيبه (بعرضها) خيراً كثيراً، بل إن رجاء حصول هذه المنفعة كان أقوى، والدليل على ذلك إنه قدم تلك المنفعة على خوفه من القتل، ولاسيما إن القتل كان مجرد وهم، لأنه كان راضياً بتركها، فلا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً[4].

ويستنتج من هذه الرواية الباطلة ما يأتي:

---

[1] سفر التكوين : 12/ 10 - 20 .

[2] ينظر: إبراهيم أبو الأنبياء، العقاد : 58 .

[3] ينظر: اليهود تاريخ وعقيدة، كامل سعفان : 163 .

[4] ينظر: العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد محمد عيسى : 363 .

1. إن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) كذب، وذلك بقوله عن امرأته إنها أخته.

2. حرض زوجته (سارة) على الكذب.

3. كان متاجراً بعرض زوجته من أجل الحصول على المال.

فهل يجوز لأي عاقل أن يتصور صدور هذا عن إبراهيم (عليه السلام)، وذلك يترك حريمه وتسليمها للغير دون أي دفاع عن عرضه، بل كان راضياً بذلك، لحصوله على ما يريد كما يزعمون؟ وهل يرضى بذلك من كان له أدنى غيره؟ فكيف بخليل الله وأبو الأنبياء وصفوة الأُمناء والعقلاء[1].

ب . وصف القرآن الكريم نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، بأنه (أمة) جامعة لكل خصال الخير والمعروف والتقوى، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[2].

ثانياً: ردود الشيخ الطنطاوي على المسألة، وفيها عدة جوانب:

1. اعتمد على معاني اللغة العربية أ . في بيان المراد بلفظة (أمة)، فهو يطلق على الجماعة، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[3]، أي جماعة من الناس[4]، كما يطلق على الدين والملة كما في قوله تعالى: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ[5]، أي: على دين وملة[6]، ومنها أيضاً: الحين والزمان كما في قوله تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[7]، أي: إلى زمان معين[8].

---

[1] ينظر: السيف الصقيل في الرد على البرهان الجليل، الشيخ بكر أفندي التميمي الراوي : 7 - 8 .
[2] سورة النحل : الآيتان (120 - 121) .
[3] سورة القصص : من الآية (23) .
[4] المعجم الوسيط : 27/1 .
[5] سورة الزخرف : من الآية (22).
[6] معجم الوسيط : 27/1 .
[7] سورة هود : من الآية (8) .
[8] معجم الوسيط : 27/1 .

ب . ثم يصفه الله (تعالى) بصفة (القنوت)، والقنوت في اللغة طاعة مع خضوع[1]، فضلاً على ما اتصف به بصفة الحنف، وذلك بقوله تعالى (حنيفاً....)، وهو المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق[2]، لأن الحنف بمعنى الميل والاعوجاج، يقال فلان برجله حنف، أي: إعوجاج وميل[3] .

وبعد أن مدح (سبحانه) إبراهيم (عليه السلام) بتلك الصفات الجامعة لمجامع الخير، اتبع ذلك ببيان فضله (تعالى) عليه، فقال اجتباه، أي: اختاره واصطفاه للنبوة، وذلك لأن الإجتباء في اللغة بمعنى الأصطفاء والاختيار[4].

وبهذا يكون (تعالى) قد وصف خليله بجملة من الصفات الفاضلة والمناقب الحميدة، فقد وصفه أولاً بأنه (أمة)، أي كان عنده من الخير ما كان عند أمة بأكملها، ويصح أن يكون المراد بذلك إنه (عليه السلام) كان إماماً يقتدى به في وجوه الطاعات وفي ألوان الخيرات، وفي الأعمال الصالحات، وفي إرشاد الناس إلى أنواع البر[5]، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﭼ[6]، ثم يصفه تعالى بأنه كان (قانتاً لله)، أي مطيع لله، خاضعاً لأوامره ونواهيه، مائلاً عن الباطل إلى الحق، منزه عن الإشراك بالله (تعالى)، فقال: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[7] في العبادة للآلهة أخرى، أو في أي من الأمور، بل أخلص عبادته لخالقه (عز وجل)[8].

أما قوله تعالى: شاكر لأنعمه فهو بمعنى معترفاً بفضل الله (تعالى) عليه، ومستعملاً نعمه فيما خلقت له، ومؤدياً حقوق خالقه فيها، قال تعالى: ﭽ   ﭼ[9]، أي قام

---

[1] ينظر: المعجم الوسيط : 761/1 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 257/8.
[3] ينظر: المصدر السابق : 202/1 .
[4] المصدر نفسه : 106/1 .
[5] ينظر: المصدر نفسه : 57/8 .
[6] سورة البقرة : من الآية (124) .
[7] سورة البقرة : من الآية (135) .
[8] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 258/8 .
[9] سورة النجم : الآية (37.

بجميع ما كلفه الله به، وبعد ذلك بين الذ مدح به (عليه السلام)، فقد بيّن تعالى اختصاص ذلك العبد بخصائص ومزايا يحصل له عن طريقها أنواع من النعم بدون كسب منه.

ثم بيّن تعالى صفة ذلك الصراط وذلك بقوله: (وهداه صراط مستقيم)، أي: أرشده إلى الطريق القويم، الذي دعا الصالحون ربهم أن يرشدهم إليه، حيث قالوا في تضرعهم: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥﭼ[1]، وهو طريق الإسلام.

2. فسر الشيخ قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[2]، أي: وجمعنا له خير الدنيا من كل ما يحتاج المؤمن إليه ليحيا حياة طيبة، كهدايته إلى الدين الحق، ومنحه نعمة النبوة، وإعطاءه الذرية الصالحة، والسيرة الحسنة، والمال الوفير.

وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من هذه النعم، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ[3]، وكما في قوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯠﯡ ﯢ ﯣ □ﭼ[4]، ثم ذهب في قوله تعالى: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼ[5]، أي: وإنه في الدار الآخرة لمندرج في عباد الله الصالحين، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، والذين كانت لهم جنات الفردوس نزلاً[6].

3. اعتمد في بيان قوله تعالى:(ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ)، على التفسير بالمأثور:

أ . فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) إنه قال في تفسير هذه الآية، إن إبراهيم (عليه السلام) كان عنده من الخير ما كان عند أمة، أي: جماعة كثيرة من الناس،

---

[1] سورة الفاتحة : الآية (6) .
[2] سورة النحل : الآية (122) .
[3] سورة الشعراء : الآية (84) .
[4] سورة مريم : الآية (49) .
[5] سورة البقرة : من الآية (130) .
[6] تفسير الوسيط، طنطاوي : 258/8 .

ب . كذلك ما روي عن مجاهد في تفسير الآية الكريمة، فقد وصف الله تعالى إبراهيم على إنه أمة وذلك لإنفراده بالإيمان في وقته مدة ما[1].

4. اعتمد على الحديث النبوي الشريف، فقد جاء في صحيح بخاري أنه قال لزوجته سارة:" ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك"[2].

وبعد هذا العرض لسيرة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، في كل من نصوص التوراة، وما جاء في القرآن الكريم، ترى الباحثة فرق كبير بين الروايتين فشتان ما وُصف به إبراهيم (عليه السلام) في نصوص التوراة، وما جاء به القرآن الكريم.

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 257/8 .

(2) صحيح بخاري، كتاب مناقب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ں ں ڻ ڻ) : 112/4.

المطلب الثالث: لوط (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

تنسب التوراة المحرفة إلى نبي الله لوط (عليه السلام) شرب الخمر مع ارتكاب جريمة الزنا مع ابنتيه؛ فبعد شربه للخمر فقد وعيه ووقع فيما نهى الله عنه، فقد جاء في سفر التكوين:" وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة:" أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلاً"، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة:" إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه (مواب) وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه (عمون)، وهو أبو بني عمون إلى اليوم"[1].

ب . دحض القرآن الكريم ذلك الإفتراء، وبرأ نبيه من ذلك الزعم، فجاء في قوله تعالى: چۀ ۀ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦچ[2].

ثانياً: ردود الشيخ الطنطاوي على المسألة.

1. اعتمد في بيان قصة نبي الله لوط (عليه السلام) على:

أ . قواعد اللغة العربية موضحاً إن لوطاً هنا جاء منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق، أي: (وأَرسلنا) لوطاً (وإِذ قال لقومه)، جاء ظرف لأَرسلنا، وجواز أن يكون لوطاً منصوباً بضمير محذوف، فيكون عطف القصة على القصة، (وإِذ) بدل من لوط، بدل اشتمال بناء على أنها لا تلزم الظرفية وقوله: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ)، أي أتفعلون تلك

---

[1] سفر التكوين : 30/19 ـ 38 .

[2] سورة الأعراف : الآيات (80 ـ 84) .

الفعلة التي بلغت نهاية القبح والفحش، والتي ما فعلها أحد قبلكم في زمن من الأزمان، فأنتم أول من ابتدعها فعليكم وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة[1]، فخرج الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ[2].

ب . أما قوله تعالى: (ﭽ □ □□) فهو حال من الرجال أو من الواو في تأتون، أي: تأتون الرجال حالة كونكم تاركين النساء اللائي هن موضع الاشتهاء عند ذوي الطبائع السليمة، والأخلاق المستقيمة[3].

جـ . أما قوله (ﭽ ﭗ ﭘ)، فهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء، أي: ما كان جوابهم شيئاً من الأشياء سوى قول بعضهم لبعض أخرجوهم، أما الأسباب التي دعتهم إلى هذا الإخراج فقد بينها القرآن الكريم كما تفوهت به ألسنتهم الخبيثة، واتفقت عليه قلوبهم المنكوسة، فقال: (ﭽ ﭙ ﭚ)، بهذه الجملة التعليلية[4]، أي: وما كان جواب الطغاة المستكبرين على نصائح نبيهم لوط (عليه السلام) إلا أن قال بعضهم لبعض أخرجوا لوطا ومن معه من المؤمنين من سدوم[5] التي استوطنتموها وعشتم بها، وما أعجب العقول عندما تنتكس، والأخلاق عندما ترتكس، إنها تستنكف أن يبقى معها الطهور المتعفف عن الفحش، وتعمل على إخراجه، ليبقى لها الملوثون الممسوخون، وإنه لمنطق يتفق مع المنحرفين الذين انحطت طباعهم، وانقلبت موازينهم، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم فرأوه حسناً[6].

2. أورد طنطاوي ما قاله الجمل في ذلك:" وإنما ذمهم وعيرهم ونجسهم بهذا الفعل الخبيث؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محل للشهوة وموضعاً للنسل، فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من

---
[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 315/5 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 315/5 .
[3] المصدر نفسه : 315/5 .
[4] ينظر: المصدر نفسه : 317/5 .
[5] سدوم : وهي قرية بوادي الأردن، ينظر: قاموس الكتاب المقدس : 928 .
[6] تفسير الوسيط : 317/5 .

الرجال فقد أسرف واعتدى، لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له، لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة للإنسان"[1].

3. بيّن الطنطاوي قوله تعالى: (□ □ □ □)، فهو إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن الأسباب التي جعلتهم يرتكبون هذه القبائح، وهي أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فضلاً عن إنكم لستم ممن يأتي الفاحشة مرة ثم يهجرها ويتوب إلى الله، بل أنتم قوم مسرفون فيها وفي سائر أعمالكم لا تقفون عند حد الاعتدال في عمل من الأعمال[2].

ثم يذكر الشيخ ما حكاه القرآن الكريم أن لوطاً (عليه السلام) قال لهم في سورة العنكبوت: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ وچ[3]، وقال لهم في سورة الشعراء: چچ ڍ ڍ ڌ چ[4]، أي متجاوزون لحدود الفطرة وحدود الشريعة، وقال لهم في سورة النمل أيضاً: چ□ □ □ □ □چ[5]، والجهل هنا ضد العلم، والذي هو بمعنى السفه والطيش، ومجموع الآيات التي ذكرت تدل على أنهم قوم مصابين بفساد العقل وانحطاط الخلق، وإيثار الغي والعدوان على الرشاد والتدبير[6].

4. ثم أوضح طنطاوي ما حكته السورة من عاقبة الفريقين فقالت: چڎ ڎ ٹ ٹچ، أي: أنجينا لوطاً ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين به، إذ قالوا: ولم يؤمن به أحد منهم

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 316/5، نقلاً عن حاشية الجمل في تفسير الجلالين : 162/2 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 316/5 .
[3] سورة العنكبوت : من الآية (29) .
[4] سورة الشعراء : من الآية (166) .
[5] سورة النمل : من الآية (55) .
[6] تفسير الوسيط، طنطاوي : 316/5 .

سوى أهل بيته فقط، كما قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[1]، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، إلا امرأته فإن الله لم ينجها لخبثها وعدم إيمانها[2].

5. ثم بيّن (تعالى) العقوبة التي ألمت بقوم لوط (عليه السلام) بقوله: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﭼ[3]، أي أرسلنا على قوم لوط نوع من المطر عجيباً أمره، وقد بيّنه الله في آية أخرى بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ[4]، أي: جازيناهم بالعقوبة التي تتناسب مع شناعة جرمهم فإنهم لما قلبوا الأوضاع فآتوا بالرجال دون النساء، أهلكناهم بالعقوبة التي قلبت عليهم قريتهم، فجعلت أعلاها أسفلها وأمطرنا عليهم حجارة من طين متجمد[5].

6. بسط الشيخ طنطاوي المنهج العقلي في بيان ما ختمت به القصة في الدعوة إلى التعقل والتدبر والاعتبار، فقال تعالى: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) أي: فانظر أيها العاقل نظرة تدبر واتعاظ في مآل أولئك الكافرين المقترفين لأشنع الفواحش، واحذر أن تعمل أعمالهم حتى لا يصيبك ما أصابهم وسر في الطريق المستقيم لتنال السعادة في الدنيا والآخرة[6].

رابعاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. كان لابن حزم اعتراضات على هذه الرواية التوراتية لأسباب منها:

أولاً: الكذب الواضح الذي ورد في قول ابنتي لوط (عليه السلام)، عندما قالتا، ليس أحد في الأرض يأتينا فنضاجع أبانا ونستبق منه نسلاً، وذلك لأن نسل آدم لم ينقطع، والمسافة

---

(1) سورة الذاريات : الآية (35) .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 317/5 .
(3) سورة الأعراف : الآية (85) .
(4) سورة هود : الآية (82) .
(5) تفسير الوسيط، طنطاوي : 318/5 .
(6) المصدر نفسه : 318/5 .

التي كانت بين القرية التي سكن فيها لوط (عليه السلام)، والقرية التي كان يسكنها إبراهيم (عليه السلام)، ثلاثة أميال فقط، فمن الطبيعي إذاً أن يكون هنالك رجال على وجه الأرض، لا وبل على مسافة قريبة منهم، إذاً فما الداعي الحقيقي لهذه الفعلة الشنعاء.

ثانياً: ما موقف النبي لوط (عليه السلام) من هذه الفاحشة؟ فإن قالوا: لا ملامة عليه في ذلك لأنه كان ثملاً سكراناً لا يعلم ماذا يفعل ومن هنا، قلنا: إذن ما هو صنيعهُ عندما رأى ابنتاه حاملتين؟ ألم يستطيع أن يسألهما عن هذا الحمل المخزي؟ ثم تلدان أمام أعين ولدهما لا وبل تربيان ولدين من الزنا؟ هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله (تعالى)، وبرسله (عليهم السلام).

ثالثاً: إن هذه القصة في الأساس قصة متناقضة متهافتة مختلفة، وذلك لأن التوراة في أكثر من موضع تذكر لنا إن إبراهيم (عليه السلام)، حين رأى هاجر خرج بابن أخيه لوط فكيف لإبراهيم أن يترك ابن أخيه هكذا شريداً طريداً وهو الذي كان أول من آمن به وتغرب مثله، ثم أصبح هو الآخر نبياً؟ كيف يحدث له كل هذا وهو على بعد ثلاثة أميال من عمه إبراهيم الذي تصفه التوراة دائماً بفرط الغنى، ثم يدّعون ادعاءاً آخر إن إبراهيم ركب في ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر لحرب، سبوا فيها لوط كما يدّعون، ولم يتركه حتى نقذه، فكيف له أن يضيعه بعد ذلك هكذا، فليست هذه صفات الأنبياء ولا صفات من فيه شيء من الخلق والخير لكن هذه صفات الكلاب الذي وضعوا مثل هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلّوا وأضلوا، فهم بهذا يثبتون إلى نبي الله لوط (عليه السلام)، ذرية جاءت من زنا المحارم، فأي ذرية هذه، علماً إن زنا المحارم قد ورد في التوراة في أكثر من سبعة مواضع منسوباً إلى الأنبياء والرسل وغيرهم وهذا أعظم دليل على بطلان التوراة الحالية[1].

---

[1] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم : 109/1.

2. يبين الحكيم السموأل[1] في كتابه بذل المجهود الدوافع التي دفعت كُتاب التوراة لوضع هذه القصة المخزية، وهذه الفرية الكبرى " ان العداوة التي ما زالت بين بني عمون وموآب وبين بني إسرائيل بعثت واضع الفصل على تلفيق هذا المحال ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمون وموآب، وأيضاً فإنّ عندهم أن موسى (عليه السلام) جعل الإمامة للهارونيين، فلما ولي طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عزرا خادماً لملك الفرس حفياً عنده، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف إلى التوراة فصلين طاعتين في نسب داود، أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة تامار، ولقد بلغ لعمري غرضه، فإن الدولة الثانية التي كانت بنت لهم بيت المقدس لم يمتلك عليهم فيها داوديون، بل كان ملوكهم هارونيين[2].

3. عرّف ابن كثير (رحمه الله) بـ(نبي الله لوط)، فهو ابن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم، وكان قد آمن مع إبراهيم وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا من غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم[3].

وبهذا وترى الباحثة الاختلاف الواضح والكبير بين ما يخبرنا به القرآن الكريم عن لوط (عليه السلام)، وبين ما تزعمه التوراة بحق ذلك النبي الكريم، فشتان بين الروايتين، فقد وصف الله تعالى نبيه بالعفة والطهارة التي جاءت على لسان قومه بالرغم من إنهم قوم لا يحبوا العفة

---

[1] السموأل بن يحيى: هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، كان يهودياً فأسلم، وكان عالماً بالطب والحكمة، أصله من المغرب، فضلاً عن عمله كمهندس رياضي، سكن ببغداد مدة ثم انتقل إلى فارس، ومات في أذربيجان، ينظر: الأعلام، للزركلي : 140/3 .

[2] بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل : 172 - 174 .

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 399/2 .

والشرف، جاعلاً نبيه ومن نجا معه في الصالحين، على نقيض ما تصفه التوراة التي استهدف من كتبها نبي الله لوط (عليه السلام) بأغلى ما يملك، وأرذل ما يفعله أسوء الناس خلقاً وشرفاً، معللين لأنفسهم ولقومهم ذلك الفعل الشنيع بأسباب خالية من المنطق، مليئة بالخبث والحسد والفجور، على أنبياء الله وأصفياءه، ليفتحوا الطريق فيما بعد لأي عمل فاجر متخذين من لوط (عليه السلام) وابنتاه أبطالاً للجريمة، ولا عجب من قولهم هذا، فهم قتلة لأنبياء على مر التاريخ.

المطلب الرابع: موسى وهارون (عليهما السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفر الخروج ما كان نصه:" حينما تمضون لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين"[1]، هذا النص يوضح لكل قارئ، إن موسى (عليه السلام) يأمر قومه بالسرقة، وذلك علن طريق سلب أموال وذهب المصريين، وهم بفعلهم هذا يشوهون صورة كليم الله تشويهاً شنيعاً عجيباً، فقد حولوه من قائد لتحرير الإنسان من عبادة غير الله تعالى إلى شخص قميئاً على قدر مقاييسهم وضيق أفقهم المحدود، فهو بنظرهم داعية من دعاة العنصرية التي يصرون عليها اليهود دائماً وفي كل زمان ومكان[2]، ولابد من الإشارة هنا إن موسى (عليه السلام) أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق؛ لأنه أخرج قومه من ذل العبودية، إلى العزة والكرامة والحرية، وبالرغم من ذلك فهو لم يسلم من قذف بني إسرائيل وآذاهم وشتائمهم، والدليل على ذلك التوراة التي بين أيدينا اليوم، مليئة بقذف موسى (عليه السلام)، والافتراء عليه وعلى أخيه هارون[3]. فنسبت التوراة جريمة الزنا لموسى (عليه السلام)، ثم أشاعوا بعد ذلك قتل أخيه هارون، وكثير من القذف الذي لا يؤيده عقل صحيح سليم.

ب . برأ القرآن الكريم ساحة نبيه موسى (عليه السلام)، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[4].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، وكانت من جوانب عدة:

1. بيّن الشيخ معنى قوله تعالى: (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)... فهم قومه الذي أُرسل إليهم، فالقرآن الكريم حكى ألواناً كثيرة من إيذائهم له، ومنها قولهم: يا موسى اجعل لنا آلهة، وقولهم: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فالآية القرآنية تأمر من آمن بالله تعالى أن يلتزم الأدب والطاعة والاحترام للنبي محمد (ﷺ)، مع الحذر كل الحذر أن يسلك من آمن

---

[1] سفر الخروج : 21/3 .
[2] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 269 .
[3] ينظر: الله جل جلاله والأنبياء (عليهم السلام)، محمد علي البار : 231 .
[4] سورة الأحزاب : الآية (69).

سلوك بني إسرائيل مع موسى (عليه السلام)، إذ آذوه بشتى أنواع الأذى، إذ قالوا له: ﭼ ں ں ڻ ڻ ﭽ، وإتخاذهم العجل معبوداً من دون الله في غيبة موسى (عليه السلام)[1].

2. استعان في بيان معنى (وجيهاً)، بمعاني اللغة العربية، إذ يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه، إذ كان ذا جاه وقدر[2].

أي: كان موسى (عليه السلام) عند الله تعالى ذا جاع عظيم، ومكانة سامية، ومنزلة عظيمة عالية، حيث نصره (سبحانه) عليهم واصطفاه لحمل رسالته، فأظهر الله (تعالى) براءته من كل ما نسبوه إليه من سوء[3].

3. استعان بالحديث النبوي الشريف في بيان إيذاء اليهود لنبيهم موسى (عليه السلام)، وذلك ما رواه الإمام البخاري والترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ):" إنّ موسى كان رجلاً حيياً سِّتيراً لا يرى من جلده شيء، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلاّ من عيب بجلده، إما برص، وإمّا آفة، وإنّ الله (تعالى) أراد أن يبرئه ممّا قالوا، وإن موسى خلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممّا يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن الحجر لندياً من أثر ضربه ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً"[4] [5].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 251/11 - 252 .
[2] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : 2406/3 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط : 11/ 252 .
[4] صحيح بخاري، كتاب (الغسل)، باب (من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل): 64/1، رقم الحديث: 278، وصحيح مسلم، كتاب (الحيض)، باب (جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة) : 267/1، رقم الحديث: 339 .
[5] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 11/ 252 .

1. يبين الطبري (رحمه الله) في تفسيره بعض الإدعاءات التي كانت لبني إسرائيل في حق نبيهم موسى (عليه السلام) مستعيناً بما ذُكر بالحديث النبوي الشريف، فقد اتهموه ، بقتل أخيه هارون (عليه السلام)، فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: (صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته، وكان أشد حبَّاً لنا منك، وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنَّه قد مات، فبرأه الله من ذلك، فانطلقوا به، فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد)[1][2]، هذا وبيّن الطبري كذلك قذف بني إسرائيل لنبيهم موسى (عليه السلام)، بجريمة الزنا، مستعيناً ما جاء في الحديث النبوي الشريف أيضاً، فعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، قال: (لمّا نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كلّ ألف دينار ديناراً وكل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل ألف شاة، قال: ثم أتى بيتهُ فحسبه، فوجده كثيراً، فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء، فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي، فتجعلوا لها جعلاً، فتعذبه بنفسها، فدعوها، فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال موسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن أفترى جلدناه، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجمناه حتى الموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال وإن كنت أنا، قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، قال: ادعوها، فإن قالت، فهو كما قالت، فلّما جاءت، قال لها موسى: يا فلانة قالت: يا لبيك، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت: لا كذبوا ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت، قال: يا

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : 632/2، رقم الحديث: 4110 .
[2] جامع البيان، الطبري : 335/20.

أرض خذيهم، فأخذتهم إلى حقبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم إلى أعناقهم، قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ويتضرعون إليه، قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم[1].

هذا ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد بيان السنة النبوية الشريفة عن صور إيذاء اليهود لنبيهم موسى (عليه السلام)، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال: (قسم رسول الله (ﷺ) ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله قال: فقلتُ: يا عدو الله أمّا لأخبرن رسول الله بما قلت فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) فاحمر وجهه، ثمّ قال:" رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[2].

هارون (عليه السلام):

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . نسب اليهود إلى نبي الله هارون (عليه السلام) الشرك بالله تعالى وعبادة الأوثان، فقد جاء في سفر الخروج ما نصه:" اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما أصابه، فقال لهم هارون: أنزعن أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في أذنهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل وصوره عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا الذبائح"[3].

ب . يدحض القرآن الكريم ذلك الزعم مبيناً إن هارون (عليه السلام) رسول من رسل الله الكرام، ونبي من أنبياءه المكرمين، أما قصة شركه وعبادته للأوثان، فهذا لا يتصوره عقل ولا

---

[1] جامع البيان، الطبري : 629/19، وتفسير الثعلبي : 264/7، وتفسير البغوي : 224/6 .
[2] صحيح بخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى : 25/8، رقم الحديث: 6100، وصحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام : 739/2، رقم الحديث: 1062 .
[3] سفر الخروج : 32/ 6 .

يضل به منطق سليم، وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم لقوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ
ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، وكانت من جوانب عدة:

1. استعان بقواعد اللغة العربية مع معاني اللغة في توضيح الآية الكريمة، فكان قوله (سبحانه) ولا تنيا، فهو فعل مضارع مصدره الونى، وهذا بمعنى الضعف والقتور والتراخي في الأمر، ومنه ونى فلان في الأمر بني ونبا، إذا ضعف وتراخى في فعله[2].

أما قوله تعالى (وأخوك)، فهو فاعل لفعل محذوف تقديره، (وليذهب معك أخوك)، أما المراد بالآيات هنا، فهي المعجزات الدالة على صدق نبوة موسى (عليه السلام)، وكان على رأسها عصاه، ويده التي ضمها إلى جناحه، فخرجت بيضاء من غير سوء[3].

والمعنى من ذلك، إن الله تعالى أمر نبيه موسى أن يذهب مع أخيه هارون (عليهما السلام) إلى حيث أمرهما الله (تبارك وتعالى) متسلحين بالآيات والمعجزات، آمراً لهم بعدم الضعف أو الهوان أو التراخي في ذكره وتسبيحه وتقديسه بما لا يليق بذاته وصفاته من العبادات والقربان، مبيناً لهم إن ذكرهم لله (تعالى) هو السلاح والسند في كل أمر تقدمان عليه، فالآية الكريمة دعوة واضحة لكل مسلم وفي كل زمان ومكان إلى المداومة على ذكر الله (تعالى) في كل موطن، بقوة لا ضعف معها وبعزيمة صادقة لا فتور فيها ولا كلال[4].

ب . ثم بيّن الشيخ خروج (لعل) في قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[5]، فقد خرجت هنا (للترجي)، أي: اذهبا إليه، وادعواه إلى ترك ما هو فيه من كفر وطغيان، وخاطباه

---

(1) سورة طه : الآيات (42 ـ 47) .
(2) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : 2499/3 .
(3) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 106/9.
(4) ينظر: التفسير الوسيط، طنطاوي : 107/9.
(5) سورة طه : من الآية (44) .

بالقول اللين، وبالكلام الرقيق، فإن الكلام السهل اللطيف من شأنه أن يكسر حدة الغضب، وأن يوقظ القلب للتذكر، وأن يحمله على الخشية من سوء عاقبة الكفر والطغيان، ثم يعقب الشيخ واصفاً هذه الآيات الكريمة بأنها اشتملت على ألطف أساليب المخاطبة وأرقها وألينها وأحكمها، والترجي في قوله تعالى: (ھ ھ ے ے) على بابه إلا أنه يعود على موسى وهارون، فقد أمرهما ربهما أن يذهبا إليه، وإن يلينا القول له، وأن يباشر الأمر معه مباشرة من يرجو ويطمع في نجاح سعيه، وحسن نتيجة قوله[1].

جـ . ثم حكى (سبحانه) ما قاله كل من موسى وهارون بعد أن استلما أمر ربهما بالذهاب إلى فرعون لتبليغه دعوة الحق مستعيناً بمعاني اللغة في توضيح قولهما يا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، إذ يقال فرط فلان على فلان يفرط إذا عاجله بالعقوبة وآذاه بدون تمهل، ومنه قولهم فرس فارط، أي سابق لغيره من الخيل[2]، أو أن يطغى أي يزداد طغيانه، فيقول في حقك مالا نريد سماعه، ويقول في حقنا ما نحن براء منه، ويفعل معنا ما يؤذينا، هذا وقد جمع (سبحانه) بين القولين اللذين حكاهما عنهما، لأن الطغيان أشمل من الإفراط، إذ الجملة الأولى تدل على الإسراع بالأذى لأول وهلة، أما الثانية فتشمل الإسراع بالأذى، وتشمل غيره من ألوان الاعتداء سواء أكان في الحال أو الاستقبال[3].

2. يستعين بأقوال العلماء في بيان المراد بالآية الكريمة، فقد نقل:

أ . عن صاحب الكشاف ما قاله في قوله تعالى: (ڳ ں ں ڻ) الونى: الفتور والتقصير، أي: لا تنسياني ولا أزل منكما على ذكر، حيث تقلبتما، واتخذا ذكري جناحاً تطيران به مستمرين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري،

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 108/9.
[2] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : 3737/1 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 109/9 .

ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة، فإن الذكر يقع على سائر العبادات، وتبليغ من أجلها وأعظمها، فكان جديراً بأن يطلق عليه اسم الذكر[1].

ب . قال ابن كثير: والمراد بقوله: (ﮗ ں ں ڻ) أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة لهما، وسلطاناً كاسراً، كما جاء في الحديث :" إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه"[2].

جـ . ثم يستعين بقول الحافظ مرة أخرى في بيان قوله تعالى: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ) مبيناً فيه إن هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار، وموسى كان صفوة الله من خلقه، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي[3] عند قراءته لهذه الآية: يا من يتحبب إلى من يعاديه، فكيف بمن يتولاه ويناديه؟ والحاصل أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب وسهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجح، كما قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﭼ[4].

د . قال الجمل: وقوله: (ﭣ ﭤ ﭥ) جمعهما في صيغة أمر مع أن هارون لم يكن حاضراً محل المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر للتغليب، فغلب الحاضر على غيره، وكذا الحال في صيغة النهي، أي: قوله (ولا تنيا) روى أنه تعالى أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى (عليه السلام)، وقيل اسمع بإقباله فتلقاه[5].

هـ . قال الآلوسي: قال الفراء: (لعل) هنا بمعنى كي التعليلية.

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 9/ 107، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 65/3 .
[2] المصدر نفسه : 107/9، نقلاً عن تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 259/5 .
[3] يزيد الرقاشي: هو يزيد بن ابان من أهل البصرة، يُكنى أبو عمرو (ت120هـ)، يروي عن أنس بن مالك، شغلته عبادته فغفل عن حفظ الحديث، فكان يغلب الحسن فيجعله عن أنس عن النبي (ﷺ)، قال فيه يحيى بن معين رجل صالح لكن حديثه عن ليس بشيء، فبطل الاحتياج به فلا تحل الرواية عنه إلا على سبيل التعجب. ينظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي البستي (ت354هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الواعي ـ حلب، ط1، 1396هـ : 98/3، رقم : 1175، باب الباء .
[4] سورة النحل : من الآية (125) .
[5] تفسير الوسيط، طنطاوي : 9/ 108، نقلاً عن حاشية الجمل على الجلالين : 93/3 .

وعن الواقدي: أن جميع ما في القرآن من (لعل) فإنها للتعليل، إلا قوله تعالى:چ چ[1]، فإنها للتشبيه، أي: كأنكم تخلدون[2].

و . ثم يفسر الشيخ قوله تعالى: (ۀ ۀ) راسماً لهم طريق الدعوة، أي: أتيا إلى فرعون، وادخلا عليه داره أو مكان سلطانه، وقولا له بلا خوف أو وجل إنَّا رسولا ربك الذي حلقك فسواك فعدلك، وكان البدء بهذه الجملة، لتوضيح أساس رسالتهما، ولإحقاق الحق من أول الأمر، ولإشعاره منذ اللحظة الأولى بأنهما قد أرسلها ربه وربهما ورب العالمين، لدعوته إلى دين الحق، وإلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وإلى التحلي عن الكفر والطغيان، وأنهما لم يأتياه بدافع شخصي منهما وإنما أتياه بتكليف من ربه ورب العالمين[3].

3. يستعين بآيات القرآن الكريم في بيان مدحه (سبحانه) للمداومين على تسبيحه وتحميده وتقديسه في كل أحوالهم معضداً ما قاله، فقد جاء في قوله تعالى: چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گچ[4].

المطلب الخامس: داود (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . اتهام داود (عليه السلام) بالزنا.

---

(1) سورة الشعراء : الآية (129) .
(2) تفسير الوسيط : 9/ 108، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 508/8 .
(3) المصدر نفسه : 110/9 .
(4) سورة آل عمران : الآية (190 وجزء من الآية 191) .

القصة التي ترويها التوراة تدل على أن كاتبها يروي قصة رجل فاسق ضال مرتكب للخطيئة، وليس عن نبي من أنبياء الله المصطفين[1]، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني ما كان نصه: "وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت امرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدٌ:" أليست هذه يتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحتي" فأرسل داود رسلاً، وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: (إني حُبلى)"[2].

ب . اتهام داود (عليه السلام) بالتآمر على أوريا الحثي[3].

لم يكتف اليهود بإتهام داود (عليه السلام) بالزنا فقط، بل تمادوا في ادعاءاتهم عليه، مدعين إنه تآمر على زوج هذه المرأة، الذي كان محارباً في ساحات المعارك، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني:" فأرسل داود إلى مرآب فقال: أرسل إليّ أوريا الحثي، فأرسل أريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة بوآب وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: أنزل إلى بيتك واغتسل رجليك، وخرج أوريا من بيت الملك، وخرج وراءه حصة من عند الملك وقام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبر داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك؟ قال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل يهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا أتي إلى بيتي لآكل وأشرب! لا أفعل هذا الأمر، وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من وراءه، فيضرب ويموت، ففعل ذلك يوآب ومات أوريا الحثى، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما وضعت المناحة، أرسل داود وضمها إلى بيته، وعزى داود بتشبع ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابناً زرعا

---

[1] مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ـ عمان، ط3 (1435هـ ـ 2014م) : 166 - 167 .

[2] سفر صموئيل الثاني : 11/ 2- 6 .

[3] أوريا الحثي: هو أحد المقاتلين الذين كانوا في جيش (داود) (عليه السلام) الذي تآمر عليه داود فقتله وتزوج بامرأته، ينظر: سفر صموئيل الثاني : 24/11.

اسمه سليمان الرب والرب أحبه"[1]... وأما الذي فعله داود فقبيح في عين الرب"[2]، هكذا مرغ اليهود سمعة نبي الله داود (عليه السلام) في الوحل، ولم يتورعوا عن ذلك أبداً، فاتهموه تارة بالزنا، وتارة أخرى بالتآمر وتارة ... وتارة، فقد وصفوه بأحط الصفات وأقذرها، ولو حدث ما نسب إلى داود وبنيه من عامة الناس لإستبشع الناس، فكيف وما يحدث يقع ممن يحملون الرسالة ومن أولادهم[3]، فضلاً على انه رجل يتلصص على بيوت الغير، ويتتبع حرمة جيرانه، ويزني ويتآمر، ويخدع، ويقتل، غارق في شهواته وملذاته، في الوقت الذي يخوض فيه جيشه الحرب مع الأعداء، إن هذه الصفات لا يرتضيها فاسق فاجر لنفسه، فكيف نبي من أنبياء الله المصطفين، فالاغتصاب والزنا والخيانة، وفقدان المروءة، والتحايل، والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح، ثم قتل أوريا الحثي زوج المرأة، كل ذلك مناكر خسيسة يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم، فضلاً عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم[4]، ومن الغريب هنا أن محرري الكتاب المقدس في القرن العشرين يعترفون بارتكاب داود (عليه السلام) لهذه الخطيئة النكراء، ولكنهم يحاولون أن يبررّوا ارتكابه لها فيقولون[5]:" ومع إنَّ داود ارتكب في بعض الأحيان خطايا يندي لها الجبين خجلاً، إلاّ أننا إذا نظرنا إلى نسبة النضوج الروحي الضئيلة التي كانت سائدة في ذلك العصر وحالة الظلام التي كانت تعم العالم قبل انبلاج فجر النور، ثم إذا نظرنا إلى عمق توبته لرأينا في هذا شيئاً مما يخفف ذنبه إلى حد ما"[6].

جـ . اتهام داود بالزنا في شيخوخته:

"عندما شاخ الملك داود تقدم في الأيام، وكانوا يُدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيده "ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك، ففتشوا عن فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشج

---

(1) صموئيل الثاني : 11/ 24 .
(2) المصدر نفسه : 24/11 .
(3) ينظر: الرسول (ﷺ) وجهاً لوجه، سعد المرصفي : 61/2 .
(4) العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد محمد عيسى : 374 .
(5) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب : 167 .
(6) قاموس الكتاب المقدس : 733 .

الشونمية[1]، فجاءوا بها إلى الملك، وكانت الفتاة جميلة جداً فكاني حاضنة الملك"[2]، هذا هو نص من نصوص التوراة، نص واضح، فيه اقتراح من عبيد الملك وأتباعه، أن يجدوا له فتاة، على شرط أن تكون جميلة عما يدّعون، حتى تلهب له أعصابه فيدفأ، فيضطجع معها، لتذهب عنه برودة جسده، فأي هراء هذا بحق نبي من أنبياء الله الكرام، والأعجب من تلك الرواية النكراء، إن كتّاب العهد القديم يدّعون أن داود (عليه السلام) كان له من نساء مائة زوجة، أفلم تكن إحدى هذه الزوجات قادرة أن تلهب له أعصابه فينبعث فيه ذلك الدفء المنشود[3].

د . قالت اليهود في سفر صموئيل الثاني ما كان نصه: "فأرسل الرب ناثان إلى داود، فجاء إليه وقال له" كان رجلان في مدينة واحدة، واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، أما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه، وكانت له كابنة، فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه"، فحمي غضب داود على الرجل جداً، وقال لناثان" حي هو الرب، إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك، ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يُشفق فقال ناثان لداود " أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل، أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا، وإن كان ذلك قليلاً، كنت أزيد لك كذا وكذا، لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينه؟ قد قتلت أوريا الحثي بالسيف، وأخذت امرأته، وإياه قتلت بسيف بني عمون، والآن لا يُفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة، هكذا قال الرب، ها أنذا أُقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس، لأنك فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس، فقال داود لناثان:" قد أخطأت إلى الرب"، فقال ناثان لداود:" الرب

---

[1] الشونمية: وهي الفتاة التي تزوجها داود عندما شاخ، وكان بينها وبينه ما يقارب الخمسين سنة كما يزعمون. ينظر: سفر الملوك : 1 - 4 .

[2] سفر الملوك الأول : 1/ 1 - 4 .

[3] ينظر: جواهر الإيمان في صحيح الأديان، صلاح العجماوي : 368 .

أيضاً قد نقل عنك خطيئتك لا تموت، غير انه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون، فالابن المولود لك يموت، وذهب ناثان إلى بيته وضرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فثقل، فسأل داود الله من أجل الصبي، وصام داود صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض، فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ، ولم يأكل معهم خبزاً، وكان في اليوم السابع أن الولد مات، فخاف عبيد داود أن يخبره بأن الولد قد مات لأنهم قالوا: هوذا لما كان الولد حياً كلمناه فلم يسمع لصوتنا فكيف نقول له: قد مات الولد؟ يعمل أشر، ورأى عبيده يتناجون، ففطن داود أن الولد قد مات، فقال داود لعبيده هل مات الولد، فقالوا (مات)، فقام داود عن الأرض واغتسل وأدهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد، ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل"[1]، هذه نصوص نقلتها من التوراة التي هي اليوم بين أيدي اليهود، فهذه نصوص واضحة لا يحتاج منا أي تفسير أو تعليق، والعجب كل العجب من اليهود، الذين يدّعون دائماً ان مملكة اليهود لم تقم إلا على يد داود (عليه السلام)، وابنه سليمان (عليه السلام)، بل يفخرون دائماً بما كانت عليه تلك المملكة من الرقي والتحضر، جاعليها دائماً المثل الأعلى للدولة التي ينبغي أن تقوم على الأرض، وعلى الرغم من هذه الصورة الجميلة التي يصورون بها مملكتهم آنذاك، إلا انهم يصورون ملكهم داود (عليه السلام) على إنه ملك جبار يهلك الحرث والنسل معاً، فهو مخادع كذاب، بل إنه جبان في كثير من المواقف، ولعل السبب يرجع في تصويرهم لملكهم بهذه الصورة المزرية، مع إنه أشجع بني إسرائيل على مدار التاريخ على حد قولهم[2].

كما يقول لنا صاحب كتاب (في مقارنة الأديان) معللاً:" ويبدو جلياً ان النذل المرسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية، يلح إلحاحاً ويتهافت تهافتاً على تلطيخ شرف داود (عليه السلام) الذي جُمع له النبوة والملك معاً، فوصفه بأحط المناكر وأرذلها دركة، ولم يكتف بما مر من اتهامه بأنه سليل زنى فحدّث عن بيت داود، وصوَّره على إنه زنى وفسوق ودعارة وفجور لا على إنه بيت نبوة وحكم وملك، فهاهم أولاده فأمتون ابنه يزني بأخته ثامار، وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل، هذا عن

---

[1] سفر صموئيل الثاني : 12/ 1 - 20 .

[2] ينظر: الله (عز وجل) والأنبياء (عليهم السلام) في التوراة والعهد القديم، محمد علي البار : 345، وينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين صالح : 273 .

بيت داود (عليه السلام)، أما هو نفسه فان مؤامرة العهد القديم عليه أو هي أمر وأشنع وأفحش"[1].

هـ . يدحض القرآن الكريم كل ما نسب إلى نبي الله داود (عليه السلام) مبرءً ساحة نبيه الكريم، فقد وصفه (تعالى) بأنبل الصفات وأحسنها فجاء في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[2].

و . يدحض القرآن الكريم تلك القصة المفتراة التي ترويها لنا التوراة في الخصمين الذين احتكموا إلى نبي الله داود (عليه السلام)، فجاء قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ[3].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. يعرف الشيخ بـ(نبي الله) داود (عليه السلام)، داحضاً ما تزعمه اليهود فهو ابن يس من سبط (يهوذا) بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت ولادة داود في حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد منحه الله تعالى النبوة والملك معاً[4]، فهذا بحد ذاته تكذيباً لهم، فهو من الأنبياء المصطفين لحمل الرسالة، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

2. استعمل قواعد اللغة العربية مع معانيها:

---

[1] في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي : 217 - 218 .
[2] سورة ص : الآيات (17 - 20) .
[3] سورة ص : الآيات (21 - 24) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 12 / 143 .

أ . لبيان قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿﭼ[1]، فهي صفة لداود (عليه السلام)، والأيد في اللغة تعني القوة، يقال أد الرجل يئيد أيداً أو أياداً، إذا قوي واشتد عوده، فهو أيّد، ومنه قولهم في الدعاء: أيدك الله، أي: قواك[2]، أما (أواب) فهي صيغة مبالغة من آب إلى رجع[3]، والمعنى في ذلك إن نبي الله داود (عليه السلام) كان صاحب القوة الشديدة في عبادتنا وطاعتنا وفي دحر أعداء الله (تعالى)، فضلاً على إنه كثير الرجوع إلينا فيما يرضينا دائماً[4].

ب . اعتمد على معاني اللغة العربية في بيان قوله تعالى: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ[5]، فالعشي هو الوقت الذي يكون من الزوال إلى الغروب، أو إلى الصباح، والإشراق هو وقت إشراق الشمس، أي: سطوعها وصفاء ضوئها، وقالوا: هو وقت الضحى، فالإشراق هنا غير الشروق؛ لأن الشروق هو وقت طلوع الشمس، وهو يسبق الاشراق عادةً، أي: إن من مظاهر فضلنا على عبادنا داود، أننا سخرنا له مع تذليل الجبال معه، بأن جعلناها بقدرتنا تقتدي به فتسبح بتسبيحه في أوقات العشي والإشراق، وإنما قال (سبحانه) (معه) وذلك للإشعار بأن تسبيحها كان على سبيل الإقتداء به في ذلك، أي: إنها إذا سمعته يسبح الله تعالى ويقدسه وينزه، رددت معه مما يقوله[6].

ثم يستدل (رحمه الله) على أن هذا التسبيح كان على سبيل الحقيقة ولكن بكيفية لا يعلمها إلا هو بقوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﭼ[7]، ثم بين القول بأن تسبيح الجبال كان بلسان الحال ضعيف لأمور منها:

---

[1] سورة ص : من الآية (17) .
[2] ينظر: المعجم الوسيط : 34/1 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 32/1 .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 143/12 .
[5] سورة ص : الآية (17) .
[6] تفسير الوسيط، طنطاوي : 143/12 .
[7] سورة الإسراء : الآية (44).

* مخالفة لظاهر ما تدل عليه الآية من أن هناك تسبيحاً حقيقياً بلسان المقال، ومنها: أن تفيد التسبيح بالعشي والإشراق، وبكونه مع داود، يدل على أن تسبيح بلسان المقال، إذ التسبيح بلسان الحال موجود منها في كل وقت ولا يختص بكونه في هذين الوقتين أو مع داود، وخص سبحانه وقت العشي والإشراق بالذكر للإشارة إلى مزيد شرفهما، وسمو درجة العبادة فيهما[1].

جـ . أما قوله تعالى: (ڤ ڤ)، فهي معطوفة على الجبال، وكلمة (محشورة) التي بمعنى مجموعة، وهي حال من الطير، والعامل فيها قوله (سخرنا)، أي: إنا سخرنا الجبال لتسبح مع داود عند تسبيحه لنا، كما سخرنا الطير وجمعناها لتردد معه التسبيح والتقديس لنا، والتعبير بقوله (محشورة)، يشير إلى أن الطير قد حبست وجمعت لغرض التسبيح معه، حتى لكأنها تحلق فوقه ولا تكاد تفارقه (ڈ ڤ ڤ ڤ) مقررة لمضمون ما قبلها من تسبيح الجبال والطير واللام في (له) كانت للتعليل، والضمير يعود إلى داود (عليه السلام)، أي: كل من الجبال والطير، من أجل تسبيح داود، كان كثير الرجوع إلى التسبيح، ويصح أن يكون الضمير يعود إلى الله (تعالى) فيكون المعنى: كل من داود والجبال والطير، كان كثير التسبيح والتقديس والرجوع إلى الله تعالى بما يرضيه[2].

د . ساق سبحانه ما يشهد به لعبده داود، داحضاً ما تزعمه اليهود في قصة الخصمين الذين احتكما إلى نبي الله داود (عليه السلام)، فقال: چ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ[3]، فالإستفهام هنا خرج للتعجب والتشويق لما يقال بعده، وذلك لأنه أمراً غريباً تتطلع إلى معرفته النفس، أما النبأ: فهو الخبر الذي له أهمية في النفوس[4]، فالخصم: هما المختصمين أو الخصماء، وهو في الأصل مصدر خصمه، أي: غلبه في المخاصمة والمجادلة والمنازعة، ولكونه في الأصل صح إطلاقه على المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث.. وقالوا مأخوذ من تعلق كل واحد من المتنازعين بخصم الآخر، والظرف في قوله: إذ تسوروا المحراب متعلقٌ

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 144/12 .
[2] المصدر نفسه : 144/12 .
[3] سورة ص : الآية (21) .
[4] ينظر: المعجم الوسيط : 896/2 .

بمحذوف، والتسور: إعتلاء السور، والصعود فوقه، إذ صيغة التفعل تفيد العلو والتصعد، كما يقال تسنم فلان الجمل، إذ علا فوق سنامه[1].

أما المحراب: فهو المكان الذي كان يجلس فيه داود (عليه السلام) للتعبد وذكر الله (تعالى)، والمعنى: هل وصل إلى علمك أيها الرسول ـ ذلك النبأ العجيب، ألا وهو نبأ أولئك الخصوم، الذين تسلقوا على داود غرفته، وقت أن كان جالساً فيها لعبادة ربه، دون إذن منه، ودون علم منه بقدومهم، إن كان هذا النبأ العجيب لم يصل إلى علمك منها نحن نقصه عليك[2].

هـ . أما قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﭼ[3] ، فهو بدل مما قبله، والفزع: هو انقباض النفس يحدث للإنسان عند توقع مكروه ، والمعنى في ذلك: أن هؤلاء الخصوم بعد أن تسوروا المحراب، دخلوا على داود، فخاف منهم، والسبب في خوفه هذا يرجع إليهم؛ لأنهم آتوه من غير الطريق المعتاد للإتيان وهو الباب، فضلاً على إنهم آتوه في غير الوقت الذي حدده للقاء الناس وللحكم بينهم، وإنما آتوه في وقت عبادته، كما توضحها لنا الآية الكريمة، ومن شأن النفس البشرية أن تفزع عندما تفاجأ بحالة كهذه الحالة[4].

و . يستشهد بقول القرطبي (رحمه الله) بسبب فزع داود (عليه السلام) وهو نبي وقد قويت نفسه بالنبوة واطمأنت بالوحي، ووثقت بما آتاه الله من المنزلة، وأظهر على يديه من الآيات، وكان من الشجاعة في غاية المكانة، فهذا هو سبيل الأنبياء قبله، لم يأمنوا القتل والأذية، ومنهما كان يخاف ألا ترى إلى موسى وهارون (عليهما السلام) كيف قالا: ﭽ ﯓ ﯔ

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 461/1 .
[2] تفسير الوسيط : 12/ 145 .
[3] سورة ص : من الآية (22) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 145/12 .

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[1]، أي: فرعون ، فقال الله لهما: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[2] [3].

س . ثم بيّن (سبحانه) ما قاله أولئك الخصوم لداود (عليه السلام)، عندما شاهدوا عليه أمارت الوجل والفزع، فقال:ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[4]، والبغي هو الجور والظلم[5]، وأصله من بغى الجرح إذا ترامى إليه الفساد، أما الشطط: فهو مجاوزة الحد في كل شيء، يقال: شط خلاف على فلان في الحكم واشتط... إذا ظلم وتجاوز الحق إلى الباطل[6].

أما قوله (خصمان) فهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: نحن خصمان، والجملة استئناف معلل للنهي في قولهم: (لا تخف)، أي: قالوا لداود: لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض، فأحكم بيننا بالحكم الحق، ولا تتجاوز إلى غيره، ثم أهدنا إلى سواء الصراط، أي: ارشدنا إلى الطريق الوسط وهو طريق الحق والعدل، أما إضافة سواء الصراط، فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف[7].

ثم أخذا في شرح قضيتهما لداود (عليه السلام): فقال أحدهما: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[8]، فالمراد بالأخوة هنا: هي الأخوة في الدين أو في النسب أو فيهما وفي غيرهما كالصحبة والشراكة، والنعجة: هي أنثى الضأن، وتطلق على أنثى البقر، أما قوله: (ﮣ)، أي: ملكني إياها وتنازل لي عنها، بحيث نكون تحت كفالتي وملكيتي كبقية النعاج التي عندي ليتم عددها مئة، أما قوله: (ﮤ ﮥ ﮦ)، أي: غلبني في

---

[1] سورة طه : الآية (45) .
[2] سورة طه : الآية (46) .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 145/12، نقلاً عن تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 170/15 .
[4] سورة ص : الآية (22) .
[5] ينظر: المعجم الوسيط : 64/1 .
[6] ينظر: المصدر نفسه : 483/1 .
[7] تفسير الوسيط، طنطاوي : 146/12 .
[8] سورة ص : الآية (23) .

المحاجة والمخاطبة، لأنه أفصح وأقوى مني ... حيث يقال: فلان عز فلاناً في الخطاب، إذا غلبه[1]، ثم يستشهد طنطاوي بالمثل: (من عزّ بزّ)، أي: من غلب غيره سلب حقه، ومعنى ذلك: قال أحدهما لداود (عليه السلام) إن هذا الذي يجلس معي للتحاكم أمامك أخي، وهذا الأخ له تسع وتسعون نعجة، أما أنا فليس لدي سوى نعجة واحدة، فطمع في نعجتي وقال لي (ڈ)، أي: ملكنيها وتنازل عنها، (ڈ ۀ ۀ)، أي: غلبني في مخاطبته لي؛ لأنه أقوى وأفصح مني[2].

ثم يبين طنطاوي إن أمام هذه القضية الواضحة المعالم، وأمام سكوت الأخ المدعي عليه أمام أخيه المدعي، وعدم اعتراضه على قوله، أمام كل ذلك لم يلبث أن قال داود في حكمه: (ہ ۓ ۓ ھ ہ ھ ھ) واللام في قوله (ۓ) هي جواب لقسم محذوف، أما إضافة (سؤال) إلى (نعجتك) فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله، والفاعل محذوف، أي: بسؤاله، كما في قوله تعالى: ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ، أي: من دعائه، أما قوله نعاجه فهو متعلق بسؤال على تضمينة معنى الضم، أي: قال داود (عليه السلام)، بعد فراغ المدعي من كلامه، وبعد إقرار المدعي عليه بصدق أخيه فيما ادعاه، والله إن كان ما تقوله حقاً أيها المدعي، فإن أخاك في هذه الحالة يكون قد ظلمك بسبب طلبه منك أن تتنازل له عن نعجتك لكي يضمها إلى نعاجه الكثيرة، وإنما قلنا أن داود قد قال ذلك بعد إقرار المدعي عليه بصحة كلام المدعي، لأنه من المعروف أن القاضي لا يحكم إلا بعد سماع حجة الخصوم أو الخصمين حتى يتمكن من الحكم بالعدل، هذا ولم يصرح القرآن الكريم بأن داود (عليه السلام) قد قال حكمه بعد سماع كلام المدعي عليه، لأنه مقرر ومعروف عند كل الشرائع، وحذف ما هو مقرر ومعلوم جائز عند كل ذي عقل سليم[3].

---

[1] ينظر: المعجم الوسيط : 598/2 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 126/12 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 147/12 .

ثم أراد داود (عليه السلام) وهو الذي أتاه الله الحكمة وفصل الخطاب أن يهون المسألة على نفس المشتكي وأن يخفف من وقع ما قاله أخوه الغني له وما فعله معه فقال: (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ﮠ ﮠ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ)، أي: قال داود (عليه السلام) للمشتكي على سبيل التسلية، إن كثيراً من الخلطاء، أي: الشركاء وهو جمع خليط، وهو من يخلط ماله بمال غيره (ڭ ﮠ ﮠ ۇ)، أي: ليعتدي بعضهم على بعض، ويطمع بعضهم بمال الآخر، إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات، لا يفعلون ذلك لقوة إيمانهم ولبعدهم عن ما مالا يرضي خالقهم، فالجملة الكريمة منصوبة المحل على الاستثناء، لأن الكلام قبلها تام موجب، أما قوله (وقليلٌ) فهو بيان لقلة عدد المؤمنين الصادقين الذين يعدلون في أحكامهم، ولفظ (قليل) خبر مقدم و(ما) مزيدة للإبهام وللتعجب من قتلهم و(هم) مبتدأ مؤخر فكأنه (سبحانه) يقول: ما أقل هؤلاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويحرصون على إعطاء كل ذي حق حقه، والجملة الكريمة اعتراض تذبيلي، ثم يعلق الشيخ طنطاوي مبيناً ما يراه بأن داود (عليه السلام) قد قضى بين الخصمين بما يحق الحق ويبطل الباطل[1].

ثم يبين سبحانه ما حاك بنفس داود (عليه السلام) بعد أن دخل عليه الخصمان، وبعد أن حكم بينهما بالحكم السابق، فقال: (ۅ ۉ ۉ ې ې ې ﭜ □ □)، والظن هنا بمعنى ترجيح أحد الأمرين على الآخر، وكلمة (ې) كانت بمعنى امتحناه واختبرناه وابتليناه مأخوذ من الفتن بمعنى الابتلاء والاختبار[2]، والمعنى في ذلك، أي: ظن داود أن دخول الخصمين عليه بهذه الطريقة، إنما هو لأجل الاعتداء عليه، وكان في ذلك لون من ألوان الابتلاء من الله تعالى له، وامتحان لقوة إيمانه، ولكن لم يتحقق هذا الظن، وإما الذي تحقق هو القضاء بينهما بالعدل، فاستغفر ربه من ذلك الظن (وخر راكعاً)، أي: ساجداً لله تعالى

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 148/12 .
(2) ينظر: المعجم الوسيط : 673/2 .

وعبّر عنه بالركوع لأنه في كل منهما انحناء وخضوع لله (عز وجل) و( )، أي: رجع داود إلى الله بالتوبة والمداومة على العبادة والطاعة[1].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال الإمام الفخر الرازي (رحمه الله):" إن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق النّاس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها، والرجل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إليه مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها"[2].

2. قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله): ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين إلا انه ضعيف عند الأئمة، الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله (عز وجل) فإن القرآن حق، وما تضمنه فهو حق أيضاً[3].

وبهذا ترى الباحثة وبعد عرض ما كان في التوراة وما جاء به القرآن الكريم عن خبر ذلك النبي المصطفى، متعجبة من أقلام كتَّاب العهد القديم الذي تجرؤوا على كتابة مثل هذه المخازي والفضائح التي لا تليق بأحقر الناس، بل أرذلهم خلقاً، قاذفين ذلك النبي بأبشع صور القذف والإفتراء من الزنا المتعمد، ثم التحايل، ثم قتل نفس بغير حق، ثم الحكم على نفسه، فأي هراء هذا واي ذنب كبير يحمله هؤلاء القوم، ولابد من الإشارة إلى نصوص التوراة التي تؤكد على قتل من زنى بامرأة أجنبية أو امرأة قريبة، والدليل ما جاء في سفر الأحبار ما نصه:" إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة"[4]، ومنها أيضاً :" لا تشته امرأة قريبك"[5]، فأي تناقض هذا يقع به ذلك المتعمد في الإساءة إلى نبي من أنبياء الله المصطفى، فبينما يقذف نبي الله داود (عليه السلام)، حاشاه

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 12 / 148 .
[2] التفسير الكبير، الفخر الرازي : 377/26 .
[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : 59/7 - 60 .
[4] سفر الأحبار : 10/20، ويفر التثنية : 22/22 .
[5] سفر الخروج : 17/20 .

بالزنا، في نصوص معينة، ثم يؤكد في نصوص أخرى التي توجب قتل الزاني، كما بيناها في الأعلى، فأي تناقض هذا؟!! فضلاً عن وصف ذلك النبي المصطفى، بأنه رجل عادي غير عابي ولا مستشعر لأدنى مسؤولية، همه ملذاته ونزواته، على نقيض ما تصفه التوراة لذلك الرجل (أوريا الحثي)، وهو زوج تلك المرأة التي ضاجعها داود (عليه السلام)، كما يدّعون، فهو في نظر من كتب العهد القديم الجندي والرجل، فهو أشرف عندهم وأنبل وأكثر مروءة وأحسن وفاء من داود؛ لأنه لم يسمح له خلقه أن يذهب إلى بيته مستمتعاً بزوجته، بينما جيش بني إسرائيل في الخيام والخنادق يحاربون[1]، فأي تناقض هذا يقع في نصوص العهد القديم.

المطلب السادس: سليمان (عليه السلام).

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذي قال عنهم الرب لبني إسرائيل:" لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم" فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكان له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراي، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخو سليمان أن نساءه أمّلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب آلهة كقلب أبيه داود، فذهب سليمان وراء عشتورات آلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولملوك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن

---

[1] ينظر: في مقارنة الأديان، الشرقاوي : 219 .

قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب"[1].

ب . ينسب اليهود إلى سليمان (عليه السلام)، سفراً داعراً ماجناً يترفع عنه أرذل الشعراء وأدناهم خلقاً، فهو يحكي قصة راعية وراعي يتغزل بعضها بالبعض الآخر بطريقة الأدب المكشوف، والغريب في ذلك أن هذا النشيد يتغنى به اليهود وذلك في ايام الحصاد وفي الأعياد الدينية، والنشيد يصف لنا سياسة أحبار اليهود نحو الجنس، ولاسيما أن نصوص التوراة والعهد القديم تحدثت لنا وبشكل صريح حول زنا الأحبار داخل الهيكل، وكيف كان أبناء الكهنة يزنون عند باب خيمة الاجتماع التي كان ينزل بها الرب ويجتمع بموسى وشيوخ بني إسرائيل على حد قولهم[2]، وهذا نموذج مما نسبه اليهود إلى نبي الله سليمان (عليه السلام) وهو يتغزل بذلك الغزل الماجن البعيد كل البعد عن الحياء والعفة وإليك نصه:"

" ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم!

دوائر فخذيك مثل الحلي، صنعة يدي صناع!

سرتك كأس مدورة، لا يعوذها شراب ممزوج!

بطنك حبة حنطة مسيجة بالسوسن!

عنقك كبرج من عاج، عيناك كالبرك في حشبون عند باب بث ربيم

أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق

رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات

قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثديك بالعناقيد

---

[1] سفر الملوك الأول : 11/ 1 - 10 .

[2] ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار : 235 - 236، وينظر: في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي : 227 .

قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها

وتكون ثدياك كعناقيد الكرم، ورائحة أنفك كالتفاح

وحنكك كأجود الخمر لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين"[1].

ويبدو ان هذا الأمر طبيعي عند كاتب هذه الفقرات الماجنة مع الركاكة الواضحة في المعنى، وذلك لأنه قال: إن لسليمان ألف امرأة .. كلهن عملن على إمالة قلبه عن عبادة الإله، فأشرك بالله وعبد أوثانهن، لكن فات كاتب السفر أن يذكر لنا في أي واحدة تغزل سليمان هذا الغزل المكشوف[2]؟!!

ج . يدحض القرآن الكريم كل ما نسب إلى نبي الله سليمان (عليه السلام)، فقد وصفه تعالى بقوله:ﭽ ﭽ ﭽ ﭽﭽ ﭽ ﭽ ڍ ڎ ﭼ[3].

ثم يصف لنا القرآن الكريم حال كل من نبي الله داود وابنه سليمان (عليهما السلام)، كيف كانا حامدين لنعم الله عليهما، وتفضيلهم على كثير من العباد وذلك بقوله تعالى: ﭽٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤﭼ[4].

ثم يبرء (تعالى) ساحة نبيه سليمان من أعمال السحر، فقد ذهبت مجموعة من الناس إلى أن سليمان (عليه السلام) لم يكن نبياً، بل كان يسيطر على ملكه عن طريق السحر، فجاء قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ[5].

ثم يشير لنا القرآن الكريم ما كان لذلك النبي الكريم في الآخرة فقال: ﭽ □ □ □ □ ى ى ﭼ[1].

---

[1] سفر نشيد الأنشاد : 7/ 1 - 10 .
[2] ينظر: في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي : 228 .
[3] سورة ص : الآية (30) .
[4] سورة النمل : الآية (15) .
[5] سورة البقرة : من الآية (102) .

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. يرد الشيخ طنطاوي كل ما نسب إلى نبي الله سليمان (عليه السلام)، مفسراً ما جاء في سورة (ص)، مستعيناً على ذلك بقواعد اللغة ومعانيها، فالمخصوص بالمدح بالآية الكريمة (ﭼ ﭽ)، محذوف، والمقصود به نبي الله سليمان (عليه السلام)، والمعنى في ذلك أن الله تعالى وهب لداود بفضله وإحسانه سليمان (عليه السلام) ونعم العبد سليمان في دينه وفي خلقه وفي شكره لخالقه (تعالى)، أما جملة (ﭾ ﭿ)، فقد جاءت تعليل لذلك المدح من الله تعالى لسليمان (عليه السلام)، أي: إنه رجّاع إلى كل ما يرضي الله تعالى فهو مأخوذ من آب الرجل إلى داره، إذا رجع إليها[2].

2. يعرف الشيخ طنطاوي بـ(نبي الله داود وسليمان (عليهما السلام) الوارد ذكرها في سورة النمل، ، فداود هو ابن يس، من سبط يهوذا من بني إسرائيل، وكانت ولادته في بيت لهم سنة 1085ق. م ـ تقريباً ـ

ويستدل على قتل داود (عليه السلام)، جالوت بالقرآن الكريم، فجاء في قوله تعالى: ﭽﮈ ﮉ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﭼ[3]وكانت وفاته سنة 1000ق.م تقريباً، أما سليمان فهو ابن داود (عليهما السلام)، ولد بأورشليم حوالي سنة 1043ق.م، وتوفي سنة 975ق.م، وقد جاء ذكرهما في سورتي الأنبياء وسبأ وغيرهما، ويعتبر عهدهما أزهى عهود بني إسرائيل، فقد أعطاها الله (تعالى) نعماً جليلة[4]، والمعنى: لقد أعطى الله (تعالى) كل من داود وسليمان (عليهما السلام)، علماً واسعاً، ومنحهم الله بفضله وإحسانه معرفة غزيرة بعلوم الدين والدنيا، فداود (عليه السلام) أعطاه (سبحانه)، فكان يقرؤه بصوت جميل، كما علمه صناعة الدروع، وفي هذا قال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[5]، وأما سليمان

---

[1] سورة ص : الآية (40) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 158/12 .
[3] سورة البقرة : من الآية (251) .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 312/10 .
[5] سورة سبأ : الآية (10) .

(عليه السلام)، فقد آتاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمه منطق الطير، ورزق الحكم السديد بين الناس، قال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ[1] [2].

3. يستعين الشيخ طنطاوي بقواعد اللغة في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[3]، فالواو في قوله(ﭤ) للعطف على محذوف، أي: آتيناهما علماً غزيراً فعملا بمقتضاه وشكرا الله عليه، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا، بسبب ما آتانا من علم ونعم على كثير من عبادنا المؤمنين، الذين لم ينالوا ما قلنا من خيره وبره (سبحانه)[4].

4. يستشهد بقول الزمخشري (رحمه الله) على فضل العلم: (وفي الآية دليل على شرف العلم، وإنافة محله، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجّل النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أُتي فضلاً على كثير من عباد الله"[5].

5. بين الشيخ معنى (الوراثة) في قوله تعالى: (ﭱ ﭲ ﭳ)، فهي وراثة العلم والنبوة والملك، أي: ورث سليمان داود في نبوته وعلمه وملكه.

6. يعضد الشيخ ما يفسره بما قاله الحافظ في الوراثة، قال ابن كثير: (ﭱ ﭲ ﭳ)، أي: في الملك والنبوة وليس المراد وراثة المال، إذ لو كان كذلك لم يخُص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود... ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فإن الأنبياء لا تورث أموالهم[6]، إذ أخبر بذلك رسول الله (ﷺ) بقوله:" نحن معاشر الأنبياء لا تورث ما تركناه صدقة"[7].

---

(1) سورة الأنبياء : من الآية (79) .
(2) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 312/10 .
(3) سورة النمل : من الآية (15) .
(4) تفسير الوسيط، طنطاوي : 312/10 .
(5) المصدر نفسه : 10/ 312، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 353/3.
(6) المصدر نفسه : 313/10، نقلاً عن تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 164/6.
(7) صحيح بخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في في الدين والبدع : 146/8 .

7. يرد الشيخ طنطاوي على المزاعم الباطلة الموجهة إلى نبي الله سليمان (عليه السلام)، وذلك لإتهامه بالسحر، مفسراً ما جاء في سورة البقرة: ﭽ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ[1]، والمعنى في ذلك: إن فريق كبير من اليهود وأحبارهم قاموا بطرح تعاليم التوراة وراء ظهورهم التي تؤكد نبوة محمد (ﷺ)، وصدقه في ذلك، فهو مكتوب عندهم في التوراة، حتى لكأنهم يجهلون إنه من عند الله (تعالى) واتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلقه من السحر والأوهام والمفتريات على عهد سليمان (عليه السلام)، ومن هذه المفتريات والأكاذيب زعم أن سليمان كان ساحراً، وما تم له ملكه العريض، ولا ظهرت على يديه المعجزات الباهرة من تسخير الجن والريح إلا عن طريق السحر[2].

وقد أكذبهم الله (تعالى) في هذا الزعم بقوله: (ﭘ ﭙ ﭚ)، أي: بتعلم السحر والعمل به، كما يزعم هؤلاء (ﭜ ﭝ) هم الذين (ﭟ) يتعلم السحر وتعليمه للناس، وبهذا رد الله تعالى الرد القاطع بما نسب إلى نبي الله سليمان (عليه السلام)[3].

ثم يشير القرآن الكريم ما كان لهذا النبي الكريم في الآخرة: ﭽ □ □ □ □ ﯨ ﯩﭼ[4]، أي: إنه عندنا في الآخرة من المقربين المكرمين، فضلاً عن حسن المرجع يوم القيامة[5].

وبهذا: ترى الباحثة الاختلاف الواضح الكبير بين ما ترويه التوراة عن سليمان الوثني صاحب الملذات وبين ما يحكيه القرآن الكريم عن ذلك النبي الأواب، وبهذا لم يكن سليمان (عليه السلام) بأحسن حال من أبيه في نظر اليهود، حيث تصوره نصوصهم كما أشرنا إلى ذلك، هو ذلك الرجل الغارق بملذاته، الذي يجمع في بلاطه ألفاً من النساء الغريبات اللاتي منع الله عشرتهن، متأثراً بتلك النساء مائلاً عن عبادة ربه في شيخوخته فاتجه إلى غير الله،

---

[1] سورة البقرة : من الآية (102) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 223/1 .
[3] المصدر نفسه : 223/1 .
[4] سورة ص : الآية (40) .
[5] تفسير الوسيط، طنطاوي : 165/12 .

وبنى لكل واحدة منهن مذبحاً للأوثان على التلال[1]، بل تروي لنا التوراة جانباً من حياته عند استلامه الملك، فقتل جميع منافسيه ليستريح منهم، إذ قتل أخيه (أدونيا)[2]، وقتل (يؤاب)[3] قائد جيشه، بل وتتحدث التوراة عن مخالفات دينية كثيرة لسليمان لدرجة إنه كان يسجد للأوثان دون الإله الحق، ومن أجل تلك النساء فهو لم يكن له عملاً معيناً سوى الحب والجنس واللعب مع النساء مخالفاً بذلك تعاليم الرب الذي أمره بغير ذلك[4]، فأي هراء هذا يرتكبه من كتب العهد القديم؟!.

وفي هذا المعنى قال الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): " ان في تلك النصوص إساءة إلى أنبياء الله ورسله لما نسبوه إليهم مما يتورع منه الحشاشون والرعاع، وبأي وسيلة تكون هذه الإساءة من جانبهم إلى الأنبياء، لقد غلفوا هذه الإساءات في ثوب الوحي الإلهي المعصوم، حتى لا يجرؤ على تكذيبه أحد، هل هذه سيرة رسل وأنبياء من قبل الله وأولاد الأنبياء أم سيرة قطّاع طريق ولصوص وفسقة وديوثين؟، إجهمرة الفلاسفة والعلماء والعقلاء يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بالجهالة كما يرفضون مقولة أن يسيء الله اختياره لسفرائه إلى خلقه فكيف إذن يستقيم ذلك مع تلك النصوص التي تنعت الأنبياء والمرسلين وأبناءهم بالزنا والسكر والاحتيال وأحط صفات الانحراف، وإذا كان أنبياء الله ورسله بتلك الصفات المنحطة فلماذا يلام ـ إذاً ـ رواد السجون وأصحاب الشرور "[5].

ولعل الدافع الذي يدفع اليهود إلى اتهام الأنبياء بأحط الصفات وأرذلها، عاكسين ما كانوا عليه من هذه الصفات على أنبياءهم وملوكهم، حتى يُعبدّوا لأنفسهم الطريق لارتكاب الفواحش مقتدين بذلك ما فعله أنبيائهم على حد قولهم.

---

[1] ينظر: العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد عيسى : 379 - 380 .

[2] أدونيا: وهو أحد أبناء داود، كان تسلسله الرابع بين أبناء داود الذين ولدوا في حبرون من أم تدعى (حجيت) (2 صم 402/3).

[3] يؤاب: وهو ابن سرايا، وهو قائد الجيش لدى داود : (1 أخبار 4: 14).

[4] ينظر: سفر الملوك الأول: 23/2 ـ 25، وينظر: العقيدة اليهودية، السيد صالح : 276 .

[5] قذائف الحق، محمد الغزالي : 29 .

المبحث الثالث

تكذيب أنبياء الله (عليهم السلام)، والاعتداء عليهم بالقتل وموقف سيد طنطاوي من ذلك

مدخل:

الأنبياء هم صفوة الله من خلقه، وهم دعاة الخير يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، وهم الذين يجب لهم كل الكمالات الإنسانية، فهم المعصومون عن الكبائر، منزهون عن كل شين ورذيلة، هذه حقيقتهم وواقعهم وعقيدتنا فيهم[1]، (فلا يليق أن تصدر من أحدهم كبيرة، لا قبل البعثة ولا بعدها، ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار)[2]، ولابد من الإشارة ونحن بصدد هذا المبحث إن الله تعالى أرسل إلى بني إسرائيل رسلاً كثيرة، ذوي عدد كثير، وأولى شأن خطير، يتعمدوهم بالتبشير والإنذار، ولكي يرشدوهم ويعينونهم إلى ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم، إلا إن اليهود كعادتهم قابلوا تتابع الرسل عليهم بالجحود، بل لم يكتفوا بتكذيب أولئك الرسل إليهم، بل تجرؤا فقتلوا ما قتلوه من أنبياء الله ورسله، وهم بفعلهم هذا كفار مخلدون في النار[3]، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي □ چ[4]، وكذلك جاء في قوله تعالى: چ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ چ[5].

يتبين لنا من خلال هذين النصين أن اليهود انقسموا تجاه أنبياءهم إلى قسمين، قسم قتلوا الأنبياء وقسم كذب الأنبياء.

المطلب الأول: تكذيب الأنبياء (عليهم السلام)، وموقف سيد طنطاوي من ذلك.

أولاً: تأصيل المسألة.

---

[1] ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز الخلف، أضواء السلف ـ الرياض، ط1 (1418هـ ـ 1997م) : 94 ـ 96 .

[2] عقيدة المسلم، محمد الغزالي : 220 .

[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 231/4 .

[4] سورة المائدة : الآية (70) .

[5] سورة آل عمران : الآية (112) .

أ . نسب اليهود إلى نبي الله يعقوب (عليه السلام)، الكذب والاحتيال على أبيه، ليسرق النبوة من أخيه عيسو بترتيب من أمه على حد زعمهم، فقد جاء في سفر التكوين:" وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: (يا بني) فقال له: (هأنذا) فقال: إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ عدتك، جعبتك وقوسك، واخرج البرية وتصيد لي صيداً واضع لي اطعمة كما أحب وأنني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت، وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: (إني قد سمعت أباك يُكلم عيسو أخاك قائلاً ائتني بصيد واضع لي أطعمة لآكل وأبارك أمام الرب قبل وفاتي، فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به: اذهب إلى الغنم وخذلي من هناك جديين صيدين من المعزى، فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يبارك قبل وفاته، فقال يعقوب لرفقة أمه:" هُوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة، فقالت له أمه عليّ يا ابني اسمع لقولي فقط واذهب خذلي، فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جدي المعزى، وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها، فدخل على أبيه وقال: يا أبي، فقال: هأنذا، من أنت يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني"[1].

ب . يدحض القرآن الكريم تلك الصورة التي رسمتها التوراة لذلك النبي الكريم، فجاء في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺچ[2].

---

[1] سفر التكوين : 27/ 1 - 19 .

[2] سورة الأنبياء : الآيتان (72 - 73) .

جـ . قال تعالى:چ ہ ہ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ېچ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة:

1. يفسر الشيخ طنطاوي ما جاء في سورة الأنبياء، قوله تعالى: (□ □ □ □ □)، في هذا بيان لنعمة أخرى أنعم الله بها (سبحانه) على إبراهيم (عليه السلام)، فالنافلة هنا: هي الزيادة على الأصل، لذا سميت صلاة السنن نافلة؛ لأنها زيادة على الصلوات المفروضة، وإسحاق هو ابن إبراهيم ويعقوب هو ابن إسحاق (عليهم صلوات الله وسلامه)[2].

2. يستعين الشيخ بقواعد اللغة:

أ . في بيان قوله تعالى (□)، فهي حال من يعقوب، أي: ووهبنا لإبراهيم يعقوب حال كونه زيادة على إسحاق، وكلاً من المذكورين وهم إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب جعلناهم أفراد صالحين، بأن وفقناهم لما نحبه ونرضاه، وشرفناهم بالنبوة والرسالة، فضلاً عن جعلهم أئمة الخير يهدون ويرشدون غيرهم إلى الدين الحق، بسبب أمرنا لهم بذلك، وتكليفهم بتبليغ وحينا إلى الناس[3].

ب . قوله تعالى: (ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ)، أي: أوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات، وأن يأمروا الناس بفعلها، وأوحينا إليهم كذلك أن يقيموا الصلاة وأن يؤدوا الزكاة وأن يأمروا غيرهم بذلك، وعطف إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على فعل الخيرات من باب عطف الخاص على العام، للاهتمام به، إذ الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (ٺ ٺ ٿ)، لا لغيرنا، فهو لم يخطر ببالهم عبادة أحد سوانا، لأنهم المصطفين الأخيار[4].

---

[1] سورة البقرة : الآية (87) .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 230/9 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 230/9 .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 9/ 231 .

3. ينقل لنا قول الزمخشري في قوله تعالى: (ٻ ٻ)، أي: "من صلح ليكون قدوة في دين الله، فالهداية محتومة عليه، مأمور بها من جهة الله ليس له أن يخل بها، ويتثاقل عنها، وأول ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل"[1].

4. يفسر الشيخ طنطاوي ما جاء في سورة البقرة من قوله: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې)، يوبخ الله (تعالى) اليهود على أفعالهم القبيحة؛ لأنهم كلما جاء لهم رسول بما لا تحبه أنفسهم الشريرة، استكبرتم عن أتباعه والإيمان به، وأقبلتم على هؤلاء الرسل ففريقاً منهم كذبتم، وفريقاً منهم تقتلونه غير مكتفين بالتكذيب، (أما ۋ) فهي من الهوى إذا أحب، والهوى يكون عادةً في الحق، ويكون في الباطل كما في هذه الآية، (ۅ)، أي: تكبرتم، والتكبر ينشأ عادةً عن الإعجاب بالنفس الذي هو أثر الجهل، وهو من الصفات التي متى تمكنت في النفس أوردتها المهالك، وساقتها إلى سوء المصير[2].

ثم يبين الشيخ السبب في التعبير عن جانب القتل بالفعل المضارع فقال: (ې)، ولم يقل (قتلتم)، كما قال كذبتم؛ لأن الفعل المضارع كما هو المألوف في أساليب البلاغة، يستعمل في الأفعال الماضية التي بلغت من الفضاعة مبلغاً عظيماً، ووجهه أن المتكلم يعمد بذلك الفعل القبيح كقتل الأنبياء، ويعبر عنه بالفعل المضارع الذي يدل بحسب وضعه على الفعل الواقع في الحال، فكأنه أحضر صورة فعل الأنبياء أمام السامع، وجعله ينظر إليها بعينه، فيكون إنكاره لها أبلغ واستفضاعه لها أعظم[3].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. علق الإمام ابن حزم على هذا النص التوراتي قائلاً: وأما وجوه الكذب في هذا النص فكثيرة جداً، منها نسبة الكذب إلى نبي الله يعقوب (عليه السلام)، في ثلاثة مواضع هي:

---

(1) المصدر نفسه : 230/9، نقلاً عن الكشاف، الزمخشري : 127/3 .
(2) المصدر نفسه : 196/1 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 196/1 .

1. قوله لأبيه إسحاق:" أنا عيسو ابنك بكرك"، فهذه كذبتان في نسق، لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره.

2. قوله لأبيه: صنعت جميع ما قلت لي فاجلس وكلّ من صيدي، فهذه كذبتا أيضاً، لأنه لم يقل له شيئاً، ولم يخرج للصيد.

3. بطلان بركة إسحاق، إذ قال له: تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب، وتكون سيد أخوتك، ويسجد لك بنو أُمك وقوله لعيسو ولأخيك تستعبد وهذه كذبتان متواليات، والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب[1].

المطلب الثاني: قتل الأنبياء وموقف سيد طنطاوي منه.

أولاً: تأصيل المسألة.

إن هذا المطلب لا يعالج في الشخصية اليهودية موضوع الإجرام الموجه إلى الناس العاديين، وإنما يخص ظاهرة متكررة متأصلة عند اليهود ضد الأنبياء، فلابد لنا ان نفهم أموراً معينة أحاطت باليهود، وشكلت إطاراً إجرامياً من الصعب فهمه، دون نظرة شمولية أكثر في وصف هذه الظاهرة ونتائجها الوخيمة على نفوسهم، كما صرح بها القرآن الكريم[2]، فاليهود يمتلكون قدرة عجيبة على قتل الأنبياء، والسبب في ذلك؛ لأن الأنبياء يأتون بشرائع لا توافق هوى نفوسهم من جهة، فضلاً عن التخلص من معارضة هؤلاء الأنبياء لجرائمهم الكثيرة من

---

[1] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم : 108/1 .

[2] الصحة النفسية دراسة سيكولوجية التكييف، نعيم الرفاعي، المكتب الجامعي ـ مصر : 326 .

جهة أخرى، حتى لو كان هؤلاء الأنبياء يلتقون معهم في أكرم أعراقهم النسبية مع نبي الله يعقوب (عليه السلام)[1].

أ . جاء في نص التوراة في سفر أرميا تصريح مباشر وواضح على قتل الأنبياء (عليهم السلام)، فقد ورد فيه:" لباطل ضربت بنيكم لم يقبلوا تأديباً، أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك"[2].

ب . لقد حكى لنا القرآن الكريم حكاية اليهود مع أنبيائهم، فقال الله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ چ[3].

ج . يصور لنا القرآن الكريم مصيرهم بعد الاعتداء على أنبياء الله بالقتل، قال تعالى: چۈ ې ې ې ې □ چ[4].

د . تصريح اليهود بقتل عيسى ابن مريم (عليه السلام)، قال تعالى: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں چ[5].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي عي المسألة.

أ . استعان الشيخ بمعاني اللغة مع قواعد اللغة العربية لبيان ما جاء في سورة المائدة راداً على اليهود وما فعلوه بأنبياء الله الكرام موضحاً المراد بـ(الميثاق) في قوله: (□ □ □ □ □) فهو ذلك العهد الذي أخذه الله عليهم بواسطة أنبياءهم بأن يؤدوا ما كلفهم الله به من تكاليف، وأن يتبعوا النبي محمد(ﷺ) عد ظهوره، وقد أكد الله هذا الميثاق الذي أخذه عليهم (بلام القسم وبقد)، المفيدة للتحقيق، أي: بالله لقد أخذنا الميثاق على بني إسرائيل بأن يعبدوني

---

[1] ينظر: مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق ـ بيروت، ط2 (1398هـ - 1987م) : 29 .

[2] سفر أرميا : 30/2 .

[3] سورة المائدة : الآية (70) .

[4] سورة البقرة : من الآية (61) .

[5] سورة النساء : الآيتان (157 - 158) .

ولا يشركوا بي شيئاً، وبأن ينفذوا ما كلفتهم به من المأمورات والمنهيات والشرائع والأحكام[1]، أما قوله تعالى: (□ □ □□ □)، فقد جاء معطوف على (□)، أما التنكير في قوله (□)، فقد جاء للتكثير والتعظيم، أي: أن الله (تعالى) أخذ عليهم العهد المؤكد بأن يسيروا على الطريق المستقيم، وأرسل إليهم رسلاً ذوي عدد كثير، وأولي شأن خطير، لكي يتعهدوهم بالتبشير والإنذار، ولكي يرشدوهم إلى ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم، ومع إنه تعالى أخذ الميثاق عليهم إلا إنه لم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم الرسل ليعينونهم على تنفيذ ما جاء به[2]، وهذا ولم يذكر (سبحانه) هنا موضوع الميثاق، اكتفاء بذكره في مواطن أخرى كثيرة ومنه قوله تعالى قبل ذلك في هذه السورة چڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇڇ ڇ چ ڍ ڍڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳڱ ڱ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڼ ڼ چ[3]، وقوله تعالى: چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۋ ۋ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[4].

ثم يبين الله (تعالى) موقفهم الذميم من الميثاق الذي أُخذ عليهم، ومن الرسل الكرام الذين أرسلهم الله لهدايتهم وسعادتهم، فجاء قوله: چ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ چ، أي: بعد أن أخذ الله (تعالى) الميثاق المؤكد عليهم، وأرسل لهم رسلاً كثيرين لهدايتهم، فما كان منهم إلا نقض الميثاق مع عصيان الرسل، فكانوا كلما جاءهم رسول بما لا تشتهيه نفوسهم الشقية، ولا تميل إليه قلوبهم الردية، ناصبوه العداء، فكذبوا بعض الرسل، ولم يكتفوا مع البعض الآخر بالتكذيب، بل أضافوا إليه القتل، هذا ولقد كذب اليهود جميع الرسل الذين جاءوا لهدايتهم ولم يؤمن بهم إلا قلة منهم، وقتلوا من بين ما قتلوا بعد أن كذبوهم: زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل عيسى (عليه السلام)، كما حاولوا قتل رسول الله (ﷺ) إلا إن الله تعالى نجاهما من مكرهم وكيدهم[5].

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 231/4 .
(2) المصدر نفسه : 231/4 ،
(3) سورة المائدة : الآية (12) .
(4) سورة البقرة : الآية (83) .
(5) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 232/4 .

ب . يستعين بما قاله الزمخشري من قواعد اللغة في قوله: (□ □ □)، فهي جملة شرطية وقعت صفة لقوله (رسلاً) والرابط هنا محذوف والتقدير: أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم، أي: بما يخالف هواهم ويضاد شهوتهم، فإن قلت اين جواب الشرط، قلت: هو محذوف يدل عليه (ى ى ي ي □)، فكأنه قيل: كلما جاء رسول منهم ناصبوه[1].

ج . يبين طنطاوي حال بني إسرائيل بقوله: (□ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □)، فكان حالهم بالنسبة للرسل يدور بين أمرين هما:

أما تكذيبهم والاستهانة بتعاليمهم.

وأما أن يجمعوا مع التكذيب قتلهم وإزهاق أرواحهم الشريفة، فكأن التكذيب والقتل قد صارا سجيتين لهم لا تختلفان في أي زمان ومع أي رسول، وذلك لأن لفظ (كل) يدل على العموم (ما) مصدرية ظرفية دالة على الزمان، فكأنه تعالى يقول، في كل أوقات مجيء الرسل إنهم كذبوا ويقتلوهم دون أن يفرقوا بين رسول ورسول أو بين زمان وزمان[2].

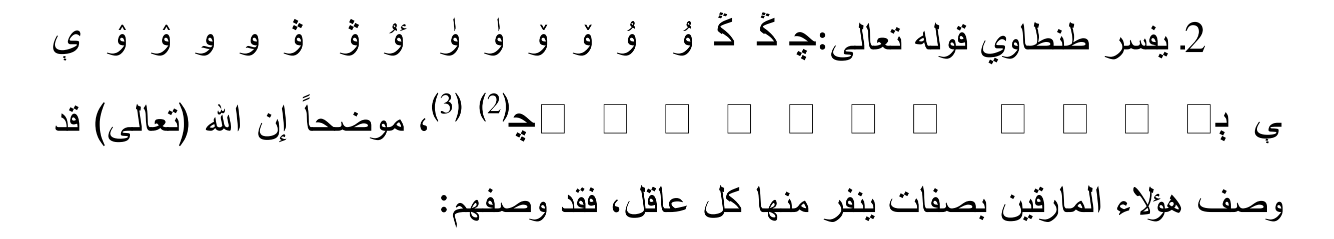
وأما قوله تعالى (□ □ □ ى)، فكان للمبالغة في ذمهم إذ هوى النفس وميلها في الغالب إلى الشهوات التي لا تنبغي، والرسل وما أرسلهم تعالى إلا لهداية الأنفس، وكفها عن شهواتها التي تؤدي إلى الوقوع فيها إلى المفاسد، ثم يعلل طنطاوي ما فعله بني إسرائيل بأنبيائهم وبنو إسرائيل لا يكذبون الرسل، ولا يقتلونهم إلا لأنهم جاءوهم بما يخالف هواهم ويتعارض مع أنانيتهم وشرهم ومطامعهم الباطلة، وهكذا هي الأمم عندما تفسد عقولها وتسيطر عليها الأطماع والشهوات، ترى الحسن قبيحاً، وتحارب من يهديها إلى الرشاد حتى لكأنه عدو لها[3].

ثم بين الطنطاوي سبب تقديم المفعول به في قوله:(ى ي)، (ي □) وذلك للاهتمام بتفصيل أحوال بني إسرائيل السيئة، وبيان ما لقبه الرسل الكرام منهم، ثم عبر عن التكذيب

---

(1) المصدر نفسه : 232/4، نقلاً عن الكشاف، الزمخشري : 1662/1 .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 232/4 .
(3) المصدر نفسه : 232/4 .

بالفعل الماضي فقال: :(ى ي)، وعن القتل بالفعل المضارع فقال:(ي)، لحكاية الحال الماضية التي صدرت من أسلافهم بتصوير ما حصل في الماضي كأنه حاصل وقت التكلم، ولاستحضار جريمتهم البشعة في النفوس حتى لكأنها واقعة في الحال، وفي ذلك ما فيه من النعي عليهم، والتوبيخ لهم والتعجب من أحوالهم التي بلغت نهاية الشناعة والقبح[1].

2. يفسر طنطاوي قوله تعالى:

[2] [3]، موضحاً إن الله (تعالى) قد وصف هؤلاء المارقين بصفات ينفر منها كل عاقل، فقد وصفهم:

أولاً: بأنهم يكفرون بآيات الله، أي: لا يكتفون بالكفر بالله (تعالى)، بل يكفرون بالآيات المثبتة لوحدانيته، وبالرسل الذين جاءهم بالهدى الحق.

ثانياً: وصفهم بأنهم يقتلون النبيين بغير حق، وقتل النبيين بغير حق فعل معروف عند اليهود، فهم الذين قتلوا زكريا (عليه السلام)؛ لأنه حاول أن يخلص ابنه يحيى (عليه السلام) من القتل، ثم قتلوا يحيى (عليه السلام)، لأنه لم يوافقهم في أهوائهم، وحاولوا قتل عيسى (عليه السلام) ولكن، الله (تعالى) نجاه من مكرهم، وقتلوا غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[4].

ثم يطرح طنطاوي سؤال ويجيب عليه قائلاً: فإن قيل إن اليهود ما قتلوا كل الأنبياء فلِمَ أخبر القرآن عنهم أنهم يقتلون النبيين ولم يقل يقتلون بعض النبيين؟

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 223/4 .
(2) سورة آل عمران : الآيتان (21 - 22) .
(3) تفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق، ط1 (1422 هـ - 2002م) : 182/1 .
(4) تفسير الوسيط، طنطاوي : 62/2، نقلاً عن كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 44/3 .

فالجواب: أنهم بقتلهم لبعض النبيين فقد استهانوا بمقام النبوة، ومن استهان بمقام النبوة بقتله لبعض الأنبياء فكأنه قد قتل الأنبياء جميعاً، ونظير هذا كان قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ﴾[1].

ثم بين سبب (تقيد القتل بغير حق)، مع إن قتل الأنبياء لا يكون بحق أبداً:

أولاً: للتصريح بموضع الاستنكار، لأن موضع الإستنكار هو اعتداؤهم على الحق بقتلهم الأنبياء.

ثانياً: للإشارة إلى أنهم لتوغلهم في الظلم والعدوان قد صاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا تميل إليه نفوسهم.

ثالثاً: لتسجيل عليهم إن هذا القتل للأنبياء كان مخالفاً لما في شريعتهم فإنها قد نهتهم عن قتلهم الأنبياء، بل عن مخالفتهم، فهذا القيد من باب الإحتجاج عليهم بما نهت عنه شريعتهم لتخليد مذمتهم في كل زمان ومكان[2].

2. استعمل الشيخ قواعد اللغة في بيان قوله (ۋ ۋ) فهي بصيغة التنكير، لعموم النفي بحيث يتناول الحق الثابت والحق المزعوم، أي إنهم لم يكونوا معذورين بأي لون من ألوان العذر في هذا الاعتداء، فقد أقدموا على ما أقدموا عليه وهم يعلمون إنهم على الباطل، فكان فعلهم هذا إجراماً في بواعثه وفي حقيقته، وأفضع أنواع الإجرام في موضوعه، وقوله بغير الحق في موضع الحال المؤكدة لمضمون جملة (ۋ ۋ)، إذ لا يكون قتل النبيين إلا كذلك[3].

---

[1] سورة المائدة : من الآية (32) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 63/2 .
[3] ينظر: المعجم الوسيط : 734/2 .

3. استعان الشيخ بـ(معاني اللغة) لتوضيح قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ، فالقسط: هو العدل، يقال: قسط بقسط، ويقسط قسطاً، وأقسط إقساطاً إذا عدل[1]، أي: لا يكتفون بقتل النبين الذين جاءوا لهدايتهم وسعادتهم، وإنما يقتلون مع ذلك الذين يأمرون بالعدل من مرشديهم ونصائحهم، وفي قوله (ﯚ ﯛ)، فهي إشارة إلى انهم ليسوا بأنبياء، بل من الناس غير المبعوثين، وكان قربهم بالأنبياء مع إثبات الاعتداء عليهم قرين الاعتداء على الأنبياء وذلك:

- لبيان علو منزلتهم.
- أنهم ورثتهم الذين يدعون بدعوتهم[2].

4. بين الشيخ السبب الذي من أجله عبر (تعالى) عن جرائمهم بصيغة الفعل المضارع، مستعيناً بذلك بقواعد اللغة، فقد جاء تعالى بفعلي(ﯗ، ﯘ):

أولاً: لاستحضار صورة أفعالهم الشنيعة في أذهان المخاطبين.

ثانياً: ولإفادة إن أفعالهم هذه متجددة كلما استطاعوا إليها سبيلا.

ثالثاً: ولإشعار بأن اليهود المعاصرين للنبي(ﷺ) كانوا راضين بفعل آبائهم وأسلافهم، هذا ولقد حاول اليهود في العهد النبوي أن يقتلوا النبي(ﷺ)، ولكن الله تعالى نجاه من شرورهم[3].

5. يستشهد الشيخ بالآثار الواردة المتعددة في دأب اليهود على قتل الأنبياء والمصلحين، ومنها ما جاء عن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال: قلت يا رسول الله، أي: الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ فقال رسول الله (ﷺ):(ﮛ ﮜ ﯗ ﯘ ﯗ ﯘ)، ثم قال: يا أبا عبيدة فقلت بنو إسرائيل

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 63/2 .
[2] المصدر نفسه: 63/2 .
[3] المصدر نفسه : 63/2 .

ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً منهم فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم"[(1)].

6. استعان الشيخ بضرب من ضروب البلاغة وهي الاستعارة التكهمية في بيان قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ كانت نتيجة ضمنية لجرائمهم، فحقيقة التبشير هنا: هو الإخبار بما يظهر سرور المخبر على بشره وجهه، وستعمل هنا ضد الحقيقة على سبيل التهكم بهم، وذلك لأن هؤلاء المعتدين مع أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه وأولياءه، وفعلوا ما فعلوا من منكرات، مع كل ذلك زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فساق القرآن ما يخبرهم به على سبيل الاستهزاء بعقولهم أن بشارتهم التي يرتقبونها بسبب كفرهم ودعواهم الباطلة هي: العذاب الأليم، واستعمال اللفظ في ضده عند علماء البيان من باب الاستعارة التهكمية؛ لأن تشبيه الشيء بضده لا يروج في عقل العقلاء إلا على معنى التحكم والاستهزاء[(2)].

7. ينقل الشيخ طنطاوي ما أخبر به (تعالى) بفساد أعمال هؤلاء في الدنيا والآخرة، فقال: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮊ، مستعيناً بيان ذلك على ما جاءت به معاني اللغة مع قواعدها، فالمراد بالحبوط ـ كما يقول الراغب ـ من الحبط، وهو أن تكثر الدابة الأكل حتى تنفخ بطنها، وقد يؤدي إلى موتها[(3)].

أما المراد (بحبوط أعمالهم)، أي: إزالة آثارها النافعة من ثواب في الآخرة وحياة طيبة في الدنيا؛ لأنهم عملوا ما عملوا وهم لا يرجون الله وقاراً، وجيء باسم الإشارة في صدر الآية، لتميز أصحاب تلك الأفعال القبيحة أكمل تميز، وللتنبيه على أنهم أحقاء بما سيخبر به عنهم بعد اسم الإشارة، وكانت الإشارة للبعيد، للإيذان ببعدهم عن الطريق القويم، والخلق المستقيم، وقوله (أولئك)، مبتدأ والموصول وصلته خبره، أي: أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة

---

(1) التفسير الوسيط : 63/2، نقلاً عن مسند البزاز (البحر الزاخر)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزاز (ت292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ط1 (1988 ـ 2009م) : 109/4 .

(2) المصدر نفسه : 64/2 .

(3) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1 (1420هـ ـ 1999م) : 479/2 .

بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وسقطت عن حيز الاعتبار، وخلت عن الثمرة التي كانوا يؤملونها من ورائها، بسبب إشراكهم بالله واعتدائهم على حرماته[1].

أما قوله (وما لهم من ناصرين)، فهو نفي لكل ما كانوا يتوهمونه من أسباب النصر، وقد أكد هذا النفي بمن الزائدة، أي: ليس لهم من أحد ينصرهم من بأس الله وعقابه، لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم بسبب كفرهم وأفعالهم القبيحة صاروا مستحقين للعقاب، وليس هناك من يدفعه عنهم، ثم بين الشيخ أن الله (تعالى) وصفهم بثلاث صفات:

أ . الكفر وقتل الأنبياء وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس وتوعدهم ـ أيضاً ـ بثلاثة أنواع من العقوبات.

ب . بالعذاب الأليم وحبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة، وانتفاء من ينصرهم أو يدافع عنهم، وبذلك نرى الآيتين الكريمتين تسوقان أشد ألوان التهديد والوعيد لهؤلاء المعتدين، بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة[2]، ومن أمثلة محاولات اليهود قتل الأنبياء فهي:

1. محاولة قتل نبي الله عيسى (عليه السلام):

أولاً: تأصيل المسألة.

أ . قال اليهود في سفر يوحنا ما نصه:" وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه"[3]، هذا نص صريح وواضح ومن أسفارهم التي تبين لأي قارئ إن اليهود كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لقتل المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام).

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 64/2 .
[2] المصدر نفسه : 65/2 .
[3] يوحنا : 7/ 1 .

ب . صرح القرآن الكريم بمحاولة اليهود قتل عيسى (عليه السلام) فجاء قوله تعالى: چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ چ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، وكانت في جوانب عدة.

1. ينقل الشيخ طنطاوي ما سجله (تعالى) عليهم من رذيلة أخرى من رذائلهم، ثم رد عليهم بما يخرس ألسنتهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد في كل زمان ومكان، فقال: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ)، فالمسيح هنا: لقب تشويق وتكريم نبي الله عيسى (عليه السلام)، وقيل لقب بذلك للأسباب التالية:

أ . لأنه ممسوح من كل خلق ذميم.

ب . لأنه مسح بالبركة والدليل قوله تعالى: چﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒچ[2].

جـ . لأن الله مسح عنه الذنوب.

وكان قولهم على سبيل التبجح والتفاخر، إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، بسبب ذلك القول استحقوا لعنة الله (تعالى) وغضبه، كما لعنهم وغضب عليهم بسبب جرائمهم السابقة[3].

ثم يؤكد طنطاوي إن هذا القول الذي صدر عنهم هو في ذاته جريمة، وذلك للأسباب التالية:

أ . لأنهم قالوا هذا القول على سبيل التبجح والتفاخر لقتلهم في زعمهم نبياً من أنبياء الله، ورسولاً من أولى العزم.

ب . قولهم هذا وإن خالف حقيقة الحال والواقع، إلا انه يدل على أنهم أرادوا أن يقتلوه فعلاً وسلكوا كل السبل لبلوغ غايتهم الدنيئة منها.

- دسوا عليه عند الرومان حتى يقتلوه.
- وصفوه بالدجل والشعوذة.

---

(1) سورة النساء : الآيتان (157 - 158) .

(2) سورة مريم : من الآية (31) .

(3) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 378/3 .

- وحاولوا أن يسلموه لأعدائه، ليصلبوه، بل زعموا انهم أسلموه فعلاً لهم، ولكن الله تعالى خيب سعيهم وأبطل مكرهم، وحال بينهم وبين ما يشتهون، حيث نجى عيسى (عليه السلام) من شرورهم، ورفعه إليه دون أن يمسه سوء منهم[1].
- ولاشك أن ما صدر عن اليهود في حق عيسى (عليه السلام) من محاولة قتله، واتخاذ كل وسيلة لتنفيذ غايتهم، ثم تفاخرهم بأنهم قتلوه وصلبوه، لا شك ان كل ذلك يعتبر من أكبر الجرائم لأنه من المقرر في الشرائع والقوانين أن من شرع في ارتكاب جريمة من الجرائم واتخذ كل الوسائل لتنفيذها، ولكنها لم تتم لأمر خارج عن إرادته، فإنه يعد من المجرمين الذين يستحقون العقاب الشديد، واليهود اتخذوا كافة الطرق لقتل عيسى (عليه السلام)، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون لأسباب خارجة عن طاقتهم، ومعنى هذا انه لو بقيت لهم أية وسيلة لإتمام جريمتهم النكراء لما تقاعسوا عنها، ولأسرعوا في تنفيذها فهم يستحقون عقوبة المجرم في تفكيره، وفي نيته، وفي شروعه الأثيم لارتكاب ما نهى الله عنه[2].

2. يعتمد على قول الزمخشري في قوله: فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى (عليه السلام)، أعداء له، عامدين لقتله، يسمونه الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فكيف قالوا: (إنما قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء، كقول فرعون: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ[3]، ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم، رفعاً لعيسى كما كانوا يذكرونه به، وتعظيماً لما أرادوا بمثله كقوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[4] [5].

ثم يرد الله (تعالى) على مزاعمهم الكاذبة وأقاويلهم الباطلة التي تفاخروا بها بأنهم قتلوا عيسى (عليه السلام)، أي: أن ما قاله اليهود متفاخرين به، وهو زعمهم قتل عيسى (عليه

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 378/3 .
[2] المصدر نفسه : 378/3 - 379 .
[3] سورة الشعراء : الآية (27) .
[4] سورة الزخرف : الآيتان (9 - 10) .
[5] تفسير الوسيط، طنطاوي : 379/3، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 587/1 .

السلام)، هو من باب أكاذيبهم المعروفة عنهم فإنهم ما قتلوه، وما صلبوه ولكن الحق أنهم قتلوا رجلاً آخر يشبه عيسى (عليه السلام)، في الخلقة فظنوه إياه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[1].

يذكر قول الفخر الرازي في قوله (شُبّه) مسنداً إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبه وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر؟ والجواب من وجهين:

الأول: إنه مسند إلى الجار والمجرور، وهو كقولك: خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم الشبه.

الثاني: أن يسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله:)وما قتلوه) يدل على أنه وقع القتل على غيره، فصار ذلك الغير مذكوراً بهذا فحسن إسناد شُبِّه إليه[2].

3. ينقل الشيخ طنطاوي قول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف قوله: (وما قتلوه وما صلبوه)، زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فأكذبهم الله (تعالى) في ذلك وقال: (ولكن شبه لهم)، أي شبه لهم المقتول بأن ألقى عليه سبه المسيح، فلما دخلوا عليه ليقتلوه، أي ليقتلوا المسيح، وجدوا الشبيه فقتلوه وصلبوه، يظنونه المسيح وما هو في الواقع، إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء، ونجاه من شر الأعداء، وقيل المعنى: لكن التبس عليهم الأمر، حيث ظنوا المقتول عيسى، كما أوهمهم بذلك أحبارهم[3].

4. يعد الشيخ طنطاوي قوله تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ، أي: إن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب لفي شك دائم في حقيقة أمره، أي: في حيرة وتردد دائم، ليس عندهم علم ثابت في شأنه، أو في شأن قتله، ولكنهم لا يتبعون فيما

---

(1) سورة النساء : من الآية (157) .

(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 2/ 379، نقلاً عن التفسير الكبير، الرازي : 99/11 .

(3) المصدر نفسه : 379/2 - 380، نقلاً عن تفسير صفوة التفاسير، حسنين مخلوف : 178 .

يقولونه عنه إلا الظن الذي لا تثبت به حجة، ولا يقوم عليه برهان، هذا وقد اختلف أهل الكتاب في شأن عيسى اختلافاً كبيراً من هذه الاختلافات:

أولاً: فمنهم من زعم أنه ابن الله، وادعى إن في عيسى عنصراً إلهياً مع العنصر الإنساني، وأن الذي ولدته مريم هو العنصر الإنساني، ثم أفاض عليه بعد ذلك العنصر الإلهي.

ثانياً: منهم من قال: إن مريم ولدت العنصرين معاً[1].

هذا ولقد اختلفوا في أمر قتله على وجوه منها:

أ . قال بعض اليهود: إنه كان كاذباً فقتلناه قتلاً حقيقياً.

ب . وتردد آخرون فقالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا؟

وإن كان المقتول صاحبنا فأين عيسى؟

جـ . وقال آخرون: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا.

إلى غير ذلك من خلافاتهم التي لا تنتهي حول حقيقة عيسى وحول مسألة قتله وصلبه[2].

5. يستعين الشيخ بقواعد اللغة في بيان قوله: (ﭼ ﮈ ﮉ)، ما يعم اليهود والنصارى جميعاً، والضمير في قوله: (فيه)، يعود إلى عيسى (عليه السلام)، وقوله (منه) هو جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة الشك.

ثم يستعين الشيخ بما قاله الآلوسي في أصل الشك هنا: فأصل الشك أن يستعمل في تساوي الطرفين، وقد يستعمل في لازم معناه وهو التردد مطلقاً، وإن لم يترجح أحد طرفيه وهو

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 381/3 .

(2) المصدر نفسه 381/3 .

المراد هنا، ولذا أكده بنفي العلم الشامل لذلك أيضاً[1]، بقوله سبحانه: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک).

ثم يرجح الشيخ في نوع الاستثناء في قوله تعالى: (ک ک ک)... مشيراً على انه استثناء منقطع، أي: ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن، وقيل: هو استثناء متصل، وذلك لأن العلم والظن يجمعهما مطلق الإدراك.

ثم ينقل لنا قول الزمخشري: فإن قلت: قد وصفوه بالشك أن لا يترجح أحد الجائزين، ثم وصفوه بالظن، والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين؟ قلت: أريد منهم شاكون ما لهم من علم قط، ولكن إن لاحت لهم أمارة ظنوا، ثم يستأنف (طنطاوي) الكلام في هذا قائلاً: والظاهر ـ والله أعلم ـ أنهم كانوا أغلب أحوالهم الشك في أمره والتردد، فجاءت العبارة الأولى على ما يغلب على من حالهم، ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرتفعون إلى العلم فيه البتة، وكيف يعلم الشيء على خلاف ما هو به؟ فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن[2].

6. يستعمل الشيخ معاني اللغة مع قواعدها لبيان قوله تعالى: ﭽ گ گ گ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ، فهذا تأكيد لنجاة عيسى مما يزعمون من قتلهم له، وبيان لما أكرمه الله به من رعاية وتشريف، واليقين هنا: هو العلم الجازم الذي لا يحتمل الشك[3]، والضمير في قوله: (وما قتلوه لعيسى)، والمعنى في ذلك: أن اليهود قد زعموا أنهم قتلوا عيسى (عليه السلام)، وزعمهم هذا أبعد ما يكون عن الحق والصواب؛ لأن الحق المتيقن في هذه المسألة أنهم لم يقتلوه، فقد نجاه الله من مكرهم ورفع عيسى إليه، وكان الله عزيزاً، أي منيع الجناب، لا يلجأ إليه أحد إلا أعزه وحماه، حكيماً في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور[4].

---

[1] المصدر نفسه : 381/3، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 187/3 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 382/3، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 587/1 .
[3] المصدر نفسه : 383/3 .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 383/3 .

7. ثم ينقل الشيخ قول جمهور العلماء على أن الله (تعالى) رفع عيسى إليه بجسده وروحه لا بروحه فقط، قال بعض العلماء والجمهور على أن عيسى رفع حياً من غير موت ولا غفوة، بجسده وروحه إلى السماء، والخصوصية له (عليه السلام) هي في رفعهُ بجسده وبقائه فيها إلى الأمر المقدر له[1].

2. محاول قتل النبي محمد (ﷺ):

حاول اليهود محاولات كثيرة قتل نبي الإسلام محمد(ﷺ)، ولكنهم لم يفلحوا لأن الله تعالى نجّاه من شرورهم ومكرهم، والدليل على ذلك[2]:

أ . ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّه قال: لما فُتحت خيبر أهديت رسول الله (ﷺ)، شاة فيها سُمّ، فقال رسول الله (ﷺ):" اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود"، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله (ﷺ):" إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيَّ عنه"، فقالوا: نعم يا ابا القاسم، فقال:" هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً" فقالوا: نعم، فقال:" ما حملكم على ذلك؟" فقالوا: أردنا أن نعرف إن كنت كذَاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضّرك"[3].

وفي رواية: (إنّ امرأةً يهودية دعت النبي(ﷺ)، وأصحاباً له على شاة مصليةٍ[4]، فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله (ﷺ) لقمة فوضعها، ثمّ قال لهم:" أمسكوا إن هذه الشاة مسمومة" فقال لليهودية: ويلك لأي شيء، سممّتني؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فإنّه لا يُضروّك، وإن كان غير ذلك أن أريح الناس منك، وأكل منها بشر بنُ البراء فمات فقتلها رسول الله (ﷺ)[5].

---

[1] المصدر نفسه : 383/3، نقلاً عن تفسير صفوة البيان، حسنين مخلوف : 109 .
[2] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي : 613 .
[3] صحيح بخاري: 99/4، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم، رقم الحديث: 3169.
[4] مصلية: أي مشوية، ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 467/14 .
[5] المستدرك على الصحيحين، للحاكم : 242/3، برقم: 4967، صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ب . ما صرّح به لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، قالت عائشة (رضي الله عنها): كان النبي(ﷺ)، يقول في مرضه الذي مات فيه:" يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهري من ذلك السم"[1].

المطلب الثالث: جحد اليهود نبوة محمد(ﷺ) وموقف سيد طنطاوي من ذلك.

مما سبق ذكره أن اليهود قوم محرفون مدّعون في كل شيء، حتى كتابهم المقدس، الذي يدّعون أنه مقدس قد طاله التحريف، وتلاعبت به أقلامهم، وعلى الرغم من التحريف الذي طال توراتهم إلا إننا نجد بعض النصوص التوراتية تبشر بنبوة محمد(ﷺ)، وعلى الرغم من محاولتهم المستمرة لطمس هذه النصوص، إلا إنه تعالى أراد أن يظهر الحق، وينصر حبيبه محمد(ﷺ).

فقد بشرت به التوراة التي نزلت على نبي الله موسى (عليه السلام) بحوالي (1800) عام قبل نزول القرآن الكريم، فضلاً عن بشارته في الإنجيل أيضاً الذي نزل على عيسى (عليه السلام) بحوالي (570) عاماً قبل نزول القرآن الكريم، إلا أن اليهود بطبيعتهم التي جبلوا عليها، أنكروا ذلك، لا وبل أخفوه وهم يدركون أنه الحق[2].

أولاً: تأصيل المسألة:

جاء في سفر التثنية ما نصه:

أ . " قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرة فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك: كيف نعرف

---

[1] صحيح بخاري : 9/6، باب مرض النبي (ﷺ) ووفاته، رقم الحديث: 4428.
[2] ينظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأن يفترقان، حسن الباش : 191/2 - 192 .

الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟! فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"[1].

عند استقراء هذا النص التوراتي، يظهر لأي قارئ أدلة على أن المقصود من هذا هو النبي محمد(ﷺ)، إذ يذكر هذا النص التوراتي أوصافاً لهذا المبعوث المبشر به:

1. إنه نبي من عند الرب، والدليل على ذلك فقرة "أُقيم لهم نبياً".

2. أن هذا النبي من غير بني إسرائيل، بل هو من بين أخوتهم، وأخوة بني إسرائيل هم العرب.

3. من صفات هذا النبي انه أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، والدليل ما جاء في هذا النص:" واجعل كلامي في فمه"[2].

4. كان أميناً على الوحي الذي جاء به على الرغم من أُميتهُ، فهو يكلمهم بكل ما أوصاهُ الرب، والدليل:" فيكلمهم بكل ما أوصيه به".

5. هذا النبي لا يُقتل، بل يعصم الله دمه[3]، وجاء عن بشارة النبوة في كتابهم المقدس أيضاً أن موسى (عليه السلام) قبيل ساق خبراً مباركاً إلى قومه من بني إسرائيل:" هذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ثبير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعته، فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قومك، يتقبلون من أقوالك، بنا موسى أوصانا موسى ميراثاً بجماعة يعقوب"[4].

---

[1] سفر التثنية : 18/ 17 - 22 .
[2] ينظر: سفر التثنية : 17/18 - 22، وينظر: لوقا : 16/4 - 18 .
[3] ينظر: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى، بدر بن محمد طراد المعيقل: ص789 .
[4] سفر التثنية : 33/ 1 - 4 .

قال الحكيم السموؤال في هذا:" فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل (عليهما السلام)، سكن إسماعيل في برية فاران، ونطقت التوراة بذلك في قوله:" وبشب بمديار فاران ونقاج لو أمو شامئا بزمن مصرايم"، وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر"[1] [2].

وبهذا تكون هاجر مع ولدها إسماعيل (عليه السلام) قد تجولاّ في متاهات بئر السبع، حتى سكنوا بعد ذلك في قفار فاران، فقد ثبت في التوراة أن جبل فاران كان مسكن لآل إسماعيل، وقد علم الناس بأجمعهم إن المشار إليه بتلك النبوة سيكون من ولد إسماعيل (عليه السلام)، وهو النبي محمد(ﷺ)، فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة[3]. هذا وقد قيل عن صفة نبوته في الكتب المنزلة سابقاً ما يلي:" قيل من علامات نبوة سيدنا محمد(ﷺ) في الكتب المنزلة، أنه إذا سئل عن الروح فوّض العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها، وأمسك عما خاض فيه الفلاسفة وأهل المنطق القائلون بالحدس والتخمين، فامتحنه اليهود بالسؤال عنها ليقفوا منه على نعته المثبت عندهم في كتابهم، فوافق كتابه ما ثبت في كتبهم"[4].

فرد عنهم الله (سبحانه وتعالى) أمراً نبيه الكريم محمد(ﷺ) أن يجيب على سؤالهم هذا بقوله تعالى: چ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ىچ[5].

فقوله تعالى متضمن ردع كل من يسأل في مسائل، قاصداً من وراء ذلك التعجيز والتعنت، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية التي لا

(1) سفر التكوين : 21/ 20 - 21 .
(2) بذل المجهود في إفحام اليهود، السموؤال : 68 - 69، وينظر: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى، بدر بن محمد طراد المعيقل : 791 - 792 .
(3) ينظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش : 194/2، وينظر: بذل المجهود في إفحام اليهود، حكيم سموؤال : 68 - 69 .
(4) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ت لبنان، ط1 (1414هـ - 1993م) : 386/3 .
(5) سورة الإسراء : الآية (85) .

يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد، فليس في سؤالهم هذا فائدة كبيرة مع عدم علمهم بغيرها[1]. هذا ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد أن بشائر نبوة النبي المختار محمد(ﷺ) كانت عند اليهود بالخبر اليقين، ومنذ أمد بعيد، وفي هذا إدانة لهم، "فقد تقدمت البشائر بنبوة خاتم النبيين (ﷺ) مما هو حجة على أمم من سلف من الأنبياء، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله على غيبه، ليكون عوناً للرسول(ﷺ) وحثاً على القبول، وبنو إسرائيل جاءهم الخبر اليقين برسالة محمد(ﷺ) منذ أمد بعيد، وتوجد الدلائل والبشارات الكثيرة إلى الآن، وهي في غاية القوة مع وقوع التحريفات في كتبهم، ومن ثم فقد كان المتوقع أن يؤمنوا بالله وخاتم رسله، ولا يفرقوا بين أحد من رسل الله، وأن يدركوا عظمة الرسالة والرسول(ﷺ) في دعوتهم إلى الإيمان، من حيث الأسلوب والموضوع والإشادة والمودة، والترغيب والموادعة، ولكن اليهود رغم إسلام بعضهم ممن عرفوا الحق فاهتدوا به ـ هم اليهود في كل زمان ومكان وجبل وقبيل، يعبدون أنفسهم ويتعبدون بعصبيتهم، بل إنهم ليعبدون هواهم، فلقد كفروا من قبل بما جاءهم به أنبياؤهم، وقتلوا من قتلوا من هؤلاء الأنبياء، وقالوا في حق الله ما قالوا، حيث كانت لهم مطامح عنصرية شيطانية، ومن ثم حاربوا الرسالة والرسول(ﷺ) بشتى أنواع الحروب، ولم تضع الحرب أوزارها حتى اليوم، لأنهم صمتوا أولاً صمت المستريب، ثم بدا لهم فقرروا المعالنة بالجحود والكنود، والعداء السافر الذي يعجز الخيال الشاخص عن تصوره بحال، ومن ثم كانت الحجة إلى معرفة موقفهم من الرسالة والرسول(ﷺ)، وجاء أن يكون في ذلك ذكرى تبعث دوافع الأمل والعمل نحو الإعداد لمواجهة هذا الباطل بما يجب أن يكون"[2].

نصوص من التوراة تثبت نبوة محمد (ﷺ):

هذا ومن الإشارات التي جاءت بالتوراة على نبوة المصطفى(ﷺ) الختم والسلطة، فقد جاء في سفر أشعيا: "إن غلاماً ولد لنا وابناً أعطيناه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه،

---

[1] ينظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي : 466/1 .
[2] الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً لوجه، سعد المرصفي : 5/3 .

ويدعى اسمه ملكاً، عظيم المشية كسيراً (عجيباً، إلهاً)، قوياً مسلطاً رئيس السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء"[1]، هذا النص التوراتي يتبين أن المراد بهذه البشارات النبي محمد(ﷺ)، وذلك من جهتين:

أ . جهة خاتم النبوة الذي كان على بعض كتفيه، وهو علامة من علامات النبوة الذي أُخبرت به الأنبياء، وعلامة ختمهم.

ب . ومن جهة أخرى أنه بُعث بالسيف الذي يتقلّد به على عاتقه، ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه، ويدل على ذلك قوله:" سلّط رئيس قوي السلامة"، وهذه صفة محمد(ﷺ) المؤيد المنصور المسلّط رئيس السلامة، فإن دينه الإسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة[2].

جـ . ومع كل الذي ورد من علامات النبوة وبشاراتها في كتبهم المقدسة، إلا إنهم جحدوا تلك النبوة، بل كفروا بها وذلك لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﭼ[3].

ثانياً: ردود الشيخ الطنطاوي على المسألة.

يعلق الشيخ طنطاوي (رحمه الله) على هذه الآية الكريمة قائلاً: وصف الله تعالى رسوله محمد(ﷺ) بأوصاف كريمة تدعو العاقل المنصف إلى اتباعه والإيمان به ومن هذه الأوصاف[4]:

1. أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً.

2. أنه نبي أوحي الله إليه بشريعة عامة كاملة باقية إلى يوم الدين.

---

(1) سفر أشعيا : 6/9 - 7 .
(2) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية : 406/3 - 407 .
(3) سورة الأعراف : من الآية (157) .
(4) تفسير الوسيط، طنطاوي : 390/5 - 391 .

3. أنه أميّ ما قرأ ولا كتب ولا جلس إلى معلم ولا أخذ علمه من أحد ولكن الله تعالى أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل (عليه السلام)، وأفاض عليه من لدنه علوماً نافعة ومبادىء توضح ما أنزله عليه من القرآن الكريم، فسبق بذلك الفلاسفة والمشرعين والمؤرخين وأرباب العلوم الكونية والطبيعية، فأميته مع هذه العلوم التي يصلح عليها أمر الدنيا والآخرة، وأوضح دليل على أن ما يقوله إنما هو بوحي من الله إليه، وفي هذا قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ[1].

4. إن من صفات هذا النبي الأميّ أن أهل الكتاب يجدون اسمه ونعته مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ووجود اسمه ونعته في كتبهم من أكبر الدواعي إلى الإيمان به وتصديقه وإتباعه، ولقد كانوا يبشرون ببعثة النبي(ﷺ) قبل زمانه ويقرؤون في كتبهم ما يدل على ذلك، فلما بعث الله تعالى نبيه بالهدى ودين الحق آمن منهم الذين فتحوا قلوبهم للحق، وخافوا مقام ربهم ونهوا أنفسهم عن الهوى، وأما الذين استنكفوا واستكبروا وحسدوا محمداً(ﷺ)، على ما آتاه الله من فضله، فقد أخذوا يحذفون من كتبهم ما جاء عن النبي(ﷺ) فيها، أو يؤولونه تأويلاً فاسداً أو يكتمونه عن عامتهم. هذا ورغم حرصهم على حذف ما جاء عن الرسول في كتبهم أو تأويلهم السقيم له، أو كتمانه عن الأميين منهم، إلا إن الله تعالى أبى إلا أن يتم نوره، إذ بقي في التوراة والإنجيل ما بُشر بالنبي(ﷺ)، وصرح بنعوته وصفاته، بل وباسمه صريحاً[2].

5. هذا وقد ينقل لنا الشيخ طنطاوي (رحمه الله) قول المرحوم الشيخ (رحمة الله الهندي) في كتابه إظهار الحق:" إن الأخبار الواقعة في حق محمد(ﷺ) توجد كثيرة إلى الآن ـ أيضاً ـ مع وقوع التحريفات في هذه الكتب، ومن عرف أولاً طريق أخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر، ثم نظر ثانياً بنظر الإنصاف إلى هذه الأخبارات وقابلها بالأخبارات التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى (عليه السلام) جزم بأن الأخبارات المحمدية في غاية القوة"[3].

---

[1] سورة الشورى : من الآية (52) .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 391/5 .
[3] المصدر نفسه : 392/5، نقلاً عن كتاب إظهار الحق، رحمه الله الهندي .

هذا، وقد جمع صاحب كتاب (إظهار الحق) وغيره من العلماء والمؤرخين كثيراً من البشائر التي وردت في التوراة والإنجيل خاصة بالنبي(ﷺ) ومبينة نعوته وصفاته، ومن أجمع ما جاء في التوراة خاصاً بالنبي محمد(ﷺ)[1] ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، قال: (قرأت في التوراة صفة النبي(ﷺ) " محمد رسول الله عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله)[2].

وبهذا العرض اليسير لبشارات نبوته (عليه الصلاة والسلام) في الكتب السابقة، ترى الباحثة إن نبوة محمد(ﷺ) غنية أن تُذكر في الكتب السابقة، فقد ذُكرت نبوته بالشكل الصريح والواضح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من قبله ولا من بعده، وما ذكرنا لهذه النصوص التوراتية إلا لتكون عليهم حجة فيما كتبت أيديهم، وما أرادوا أن يطمسوه أو يخفوه إلا إنه تعالى أبى إلا أن يظهر الحق وينصر من اصطفاه وجعله خاتم للنبيين وجعل شرعيته ناسخة لتلك الشرائع التي سبقته، وبهذا يلاحظ أن عقيدة النبوات عند اليهود هي أكبر دليل على تحريف التوراة وبطلانها، وللأسف أن اليهود حرفوها، ليس بهدف رفع مكانة أنبيائهم وعقيدتهم، بل ليطعنوا بأنبياء الله ومختاريه، وأن يشوهوا العقيدة كمقدمة للإلحاد وإنكار الإلهيات والنبوات، وتبني الفكر المادي الذي أعلنوا عنه في البروتوكولات[3].

---

(1) تفسير الوسيط : 393/5 .
(2) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهة الصخب في الأسواق : 66/3، رقم الحديث: 2125 .
(3) ينظر: العقيدة اليهودية، سعد الدين السيد صالح : 278 .

الفصل الثالث

مفهوم اليوم الآخر عند اليهود وموقف سيد طنطاوي منه

مدخل:

يُعد الإيمان باليوم الآخر من أهم الموضوعات التي تدور حولها الأديان السماوية الصحيحة، فلا يمكن لأي دين صحيح أن يخلو من هذه العقيدة وإلا كان ديناً محرفاً متناقضاً، وذلك لأن الإيمان بالله (تعالى) مع إنكار الحساب والثواب والعقاب هو بحد ذاته، طعن في ذات الله العليا وعدالته، وذلك لأن الحياة الدنيا ليست دار جزاء، وإنما هي دار اختبار وابتلاء، ثم ينتقل الإنسان بعدها إلى دار الآخرة ليأخذ كل ذي حقٍ حقه[1].

والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بيوم القيامة وأهواله، والصراط والميزان، والبعث والحساب، والنشور، فضلاً عن الإيمان بالجنة أو النار، وذلك بحسب ما قدّم الإنسان في دنياه من عمل صالح أو طالح، وسمي اليوم بهذا الاسم؛ لأنه لا يوم بعده، وهو ذلك اليوم الذي يُبعث فيه الخلق للحساب ثم الجزاء، حيث يستقر أهل الحسنى في منازلهم في الجنة، ويساق أهل الضلال إلى منازلهم في النار[2]، ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد إن الدين الذي جاء به موسى (عليه السلام) والتوراة المنزلة عليه، اشتملت على الإيمان باليوم الآخر وبكل صوره، على خلاف ما نجده في التوراة الحالية؛ لأن المتتبع لأسفار التوراة المحرفة يجدها قد خلت تماماً من ذكر عقيدة اليوم الآخر، ولهذا لم تكن تلك العقيدة الواضحة البيّنة، بل هي فكرة مضطربة نراها في التوراة لا تعدو عن إشارات وبعض الشذرات البسيطة في سفر دانيال،

---

[1] ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين صالح : 281 .

[2] ينظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السلمان، دار الوطن ـ دار الثريا، الطبعة الأخيرة، 1413هـ : 127/5 .

ولكن ما عليه إجماع اليهود هو أنه ليس هناك بعث بعد الموت، وأن الحساب والعقاب هو في الدنيا وحسب[1].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الغزالي:" لقد تكرر ذكر البعث والجزاء في كتاب الله، بحيث لا تكاد تخلو منه سورة، وعلى عكس ذلك التذكير المتصل في القرآن نجد أسفار موسى الخمسة التي تتصدر العهد القديم وتسمى التوراة: خالية من أي تعرض لليوم الآخر كأن مؤلف كتاب رأس المال كارل ماركس الشيوعي المادي هو الذي وضع هذه التوراة"[2].

ولابد من الإشارة إن الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور وهي: الإيمان بالبعث، والإيمان بالحساب والجزاء، فضلاً عن الإيمان بالجنة والنار بكل ما يكون بعد الموت[3].

---

[1] ينظر: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يُسر محمد سعيد، دار الثقافة ـ قطر، ط1 (1412هـ ـ 1992م) : 61، وينظر: العقيدة اليهودية، سعد الدين السيد صالح: 281 .
[2] المحاور الخمسة، محمد الغزالي : 15 .
[3] مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، محمد صالح العثيمين : 127/5 .

المبحث الأول

مفهوم اليوم الآخر من خلال كتب اليهود

يرى الباحثون أن هنالك اضطراباً وغموضاً واضحاً في عقيدة اليوم الآخر عند اليهود، فهي أقرب إلى الإنكار منها إلى الإقرار والإيمان، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة بين التوراة والتلمود، فقد خلت أسفار العهد القديم من ذكر اليوم الآخر والجنة والنار، بينما ذكر التلمود في بعض فقراته الجنة والنار[1]، وما ذكره التلمود عن الجنة والنار ذكره بصورة مضطربة وهي أقرب إلى الخرافة والأساطير منها إلى الحقائق، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة، كما يتناولون لهم طير كبير لذيذ الطعم ولحم إوز سمين، وأشرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين[2]، وبسبب هذا الاختلاف والاضطراب في النصوص الدالة على الإيمان باليوم الآخر، اختلفت الآراء حول ذلك المعتقد، فقد ذهبت بعض الفرق اليهودية غير شهيرة إلى ما قررهُ التلمود عن ذلك اليوم، حيث كانت تفسر تلك النصوص الواردة بمدلولها الحقيقي لا بمدلولها المجازي، وتذهب فرق أخرى على إنكار ذلك اليوم إنكاراً شديداً[3].

---

[1] ينظر: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي : 158 .

[2] ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للأديان، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر ـ الفجالة ـ مصر (1384هـ ـ 1964م) : 158 .

[3] ينظر: المصدر نفسه : 159 .

المطلب الأول: مفهوم اليوم الآخر في العهد القديم.

الناظر في التوراة المحرفة لا يجد فيها أي ذكر عن عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند اليهود، وإنما كل الذي جاء فيها يتركز وبشكل أساس على الحياة الدنيا، مع اعتقادهم الباطل إن الدنيا هي دار الثواب والعقاب على ما يرتكبه الإنسان من خير أو شر[1].

فاليهود يجعلون على الأغلب المال والثروة ضالتهم التي ينشدون إليها ليلاً ونهاراً، ولهذا السبب نجد التوراة قد زهدت في ذكر الحياة الأخروية، بل وأهملت وأبطلت كل ما جاء عن يوم القيامة، وبالرغم إن ذلك حقيقة دينية معترف بها في جميع الأديان السماوية الصحيحة، متخذين من المال والثروة أساساً لها في الترغيب والترهيب، فالطاعة مجلبة للخير كله من حنطة وخمر وزيت...إلخ، والضلال مجلبة للفقر فهو عامل أساسي على التقليل على حد زعمهم[2]، ويرجع البعض في عدم ذكر الحياة الأخرى في التوراة المحرفة إلى اليهود أنفسهم، فهم أمة تهتم بالأعمال، ولا يعنون كثيراً بالإيمان، فاليهودية في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد، لأن حياتهم تقوم على المادة وحب التملك، واصفاً لهم الله تعالى في كتابه العزيز: چﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇچ[3] [4].

يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآية قائلاً: يتمنى هؤلاء اليهود أن يعيش الواحد منهم السنين الكثيرة حتى ولو تجاوزت الحدود المعقولة لعمر الإنسان، فهم بهذا أحرص الخلق على الحياة الدنيا[5].

---

(1) ينظر: العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد محمد عيسى : 386 .

(2) ينظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي : 855/3، وينظر: سفر التثنية : 28/ 1- 17، وسفر اللاويين : 3/26 - 12 .

(3) سورة البقرة : الآية (96) .

(4) ينظر: مقارنة الأديان، أحمد شلبي، مكتبة النهضة ـ القاهرة، ط11 : 205.

(5) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 211/1 .

وبناءً على ذلك فالفكر اليهودي يقرر لليهود أن الجزاء يكون حسب الأعمال، حسب الاعتقاد، فهم يعتقدون أن الإنسان يُجزى في هذه الدنيا عما فعل، فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان، فوجب عليهم ألا يتكلموا عن الآخرة والبعث، فتلك أمور تتعلق بالعقيدة التي لا يؤمنون بها[1]، ولم تبدأ الإشارة إلى اليوم الآخر في مصادر اليهود إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون، وذلك بعد الأسر البابلي وحلول الكوارث لبني إسرائيل، فبدأوا يتذكرون الحياة الآخرة؛ لأن الحياة الدنيا لم تعد تسير على هواهم، فظهر في سفر أشعياء ودانيال، حديثاً عن اليوم الآخر، فقد جاء في سفر إشعياء:" لأن الرب بالنار يُعاقب وبسيفه على كل بشرٍ، ويكثر قتلى الرب"[2].

وكذلك ما جاء في سفر دانيال:" وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي"[3]، والناظر لهاتين النصين في العهد القديم، يجد وبشكل واضح إشارة إلى النار في النص الأول، أما النص الثاني فيشير إلى استيقاظ الكثير وليس الجميع، ولكن إلى أين، إلى الحياة وليس البعث في اليوم الآخر، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعهم بل أكثرهم، وإذا كان بعثهم لا يشمل الجميع فأي بعث هذا[4].

هذا ولابد من الإشارة إلى النصوص التي ذكرت ذلك اليوم في سفر إشعياء إنما قصدت يوم من أيام الدنيا، وليس ذلك اليوم الآخر الذي آمنت به جميع الديانات السماوية الصحيحة، والدليل على ذلك ما كان نصه:" والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيّروا الفريضة نكثوا العهد الأبدي، لذلك لعنةٌ أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق

---

(1) ينظر: مقارنة الأديان، أحمد شلبي : 205، وينظر: العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها، خالد رحال صلاح، دار العلوم العربية ـ بيروت، ط1 (1427هـ ـ 2007م) : 265 .
(2) سفر إشعياء : 16/66.
(3) سفر دانيال : 2/12 .
(4) ينظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار ـ مكة المكرمة، ط1 (1410هـ ـ 1981م) : 301/4.

سكان الأرض وبقي أُناس قلائل"[1]، فالنص الذي أمامكم يشير إلى لعنة أو هلاك قد أصاب الأرض، ولكن لم يعاقب فيها جميع ساكنيها، بل عُوقب أكثرهم، وبقي منهم القلائل، فأي بعث هذا وأي يوم هذا، يقتصر على أغلب سكان الأرض؟!.

هذا ويشير سفر إشعياء إلى هذا اليوم وكأنه يوم نصر لهم على أعدائهم، ودليل على ذلك ما جاء نصه:" ويقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا، انتظرناه فخلّصنا، هذا هو يوم الربّ انتظرناه نبتهج ونفرح بخلاصه"[2]، ولعل السبب في ذكر اليوم الآخر بعد أسفار موسى، يرجع إلى احتلال الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود، ثم وقع الأسر البابلي، فسمح ملك الفرس لليهود إلى العودة إلى فلسطين وبناء معبدهم، وكانت لتلك العلاقة الطيبة التي جمعت كل من الفرس واليهود، داعية لأن يتأثر اليهود بالديانة الفارسية، التي تعتقد بحياة أخرى بعد الموت، وإن هنالك جنة وناراً، فنقلوا ذلك الاعتقاد في دينهم متأثرين به وبشكل واضح، وذلك من خلال نصوصهم التي أشارت إلى ذلك اليوم[3].

ولابد من الإشارة إلى عدم ذكر اليوم الآخر في التوراة، فقد أبرز العالم اليهودي (ابن كمونة)، وذلك الإغفال بقوله:" إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحاً بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع، لو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك والعدول عنه إلى الدنيويين اللذين قد أكثر ذكرهما في التوراة، فإنّ الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها ولو سلّمنا الاعتداد بها فالتجربة اقتضت أن النعيم في الدنيا غير مختص بالصالحين، وأن الشقاء منها لا يختص بالعصاة الصالحين، بل من صالح مطيع شقي، وكم من فاسق وكافر سعيد والله يتعالى عن الخلق وفي وعده ووعيده وأن يخبر بوقوع مالا يقع أو يقع الأمر بخلافه"[4].

---

[1] سفر إشعياء : 24/ 5 - 6 .

[2] سفر إشعياء : 25/ 9.

[3] ينظر: مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي : 206 .

[4] تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام، سعد بن كمونة اليهودي، دار الأنصار للطباعة والنشر، 1967م : 40.

ولابد من القول هنا، إن الوعود الواردة في التوراة والكتب الملحقة بها، كانت مقابل الأعمال الصالحة والإيمان بالله، تدور حول المتعة الدنيوية، من انتصار على الأعداء وكثرة الأولاد، ونماء الزرع، إلى عير ذلك، فضلاً عن الوعيد الوارد فيها على المعاصي والكفر، كله يدور حول انتصار الأعداء عليهم، وسبي ذراريهم وموت زرعهم وماشيتهم إلى غير ذلك من العقوبات الدنيوية، وهذا إن دل، فهو يدل وبشكل قاطع على عدم إيمانهم باليوم الآخر حسب التوراة والكتب الملحقة بها[1].

وبهذا العرض لمفهوم اليوم الآخر عند اليهود، لا يسعني إلا القول كما قال الباحثون قبلي، من عدم إيمان اليهود باليوم الآخر كما وصف في الأديان السماوية الصحيحة، فهم عندهم يوم كسائر الأيام، معتقدين إن الجزاء من ثواب وعقاب إنما يكون في الحياة الدنيا، فأن خيارهم من كان جزاءهُ بالغنى والثراء والصحة، فضلاً عن طول العمر، أما أشررهم، فأن جراءهم الفقر والمرض وقلة الصحة...إلخ، من الخرافات والأساطير التي تغلغلت إلى نفوسهم فكانوا بها أمة مادية لا تؤمن بالغيب، بل تؤمن بكل شيء مرئي، وبكل شيء ملموس، وهذا ما يفسر تكالبهم على الحياة الدنيا، وحرصهم عليها، وشغلهم الشاغل في تسقيط وتدمير أي أمة يشعرون بخطرها عليهم، ولاسيما الأمة الإسلامية التي طالما توجسوا منها، وحاولوا بكل ما يستطيعون إسقاطها والقضاء عليها، فهم كما تبين لكل قارئ أُناس دنيويون لا يؤمنون باليوم الأخير قط.

---

[1] ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز خلف، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ط1، 1414هـ : 85 .

المطلب الثاني: مفهوم اليوم الآخر في التلمود[1].

يتحدث التلمود عن اليوم الآخر والجنة ونار حديثاً مبهماً مضطرب لا يستطيع القارئ لهذا المصدر، أن يقف على حقيقة كل من الجنة والنار، ولا يستطيع أن يقف على مشاهدهما، فهو يتحدث عنهما حديث يشوبه الكثير من الخرافة والأساطير، والتلمود عبارة عن التعاليم الشفوية التي نُقلت عن موسى (عليه السلام)، ويُعتبر مصدر من مصادر اليهود إلا إنه غير معتمد عند بعض الفرق[2]. وفي هذا المعنى قال الدكتور علي عبد الواحد وافي[3]:" وقد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار، ولكن في صورة مضطربة، أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يُطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة، كما يتناولون لحم طير كبير، لذيذ الطعم ولحم إوز، أما شرابهم فقد وصفه التلمود لهم، على إنه من النبيذ المعتق، الذي أَعّدهُ الله لهم، فعصره في اليوم الثاني من أيام خلق العالم؟! فضلاً عن إن النار عُدت لغير اليهود وهم كل من المسلمين والمسيحيين على حد سواء[4]، ويصرح في التلمود أيضاً ذكر النعيم والجحيم، فقد ورد فيه:" أن الجنة مأوى الأرواح الزكية، لا يدخلها إلا اليهود، والجحيم مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء، لما فيه من الظلام والعفونة والطين، وأن الجحيم أوسع من النعيم ستين مرة"[5]، ثم ينقل لنا التلمود تصور يهودي آخر عن

---

[1] التلمود : هو عبارة عن التعاليم الشفوية اليهودية التي ظهرت في بابل، في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكلمة تلمود تعني التعليم والتعّلم والدرس، كما تعني أيضاً تعليم التوراة، فهي المجال التطبيقي للتوراة، والتلمود عادةً يتكون من نسختين، نسخة بابلية، دونت في بابل، وثانية دونت في فلسطين. ينظر: مصر والشرق الأدنى القديم، نجيب ميخائيل إبراهيم : 181/3، وينظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة الجوانب الاعتقادية في اليهودية والمسيحية، صابر طعيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1985م : 41 - 45 .

[2] الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله : 44/1 .

[3] علي عبد الواحد وافي: ولد في السودان، وتعّلم في الأزهر، وتخرج من دار العلوم في مصر عام 1925، حصل على البكالوريوس سنة 1928، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الاجتماع من باريس وكان ذلك في سنة 1931، فضلاً عن انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ينظر: الموسوعة العربية، المجلد الثاني والعشرين، الحضارة العربية، وافي (علي عبد الواحد) : 109.

[4] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد : 30.

[5] الكنز المرصود في قواعد التلمود : 44/1 .

البعث، وهو تصور منحرف مبهم في كل تفاصيله، فقد ورد فيه: "أما اليهود الذين يمرقون من دينهم أو يقتلون أحد أبناء ملتهم فإنّ نفوسهم بعد الموت تسير تواً إلى الحيوانات والنباتات وتقطن بها، ثم بعد حياة شقية يرسلون إلى الجحيم، ليحتملوا ألوان العذاب إثني عشر شهراً، وغب انتهاء المدة يبعثون أحياء وينقلون متجسدين في الجماد والحيوان وعبدة الأوثان، وعندما يطهرون يعودون إلى اليهودية، وهذا الانتقال الروحاني والجسماني هو رحمة من الرب الذي يريد أن يشرك جميع أبناء إسرائيل بسعادته الخالدة"[1]، إن القارىء لهذا يجد وبكل وضوح إشارة تلمودهم إلى عقيدة التناسخ والتقمص، والتي تؤمن بها بعض الديانات كالفارسية والهندية، فالمعتقدون بالتناسخ يؤمنون بأن الإنسان يعود بعد أن يموت إلى الحياة الدنيا ثانيةً، وذلك عن طريق دخول روحه في جسم آخر أو نطفة أخرى، وقد تتكرر هذه العودة مرات عديدة، إلا إن هذه العقيدة مرفوضة عقلاً فضلاً عن رفضها قرآنياً[2]، فقد ورد في القرآن الكريم ما يُبطل تلك العقيدة المشوهة وذلك بقوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ ﴾[3]، يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآية الكريمة قائلاً: إن كل نفس مرهونة عند الله (تعالى) وذلك بكسبها، مأخوذة بعملها، فأن كان عملها صالحاً أنجاها ربها من العذاب، وإن كان سيئاً أهلكها، وجعلها محلاً للعقاب[4]، فما نجده من هذه الآية دحضاً لعقيدة التناسخ التي يعتقدون بها، ولابد من الإشارة بمكان، إن هنالك بعض الفرق اليهودية أثبتت البعث لكن بطريقة أخرى، ففرقة الفريسين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم في ديانة موسى، أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، أما فرقة الصادوقين من اليهود ينكرون قيام الأموات ويعتقدون أن عذاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين الفريقين فإنهما متفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره

---

(1) همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي، لبنان ـ بيروت، ط2 (1403هـ ـ 1983م) : 55 - 56 .
(2) ينظر: الأمثل، الشيرازي : 150/1 .
(3) سورة المدثر : الآية (38) .
(4) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 189/15 .

الإسلام[1]، وبهذا يكون اعتقاد اليهود في ظهور المسيح المنتظر الذي سيأتي ويخلصهم من الأسر والتشرد والاستضعاف ويقيم لهم دولتهم ويُعيد لهم ملك داود وسليمان ويعيد بناء الهيكل، فالحياة الأخرى هي الحياة التي ستعقب ظهور المسيح المنتظر من استقرار وهدوء وانتصار لهم على الأمم الأخرى بعد حياة الشقاء والتعاسة[2]، أما حديثاً فأن اليهود لا يؤمنون بالبعث والدليل على ذلك ما جاء على لسان الحاخامات من اليهود قائلين:" لقد تعرض إيمان الشعب للضياع تحت تأثير المغريات القوية، والتماس مع العالم المحيط الجاهل، كل الفكر الذي جاء به الأنبياء ونهجهم وتطلعاتهم تركّزت حول الأمة وتحررها وتعاتقها وتزاوج السلوك الدنيوي بالمفاهيم الدينية وطرق المعجزة، فطريق الأمة الطبيعي يجب أن يعقب الآلهة عن طريق المعجزات الخارقة للطبيعة، وإذا كان المسيح برد الأحداث إلى (أيام الآخرة)، فإن الحرية والمستقبل بالنسبة لنا مرتبطة بالعوالم الماضية، فيدخل إليها أبناء آدم بعد موتهم أو بعد الأيام التي تعقب يوم الحساب الكبير، وفكرة الآخرة هذه اختلقها الأنبياء بإرادتهم لتصوير اليوم الكبير المرعب، حيث يقفون للحساب، وتقف الأمة اليهودية خلفهم كما تقول الفكرة الدينية"[3].

هذا، ولابد من الإشارة إلى قرارات المؤتمر اليهودي الذي عُقد في بيتسبورج سنة 1850م، الذي قرر فيه إنكار نظرية بعث الجسد، مع الاحتفاظ بأزلية الأرواح، وهم بهذا أنكروا البعث بالأجساد، وبالعذاب بعد الموت[4]، فبهذا الكلام يكون البعث عند اليهود يدور حول مجيء المسيح المنتظر المخلص لهم، ومسيحهم المنتظر والمخلص لهم هو المسيح الدّجال الذي حذر منه الرسول محمد(ﷺ) في كثير من الأحاديث الصحيحة منها ما رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه)، مرفوعاً "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم

---

[1] اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يُسر محمد سعيد : 56 .
[2] مقارنة الأديان، عوض حجازي : 119 .
[3] الحركة الصهيونية، إسحاق جونيفيم، ترجمة : جودت السعد، دار الجاحظ ـ إربد، الأردن، ط1 (1404هـ - 1983م) : 14 - 15 .
[4] الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل راجي الفاروقي : 61 .

الطيالسة"[1] [2]، أما مخططات اليهود وأعمالهم وشغلهم الشاغل في الحاضر، فأنها تُفيد أن الثواب الوحيد الذي ينتظره اليهود هو قيام مملكتهم الأرضية والسيطرة على العالم بأسره[3].

وبهذا العرض اليسير لمفهوم اليوم الآخر عند اليهود، ترى الباحثة ومن خلال النصوص التي تم عرضها إن اليوم الآخر عند اليهود له مفهوم آخر، يختلف كثيراً عن اليوم الذي أُشير إليه في الأديان السماوي الصحيحة، والسبب يرجع في ذلك وبالتأكيد إلى التحريف الذي طال التوراة، فاضطراب النصوص التي ذكرت اليوم الآخر، كانت لها تأثير على اضطراب مفهوم ذلك اليوم في الفكر اليهودي، فقد تعرضت هذه العقيدة إلى التذبذب طبقاً لظروفهم الخاصة، ففي عصور الأمان والرخاء ينكرون الحياة الآخرة ويقولون: إن الجنة هي هذا النعيم المادي، وهذا الرخاء الذي نعيشه، وفي عصور التشرد والفتك وتبدد دولتهم يثبتون البعث والحساب، بعد أن تمتلئ قلوبهم بالحقد على الحياة الدنيا والضيق بها والسخط مما يحدث لهم فيها، هنا يلقون بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ويدفعون بآمالهم إلى حياة أخرى يُلقون فيها مالم يلقوه في الحياة الدنيا[4]، وهكذا انحرف اليهود عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها نبي الله موسى (عليه السلام)، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

---

[1] الطيالسة: هو نوع من الثياب الأعجمية كان يلبسها اليهود ولعلها من الأوسمة توضع على الكتف وهي بدون خياطة. ينظر: فتح الباري، لابن حجر : 475/7.

[2] صحيح مسلم : 2266/4، باب (في بقية أحاديث الدجال)، رقم الحديث: 2944 .

[3] الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، دار الوفاء ـ المنصورة، ط1، 1407هـ : 265 .

[4] العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح : 283 .

المبحث الثاني

مزاعم اليهود في اليوم الآخر من خلال القرآن الكريم، وموقف سيد طنطاوي منه

مدخل:

يحكي لنا القرآن الكريم الكثير من مزاعم اليهود الباطلة التي لا سند لها، من عقل سليم ولا نقل صحيح، ومنها مزاعمهم التي تدور حول اليوم الآخر، فقد زعموا وادّعوا إن الجنة مقصورة عليهم ولا يدخلها إلا من كان يهودياً، وهذا إن دل فهو يدل على سفاهة عقولهم وخبث نفوسهم وحبهم لأنفسهم بالباطل وإيثارها على الغير زعماً وافتراءً، ثم يزعمون زعماً آخر في الهدى، مدّعين إن الهدى مقصور فقط بإتباع ملتهم؛ لأن من بات على ملتهم أصبح مغفور له، وهذا على حد قولهم، مدّعين إن النار لن تمسهم والسبب يرجع في ذلك لأنهم شعب الله المختار وسلالتهم هي أفضل وأزكى السلالات، بل إن الله (تعالى) فضلهم على خلقه بالنبوة، فالنبوة لا تكن إلا فيهم والاختيار لا يكون إلا منهم، وادعوا وادعوا كثيراً، وهذا ما سجله عليهم القرآن الكريم ودحضه بما يخرس تلك الألسنة الوقحة، بالحجة الدامغة.

المطلب الأول: زعم اليهود قصور الجنة عليهم.

أولاً: تأصيل المسألة.

من المزاعم التي حكاها القرآن الكريم عن أهل الكتاب زعمهم قصور الجنة عليهم، فهي وقف لهم عن سائر خلق الله، فاليهودي يدّعي أن الجنة لن يدخلها إلا من كان يهودياً، والنصراني يدّعي أن الجنة لن يدخلها إلا من كان نصرانياً، وهذا نوع من أنواع كبرهم وغرورهم وأمانيهم الباطلة، التي يُبطلها القرآن الكريم دائماً[1]، ورد عليهم بما يدحض مدّعاهم، من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: چ ﭽ □ ى □ ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة، وكانت من عدة جوانب.

1. استعمل قواعد اللغة العربية:

أ . في بيان قوله تعالى: (ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، فالضمير في (قالوا) يعود على أهل الكتاب من الفريقين، والهود: جمع هائد، أي: متبع اليهودية، وقدمهم القرآن الكريم على النصارى لتقدمهم في الزمان، والمعنى في ذلك: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخلها إلا من كان نصرانياً، إلا أن الآية الكريمة سلكت في طريق الإخبار عما زعموه مسلك الإيجاز، فحكت القولين في جملة واحدة، وعطفت أحد الفريقين على الآخر بحرف (أو)، وذلك:

أ . ثقة بفهم السامع.

ب . وأمناً من اللبس.

---

[1] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 568 .

[2] سورة البقرة : الآيتان (111 - 112) .

لما عرف من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منها لصاحبه، ونظير هذه الآية قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ڀ ڀ پچ[1]، أي: قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا[2].

ب . يستعين بقواعد اللغة أيضاً في بيان قوله تعالى: (□ □)، فهي جملة معترضة قصد بها بيان أن ما يدعونه من أن الجنة خاصة بهم، ما هو إلا أماني منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا برهان سولتها لهم أنفسهم التي استحوذ عليها الشيطان فخدعها بالأباطيل والأكاذيب، أما اسم الإشارة (تلك) فهو مشار به إلى ما تضمنه قوله تعالى: (ﭛ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، وهو يتضمن أماني كثيرة منها:

1. أن اليهود أُمنيتهم أنه لن يدخل الجنة غيرهم،

أ . النصارى أمنيتهم كذلك أنهم هم وحدهم أصحاب الجنة.

والنتيجة إن كلا الفريقين يعتقد أن المسلمين ليسوا أهلاً لها، ولهذا جاء خبر اسم الإشارة جمعاً[3]، فقال تعالى: (□ □).

جـ . ثم يستعمل قواعد اللغة أيضاً في بيان قوله تعالى: (ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، و(بلى) حرف يذكر الجواب لإثبات المنفي في كلام سابق، وقد صدرت الآية التي معنا بحرف (بلى) لإثبات ما نفوه وهو دخول غيرهم الجنة ممن لم يكن لا من اليهود ولا من النصارى، مادام قد اسلم وجهه لله وهو محسن[4].

2. يستعين بأقوال العماء في بيان معنى الآية:

---

[1] سورة البقرة : من الآية (135) .

[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 247/1 .

[3] المصدر نفسه : 248/1 .

[4] المصدر نفسه : 250/1 .

أ . استعان بما قاله الإمام ابن جرير في اختلاف المقال:" فإن قال قائل: وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين، واليهود تدفع النصارى على أن يكون لها في ثواب الله نصيب، والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه، وإنما عنى به وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلا النصارى، ولكن معنى الكلام ما كان مفهوماً عند المخاطبين به جمع الفريقان في الخبر عنهما فقيل: (ﭑ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[1]، ثم بين ابن جرير معنى الكلام: (وهذا الكلام وإن كان ظاهره دعاء القائلين: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □) إلا من كان هوداً أو نصارى إلى إحضار حجة على دعواهم، فإنه بمعنى التكذيب من الله لهم في دعواهم وقبلهم؛ لأنهم ليسوا بقادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً)[2].

ب . يرى الزمخشري، أن المشار إليه أمور قد تعددت لفظاً وحكاها القرآن عنهم في قوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[3]، وفي قوله: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[4]، وفي قوله: ﭽ ﭑ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[5]، وعبارته فإن قلت: لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أُمنية واحدة؟ قلت: أشير بها إلى الأماني المذكورة وهو:

1. أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم.

2. أمنيتهم أن يرودهم كفاراً بعد أن أصلح الإسلام قلوبهم.

---

(1) تفسير الوسيط: 247/1 ـ 248، نقلاً عن تفسير جامع البيان، الطبري : 507/2 .

(2) المصدر نفسه : 508/1 .

(3) سورة البقرة : من الآية (105) .

(4) سورة البقرة : من الآية (109) .

(5) سورة البقرة : من الآية (111) .

3. وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم، أي: تلك أماني باطلة كانت أمانيهم[1].

جـ . ثم ينقل إلينا طنطاوي ما رآه صاحب الانتصاف: أن المشار إليه واحد هو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، أو نصارى، وجمع لإفادة أن تلك الأمنية قد تمكنت من نفوسهم وأشربتها قلوبهم، فقال: (والجواب القريب أنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية، ومعادتهم لها، وتأكدها في نفوسهم جمعت ليفيد جمعها أنها متأكدة في قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ، والجمع يفيد ذلك، وإن كان مؤداه واحداً ونظيره بولهم: معنى جياع، فجمعوا الصفة ومؤداها واحد، لأن موصوفها واحد، تأكيداً لثبوتها وتمكنها، وهذا المعنى أحد ما روى في قوله تعالى: ﭽ   ﭼ[2]، فإنه جمع (قليلاً)، وقد كان الأصل إفراده فيقال: (لشرذمة قليلة)، كقوله تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[3]، لولا ما قصد إليه من تأكيد القلة بجمعها ووجه إفادة الجمع في مثل هذا التأكيد، أن الجمع يفيد بوصفه الزيادة في الآحاد فتقل إلى تأكيد الواحد، وإبانته زيادة على نظرائه، نقلاً مجازياً بديعاً فتدبر هذا الفصل فإنه من نفائس صناعة البيان والله الموفق"[4].

3. يفسر الشيخ طنطاوي قوله تعالى:(   )، يأمر الله تعالى نبيه الكريم محمد(ﷺ) أن يطالبهم بالدليل على صحة ما يدّعون ويزعمون، فقال: () فهذه مطالبة صريحة لهم، بالحجة منهم على خلوص الجنة لهم دون الناس، إن كانوا صادقين في تلك الدعوى، والسبب في ذلك؛ لأن دعواهم الاختصاص بالجنة لا تثبت إلا بوحي من الله وليس مجرد تمني، فجاء الأمر من الله (تبارك وتعالى) بالمطالبة بالدليل من كتبهم على صحة دعواهم، وكان هذا من قبيل التعجيز؛ لأن كتبهم خالية مما يدل على صحتها[5]، وكان وكان الله بهم أعلم.

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط،: 248/1، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 177/1 - 178 .
[2] سورة الشعراء : الآية (54) .
[3] سورة البقرة : من الآية (249) .
[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 1/ 248 - 249، نقلاً عن هامش تفسير الكشاف، الزمخشري : 177/1 - 178 .
[5] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 249/1 .

4. ثم يذكر الشيخ طنطاوي أموراً تؤخذ من الآية الكريمة منها:

أ . بطلان التقليد في أمور الدين، وهو قبول قول الغير مجرداً من الدليل، فلا ينبغي للإنسان أن يقرر رأياً في الدين إلا أن يسنده إلى دليل، كما أنه لا يقبل من غيره قولاً إلا أن يكون مؤيداً بدليل.

ب . عدم صحة التقليد في أصول الدين: أي فيما يرجع إلى حقيقة الإيمان، فالأمر فيها جلي لأنه يكتفي في إيمان الشخص بأي دليل ينشرح به صدره للإسلام، وتحصل له به الطمأنينة، كان يستمد إيمانه بالله من التنبيه لحكمة الله في إتقان المخلوقات أو في رعاية اللطف والرفق بالإنسان، ويستمد إيمانه بصدق الرسول(ﷺ) من الاستماع إلى القرآن الكريم، أو من سيرته التي لم يظهر بمثلها أو بما يقرب منها بشر غير رسول، والقصد أن لا يكون إسلامه لمجرد انه في بيئة إسلامية أو ولد من أب وأم مسلمين.

جـ . أما التقليد في الفروع أي في الأحكام العملية، فالناس بالنظر إلى القدرة على تميز الخطأ من الصواب درجات، فمن له قدرة على فهم الأدلة ومعرفة الراجح من الأحكام، لا يجوز أن يتلقى الحكم من غيره إلا مقروناً بدليل، وإن كان قاصراً عن هذه الدرجة أخذ بما يفتيه به العالم، المشهود له بالرسوخ في علم الشريعة والمعروف بالمحافظة على لباس التقوى ما استطاع[1].

د . يذكر لنا طنطاوي كيفما يُبطل القرآن الكريم ذلك الزعم والدعوى الباطلة بطريق آخر وبأسلوب رائع، وهو إيراد قاعدة كلية رتبت دخول الجنة قصراً على الإيمان والعمل الصالح بلا محاباة لأمة أو لجنس أو لطائفة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: (ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)، فالآية الكريمة يتصدرها حرف (بلى) كما ذكرنا ذلك، فهو حرف يفيد إثبات المنفي في كلام سابق، وذلك لإثبات ما نفوه وهو دخول

---

[1] المصدر نفسه : 249/1 - 250، نقلاً عن مجلة لواء الإسلام، الشيخ محمد الخضر حسين، العدد الخامس، السنة الثالثة : 7.

غيرهم الجنة ممن لم يكن لا من اليهود ولا من النصارى، مادام قد أسلَّم وجهه لله وهو محسن، هذا ونجد إن الله (تعالى) خص الوجه دون سائر الجوارح بذلك، لأنه أكرم الأعضاء وأعظمها حرمة فإذا خضع الوجه الذي هو أكرم أعضاء الجسد، فغيره من أجزاء الجسد أكثر خضوعاً[1]، وبهذا يقول الشيخ: ليس الحق فيما زعمه كل فريق منهم من يهود أو نصارى، في خلوص الجنة لهم، دون غيرهم وإنما الحق في ذلك، لكل من أخلص نفسه لله، وأتى بالعمل الصالح على وجه حسن، فإنه يدخل الجنة[2]، كما قال تعالى: (□ □ □ □ □ □ □).

وقد أفادت الآية الكريمة ما يأتي:

1. إثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة.

2. بيان أنهم ليسوا من أهل الجنة، إلا إذا أسلموا وجوههم لله، وأحسنوا له العمل فيكون ذلك ترغيباً في الإسلام، وبياناً لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة، لكي يقلعوا عماهم عليه، ويعدلوا عن طريقهم المعوجة.

3. بيان أن العمل المقبول عند الله (تعالى) يجب أن يتوفر فيه أمران:

أولهما: أن يكون خالصاً لله وحده،

ثانيهما: أن يكون مطابقاً للشريعة التي ارتضاها الله تعالى وهي شريعة الإسلام[3].

ثالثاً: أقوال العلماء في المسألة.

1. قال الإمام ابن كثير:" فمتى كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ولهذا قال رسول الله (ﷺ):" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، فعمل الرهبان ومن شابههم وإن

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 250/1 .
(2) ينظر: المصدر نفسه : 250/1 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 250/1.

فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول (ﷺ)، المبعوث فيهم وإلى الناس كافة، وفي أمثالهم قال الله تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[1]، وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله، فهو أيضاً مردود على فاعله، وهذا حال المرائين والمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﭽ   ﭼ[2] [3].

وبهذا ترى الباحثة مدى الأنانية التي كانت تسيطر على نفوس كل من اليهود والنصارى، والدليل على ذلك قولهم الذي قالوه، وحكاه لنا القرآن الكريم، ودعائهم المستمر بحكر الجنة عليهم فقط، فهذا إن دل فهو يدل وبشكل قطعي على عدم إيمانهم باليوم الآخر، وما هي إلا أماني كما يصورها القرآن الكريم، تلج في صدورهم وتحبها نفوسهم وتشربها قلوبهم، وذلك لأن تلك الأماني جاءت خالية من الإيمان والعمل الصالح، فأي عقيدة هذه تأتي مجردة من الإيمان بالله تعالى، عقيدة كان لها الأثر الواضح في نفوسهم، عقيدة أضلتهم فأضلوا وكفروا وما كان جزاءهم إلا ما قاله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[4]، فهم أمة ضلت وأضلت حتى وصلت بضلالها إلى النار.

المطلب الثاني: زعم اليهود النجاة من النار.

أولاً: تأصيل المسألة.

من دعاوى اليهود الباطلة إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وأنهم لن يُعاقبوا في النار عقاباً طويلاً، والسبب يرجع في ذلك، لأنهم يرون أنفسهم أبناء الله وأحباؤه من جهة، وشعبه المختار من بين الناس من جهة أخرى، فإذا أراد الله حسابهم على خطاياهم، حاسبهم بمقدار ما يُحاسب الوالد الرحيم أولاده المدللين، وأحباؤه المختارين، يقسو عليهم لفترة قليلة من الوقت، ثم يعود بعد ذلك إلى ملاحقتهم، والتغاضي عن سيئاتهم، وهذا ما تزعمه اليهود في أنفسهم[5]،

---

[1] سورة الفرقان : الآية (23) .
[2] سورة الكهف : من الآية (110) .
[3] تفسير القرآن الكريم، ابن كثير : 154/1 .
[4] سورة النساء : من الآية (136) .
[5] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 538 .

هذا وقد حكى لنا القرآن الكريم هذا الزعم الباطل، ودحضه بما يخرس ألسنتهم ويقطع دابر حجتهم راداً عليهم بقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

ينقل الشيخ ما رواه المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمة أثاراً كثيرة، منها ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: (إن اليهود كانوا يقولون: هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نُعذب بكل سنة يوماً في النار، وإنما هي سبعة أيام)[2]، وقيل في سبب نزولها أيضاً:" خاصمت اليهود رسول الله (ﷺ)، وأصحابه فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا إليها قوم آخرون، يعنون محمد وأصحابه، فقال رسول الله (ﷺ): يدهم على رؤوسهم بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد"[3].

وكذلك أخرج ابن جرير ـ أيضاً ـ عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) ذلك قول أعداء الله اليهود، قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم، الأيام التي أصبنا العجل أربعين يوماً، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم[4]، والمعنى في ذلك، قالت اليهود ـ يا محمد ـ إن النار لن تصيبنا، ولن نذوق حرها إلا أياماً قلائل فيأمر (تعالى) نبيه محمد(ﷺ) أن يرد على دعواهم الكاذبة وذلك بقوله: هل اتخذتم من الله عهداً بذلك حتى يكون الوفاء به متحققاً؟ أن تقولون على الله الباطل جهلاً وجراءة عليه؟ ثم يذكر الشيخ كيف يُبطل القرآن الكريم دعواهم بأصل عام يشملهم ويشمل غيرهم فقال: ليس الأمر كما تدعون، بل الحق أنه من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ومات عليها دون أن يتوب إلى الله تعالى منها[5] (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ).

---

[1] سورة البقرة : الآيتان (80 - 81) .
[2] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، 1379م، رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي : 246/10 .
[3] المصدر نفسه : 46/10 .
[4] لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي : 11 .
[5] تفسير الوسيط، طنطاوي : 185/1 - 186 .

2. يستعين الشيخ بقواعد اللغة العربية مع معانيها في بيان قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ)، فهو بيان لضرب من ضروب غرورهم وكذبهم، معطوف على رذائلهم السابقة التي حكاها القرآن الكريم، إذ الضمير في قوله تعالى: (ﭺ) يعود على اليهود الذين مر الحديث عنهم ولما ينته بعد، أما المس: فهو اتصال أحد الشيئين بآخر على وجه الإحساس والإصابة[1].

والمراد من النار هنا: نار الآخرة، والمراد من المعدودة: المحصورة القليلة، يقال: شيء معدود أي قليل، وشيء غير معدود أي: كثير منهم يدّعون أن النار لن تمسهم إلا مدة يسيرة قد تكون سبعة أيام، وقد تكون أربعين يوماً، وبعدها يخرجون إلى الجنة لأن كل معدود منقض[2].

ثم يخرج الاستفهام في قوله تعالى: (ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)، للإنكار، وهو متوجه إلى زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، فكأنه (سبحانه) يقول لهم: إن قولكم هذا يحتمل أمرين لا ثالث لهما: إما

1. اتخاذ عهد عند الله به.

2. وإما القول عليه (سبحانه) بدون علم.

وما دام ثبت أن اتخاذ العهد لم يحصل، إذ أنتم يا معشر اليهود ـ كاذبون فيما تدعون من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة، وإنما ساق القرآن الكريم الرد عليهم في صورة الاستفهام لما فيه من ظهور القصد إلى تقريرهم بأنهم قالوا على الله مالا يعلمون، إذ هم يستطيعون أن يثبتوا أن الله وعدهم بما إدعوه من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، ولا

[1] ينظر: مختار الصحاح، الرازي : 642 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 186/1 .

يوجد عندهم نص صريح من كتابهم يؤيد ما مدّعاهم، وبذلك تكون الآية قد أبطلت مدّعاهم إبطالاً يحمل طابع الإنكار والتوبيخ[1].

_ ثم يبين طنطاوي، كيف ساق (سبحانه) آية أخرى أبطلت مدّعاهم عن طريق إثبات ما نفوه، فقال تعالى: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ)، (فبلى)، حرف جواب يجيء به لإثبات فعل ورد قبلها منفياً، والفعل المنفي هنا هو قول اليهود (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)، فجاءت (بلى) لإثبات أن النار تمسهم أكثر مما زعموا فهم فيها خالدون جزاء كفرهم وكذبهم، والمعنى في ذلك، ليس الأمر كما تدعون أيها اليهود، من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة، بل الحق أنكم ستخلدون فيها، فكل من كسب شرعاً مثلكم، واستولت عليه خطاياه، وأحاطت به كما يحيط السرداق بمن في داخله، ومات على ذلك دون أن يدخل الإيمان قلبه ويتوب إلى ربه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، فالآية الكريمة فيها إبطال لمدعاهم، وإثبات ما نفوه، على وجه يشملهم ويشمل جميع من يقول قولهم، ويكفر كفرهم[2].

3. ثم بيّن طنطاوي المراد بالسيئة هنا (هو الشرك بالله)، معضداً قوله بما قاله جمهور المفسرين لورود آثار عن السلف بذلك، أما فائدة الإتيان بقوله تعالى: (ﮙ ﮚ ﮛ)، بعد ذلك وذلك للإشعار بأن الخطيئة إذا أحاطت بصاحبها أخذت بمجامع قلبه فحرمته الإيمان، وأخذت بلسانه فمنعته عن أن ينطق به[3].

4. ثم يفسر الشيخ قوله تعالى: (ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ)، مبيناً ما أُعد من عقوبات جزاء كفرهم وكذبهم على الله، فمنهم يوم القيامة سيكونون أصحاب للنار ملازمين لها على التأييد لإيثارهم في الحياة الدنيا وما يوردهم سعيرها، وهو الكفر وسوء الأفعال على ما يدخلهم الجنة وهو الإيمان وصالح الأعمال، وبعد ما ذكر (سبحانه) ما أعد لهؤلاء اليهود وأمثالهم من الكافرين الذين يفترون على الله الكذب، عقّب ذلك ببيان ما أعده (سبحانه) لأهل الإيمان

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي: 186/1 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 187/1 .
[3] المصدر نفسه : 187/1 .

والتقوى فقال تعالى: (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ)، أي: الذين آمنوا بالله ورسوله وأطاعوا الله فأقاموا حدوده، وأدوا فرائضه، واجتنبوا محرمه، فأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون خلوداً أبدياً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وبذلك تكون الآيات الكريمة قد ردت على اليهود أبلغ رد، حيث كذبتهم في دعواهم (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ)، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة، وأخبرتهم بخلودهم وخلود كل كافر في النار، وأما الجنة فهي لمن آمن وعمل صالحاً واتبع سبيل المرسلين فهؤلاء أصحابها وهم فيها خالدون[1].

وبهذا يمكن أن نستخلص من الآية الكريمة المعاني التالية[2]:

1. الرد على اليهود في ادعائهم السافر، إن النار لن تمسكم إلا مدة يسيرة.

2. تكذيبهم بأنهم صائرون إلى الجنة بعد العذاب اليسير.

3. إخبار القرآن لهم بخلودهم بالنار وخلود كل كافر حذى حذوهم.

4. إخبار القرآن الكريم لهم إن الجنة مقصورة لمن آمن، وعمل صالحاً واتبع سبيل المرسلين، فهؤلاء أصحابها هم فيها خالدون.

هذا ولابد من القول هنا إن اليهود بسبب ما اعتقدوا خطأً وفساداً بالعقيدة، إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، فكان لهذا الاعتقاد أثراً كبيراً في إعراضهم عن كتاب الله؛ لأن اليهود دُعوا إلى كتاب الله فأعرضوا، وهذا ما بينته آيات كريمات في سورة آل عمران، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﭼ[3].

---

[1] المصدر نفسه : 187/1 .
[2] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 41، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 187/1 .
[3] سورة آل عمران : الآيات (23 - 25) .

قيل في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، ما رُوي عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال:" دخل رسول الله بيت المدارس، أي ـ البيت الذي يتدارسون فيه ـ على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله تعالى، فقال له: نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد، على أي دين أنت يا محمد، فقال على ملة إبراهيم ودينه، فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله (ﷺ) فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ)[1].

وقال في هذا ابن جرير (رحمه الله): أن الله (جل ثناؤه): أخبر في القرآن الكريم عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله (ﷺ)، وفي عهده، ممن أوتوا علماً بالتوراة، أنهم دعوا إلى كتاب الله، الذي كان يقرون أنه من عند الله وهو التوراة، ليحكم بينهم وبين رسول الله (ﷺ) في بعض ما تنازعوا به، فامتنعوا عن الإجابة إليه، ويجوز أن يكون ذلك في نبوة النبي(ﷺ)، ويجوز أن يكون أمر إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فكان في ذلك نزاعهم مع الرسول، فلما دعاهم إلى حكم التوراة أبوا ذلك، وامتنعوا، فأخبر الله عنهم بردتهم وتكذيبهم بما في كتابهم، فضلاً عن جحودهم في ما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بإقامته والعمل به[2].

وقال الإمام القرطبي (رحمه الله) في سبب نزولها، إنما نزلت هذه الآيات الكريمة؛ لأن جماعة من اليهود أنكروا نبوة النبي (ﷺ)، فقال لهم: هيا هلموا إلى توراتكم، ففيها صفتي وبشارة نبوتي، فأبوا الرجوع إليها[3].

يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآيات الكريمة بقوله: لقد رأيت وشاهدت ـ يا محمد ـ حال أولئك اليهود وأحبارهم، الذي أعطوا قسطاً من المعرفة في كتابهم، عندما يدعون إلى كتاب الله وهو التوراة التي أنزلها (سبحانه) على نبيه موسى (عليه السلام)، للتحاكم فيما حدث

---

[1] أسباب النزول، النيسابوري : 155 .
[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : 289/6 ـ 290 .
[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 50/4 .

بيهم وبين رسول الله (ﷺ) من نزاع، فأبوا أن يستجيبوا لدعوته، وأعرضوا منها، كما هو شأنهم دائماً في الإعراض عن الحق، ولاسيما إنهم قوم شأنهم التوّلي والإعراض عن حكم الله، والسبب يرجع في ذلك إلى ادّعاءهم الباطل من أن النار لن تمسهم إلا مدة يسيرة، وكذلك ما اعتروا به في دينهم كذباً وافتراءاً من أن آبائهم سيشفعون لهم يوم القيامة، والحق إن حالهم سيكون أليماً شنيعاً، فضلاً عن الخلود في النار، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون[1].

وفي هذا بيان لون من عنادهم، فقد جاء الاستفهام للإنكار، وذلك لإفادة التعجب من حالهم، والتوبيخ على أقوالهم وأفعالهم ولبيان أنه ما كان يصح أن يقع منهم ما اجترحوه من أقوال وأعمال[2].

ثم يشير الشيخ طنطاوي إلى هؤلاء الأحبار الذين أعطاهم الله نصيب من المعرفة بالتوراة، فهم يعرفون حقيقة نبوة محمد(ﷺ)، وصدقه فيما يبلغ عن ربه إلا إنهم أعرضوا عن ذلك، ولم ينتفعوا في ذلك العلم المعطى في التوراة، فإنهم لم يعملوا بما فرضه الله عليهم، بل أخذوا ما يناسب شهواتهم، وتركوا منهم ما يتعارض مع أهوائهم[3]، ثم بين الله تعالى لنا سبب التولي والإعراض عن حكم كتاب الله، للأسباب التالية[4]:

1. التسهيل على أنفسهم أمر العقاب على ما اقترفوه من آثام في الحياة الدنيا.
2. اعتقادهم الفاسد إنهم لن يعذبوا في النار عذاباً شديداً.
3. اعتقادهم إنهم لن يعاقبوا على أفعالهم عقاباً طويلاً.
4. إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وهي أربعون يوماً أو سبعة أيام.

ثم يخرجون من النار معللين خروجهم؛ لأنهم أبناء الله وأحباؤه كما مر سابقاً؛ ولأن آباءهم أنبياء الله، فهم الذين يتولون مهمة الشفاعة لهم كما يزعمون ويدّعون، وما هذا إلا نوع

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط : 67/2، وينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 543 .
(2) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 543 .
(3) ينظر: المصدر نفسه : 543 .
(4) ينظر: المصدر نفسه : 544، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 67/2 - 68 .

من غرورهم، واستخفافهم بوعيد الله (تعالى) وكل من استخف بوعيد الله له، زالت حرمة الدين من نفسه، ثم أقدم على ارتكاب السيئات بلا مبالاة، وهذا شأن الأمم والجماعات والأفراد عندما تفسق عن أمر ربها، فهم بهذا أصاب موضع العزة والغفلة في دينهم، فخدعوا بما افتروا إلى غير ذلك من أكاذيبهم وافترائهم[1].

ثم يرد الله (تعالى) تلك المزاعم الباطلة، وذلك عن طريق إثبات الثواب والعقاب، فالإيمان بالله (تعالى) والعمل الصالح، فقد قال تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)، إذن كيف يكون حالهم إذا جمعهم الله (تعالى) إلى يوم لا ريب فيه ولاشك، فأنهم سوف يُفاجئون بذهاب غرورهم، وفساد تصورهم عن يوم القيامة، فضلاًعن عقابهم بالخلود بالنار، جريرة أقوالهم وأفعالهم[2].

وبذلك ترى الباحثة، ومن خلال ما تم عرضه، مدى غرور هؤلاء القوم وكذبهم، بل إن لذلك الغرور الكاذب ما أوصلهم إلى الخلود بالنار، فضلاً عن إدعاءاتهم الكثيرة والعجيبة في تصوراتهم لذلك اليوم، في إن النار لن تمسهم معللين ذلك بعلل واهية غير مؤيدة بعقل أو نقل، فضلاً عن ما كانوا به من وقاحة اتجاه خالقهم، الذي أرسل إليهم الرسل مؤيدين بالمعجزات، فأي افتراء هذا؟!

[1] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 544، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 668/2 .
[2] تفسير الوسيط

المطلب الثالث: زعم اليهود عفران الذنوب لهم.

أولاً: تأصيل المسألة.

يحكي لنا القرآن الكريم زعماً آخر من مزاعم اليهود الباطلة وأقوالهم الفاسدة، فهم يعتقدون خطأً أنهم مهما فعلوا من ذنوب وارتكبوا من موبقات، واستحلوا من أموال الحرام، وحرموا ما أحله الله فإن ذنوبهم مغفورة لهم، ولعل السبب يرجع في ذلك حسب ادعائهم؛ لأنهم شعب الله المختار من جهة، وأبناؤه وأحباؤه من جهة أخرى، فكيف لا يغفر لهم من كانوا بهذه الصفات عند رب العزة والكرامة[1]، إلا إن القرآن الكريم رد عليهم بما يدحض قولهم هذا، ويكشف عن زيفه رافعاً للستار عنه، وذلك بقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ ﭼ[2].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

أ . استعان الشيخ بما قاله العلماء في تفسير قوله تعالى: (ﮪ)، فقد قال الإمام القرطبي: الخلفْ ـ بسكون اللام ـ الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، الخلَف ـ بفتح اللام ـ البدل، ولداً كان أو غريباً، وقال ابن الأعرابي: الخلَف ـ بفتح اللام ـ الصالح، وبسكونها الطالح، ومنه قبل للردى من الكلام خلف ـ بسكون اللام ـ ومنه المثل السائر (سكت أنفاً ونطق خلفاً)[3].

---

[1] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 586 .
[2] سورة الأعراف : الآيتان : (169 - 170) .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 426/5.

قال لبيد: ذهب الدي يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فخلف في الذم بالإسكان، وخلَف بالفتح في المدح، وهذا هو المستعمل المشهور، وفي الحديث الشريف (يحمل هذا العلم من كل خلف عدد له)، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، أما العرَض ـ بفتح الراء ـ فهو متاع الدنيا وحطامها من المال وغيره[1].

ي . قال صاحب الكشاف: قوله تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)، أي: حطام هذا السيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها، وفي قوله هذا تخسيس وتحقير، والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرث في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة)[2].

جـ . قال مجاهد أما قوله تعالى: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) لا يشرف لهم شيء من متاع الدنيا إلا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون المغفرة (ﭰ ﭱ ﭲ)، وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذونه)[3].

د . قال السدي: (كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى، فيقال له ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول سيغفر لي، فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل صنعه فإذا مات أو نزع جعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه قبل الرشوة، ويقول: (وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذه)[4].

هـ . قال الإمام الآلوسي:" والمراد من الآية توبيخ أولئك الورثة على بتهم القول بالمغفرة مع إصرارهم على الذنوب وجاء البت من السين فإنها للتأكيد كما نص المحققون، وعن ابن

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 426/5، نقلاً عن الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 310/7 .
[2] المصدر نفسه، نقلاً عن الكشاف، الزمخشري : 174/2 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 426/5، نقلاً عن تفسير الكشاف، الزمخشري : 174/2 .
[4] المصدر نفسه : 426/5 .

عباس (رضي الله عنهما) إنهم وبخوا على إيجابهم على الله (تعالى) غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون إليه، ثم لا يتوبون منها، وقد أطبق أهل السنة على ذم المتهمين على الله، ورووا عن شداد بن أوس أن رسول الله (ﷺ)، قال:" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[1].

ومن هنا قيل: إن القوم ذموا بأكملهم أموال الناس بالباطل وبإتباعهم أنفسهم هواها وتمنيهم على الله (سبحانه) الأماني، ووبخوا على افترائهم على الله في الأحكام التي غيروها، وأخذوا عرض هذا الأدنى على تغيرها، وقالوا على الله ما ليس بحق من القول)[2].

2. يستعمل قواعد اللغة العربية في بيان قوله (ﮮ ﮯ)، فالضمير فيه يعود على اليهود الذين وصفهم الله في الآية السابقة بقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ[3]، والمعنى في ذلك، فخلف من بعد أولئك القوم الذين قطعناهم في الأرض أمماً خلف سوء، ورثوا كتاب الله وهو (التوراة) فقرأوه وتعلموه، ووقفوا على ما فيه من تحليل وتحريم وأمر ونهي ولكنهم لم يتأثروا به، بل خالفوا أحكامه واستحلوا مع علمهم بها، فهم يتهافتون على حطام الدنيا ومتاعها ويتقلبون المال الحرام بشراهة نفس، ويأكلون السحت أكلاً لماً ويقولون وهم والغوث في المعاصي ومصرون على الذنوب: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا ولا يؤخذنا بما أكلنا من أموال؛ لأننا من نسل أنبيائه، فنحن شعبه الذي اصطفاه من سائر البشر إلى غير ذلك من الأقاويل التي يفترونها على الله وهم يعلمون[4].

أما جملة (ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ)، فهي مستأنفة لبيان ما يضعون بالكتاب بعد ورثتهم إياه، وقيل: هي حال من الضمير ورثوا، ثم أخبر (تعالى) عنهم بأنهم أهل إصرار على ذنوبهم،

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ــ عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر، مؤسسة الرسالة (1421هـ - 2001م)، الباب حديث شداد بن أوس : 350/28، رقم الحديث: 17123.

[2] تفسير الوسيط، طنطاوي، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 96/9 .

[3] سورة الأعراف : الآية (168) .

[4] تفسير الوسيط، طنطاوي : 426/5 .

وليسوا بأهل إنابة ولا توبة، قال تعالى: (ۈ ۉ ۋ ۆ ۋۈ)، أي: أنهم يأخذون عرض الحياة الدنيا ويعرضون عن شريعة الله التي أنزلها عليهم في التوراة ويزعمون أن الله لا يؤاخذهم بما فعلوا، ثم هم بعد ذلك لا يتوبون إلى الله ولا يستغفرونه، وإنما حالهم أنهم إن لاح لهم عرض حرام آخر مثل الذي أخذوه أولاً بالباطل تهافتوا عليه من جديد واستحلوه وأكلوه في بطونهم وبدون توبة أو ندم[1].

3. يفسر الشيخ قوله تعالى: (ۆ ۈ) وهم مصرون على معصيتهم، فقال تعالى: (ۈ ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □)، أي: لقد أخذ الله العهد في التوراة على هؤلاء المرتشين في أحكامهم، والقائلين سيغفر الله فعلنا هذا ألا يقولوا على الله إلا القول الحق، ولا يخبروا عنه إلا بالصدق ولا يخالفوا أمره، ولا ينقضوا عهده، ولا يتجاوزوا حدوده، وقد درس هؤلاء الكتاب، وقرأوه وفهموه، ولكنهم لم يعملوا بما أخذ عليهم من عهود ولم يتبعوا أوامر كتابهم ونواهيه، لأنهم درسوه ولم يتأثروا به، ولم تخالط تعاليمه شغاف قلوبهم، فضيعوه واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون[2]، ثم بيّن الله ما أعده في الآخرة للمتقين وذلك بقوله: (□ □ □ □ □ □□ □ □ □)، أي: يبين الله (تعالى) ما أعده من نعيم لأولئك الذين يتقونه في سرهم وعلنهم، فهو خير من ذلك الأدنى الذي استحله اليهود وآثروه على ما عند الله من نعيم دائم، ألا تعقلون يا من أكلتم أموال الناس بالباطل، ثم قلتم مدّعين على الله الكذب، بأنه سيغفر لنا، فهذا الحكم واضح الذي لا يخفي على كل ذي عقل سليم، لم تطمسه الشهوات، ولم يستحوذ عليه الشيطان، وفي هذا إشارة واضحة إلى إن الطمع في الحياة الدنيا هو الذي جعل بني إسرائيل يقولون على الله غير الحق، آكلين المال الحرام حتى تشبعوا به بدون تعفف، وهم بذلك باعوا دينهم بدنياهم[3].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه : 426/5 .
(2) المصدر نفسه : 427/5 .
(3) ينظر: تفسير الوسيط : 427/5 .

ثم بين الشيخ ثناؤه (تعالى) على من تمسك بكتابه، فأحل حلاله وحرم حرامه ولم يتقول على الله الكذب، فقال تعالى: (□ □ ى ى ي ي □ □ □ □)، والمراد هنا بالكتاب التوراة أو القرآن أو جنس الكتب السماوية عموماً، أي: الذين يتمسكون بأوامر الكتاب الذي أنزله الله ويعتصمون بحبله في جميع شؤونهم إنا لا نضيع أجرهم لأنهم قد أصلحوا دينهم ودنياهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وخص الصلاة بالذكر مع دخولها فيما قبلها إظهاراً لميزتها لكونها عماد الدين من جهة وناهية عن الفحشاء من جهة أخرى، وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد وبختا اليهود لافترائهم على الله الكذب وردتا عليهم في دعواهم أن ذنوبهم مغفورة لهم مع تعمدهم أكل أموال الناس بالباطل، وبينا لهم طريق الفلاح لكي يسيروا عليها، إن كانوا ممن ينتفع بالذكر، ويعتبر بالمثلات[1].

وفي هذا ترى الباحثة ما يأتي:

1. اليهود قوم يقبلون بالرشوة مقابل تغيرهم ما أنزله الله في التوراة، والسبب يرجع إلى حبهم الحياة الدنيا وتفضيلهم إلى ما عند الله من الثواب.

2. هم أمة لا تؤمن بمبدأ الثواب والعقاب؛ لأنهم دنيويون لا يعتقدون باليوم الآخر.

3. مكثرين من الأقوال الفاسدة والإدعاءات الباطلة بحق الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ

4. لا يتورعون عن أكل المال الحرام والسحت، معللين ذلك بأن الله سوف يغفر لهم ذنوبهم، فهم بهذا باءوا بغضب من الله وحكموا على أنفسهم بالعذاب المهين.

---

[1] المصدر نفسه : 428/5 .

المطلب الرابع: اليهود وحب الدنيا وعدم تمني الموت.

أولاً: تأصيل المسألة.

قال تعالى: ﭽ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ
ﭽ ڍ ڍڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ﭼ[1].

---

[1] سورة البقرة : الآية (96) .

هذه الآية الكريمة تبين لنا طبع جبّلوا عليه اليهود في كل زمان ومكان، وهو تهالكهم على الدنيا، وحرصهم الشديد على الحياة، مهما اتسمت به تلك الحياة من ذل أو تلطخ بالعار، وقد أدى هذا الحرص على الجبن الهالع، والنكوص على الأعقاب[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. يستعين الشيخ بقواعد اللغة العربية في بيان قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ)، ف(أحرص) هو فعل التفضيل، أما المراد بالناس هنا جميعهم، والمعنى من ذلك، إن الله (تعالى) يخبر نبيه محمد (ﷺ)، عن زعم آخر مزاعم اليهود، فهم الذين يزعمون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ـ لتجدنهم هم أحب الناس للحياة، وأحرصهم عليها، وأشدهم كراهية للموت، وليس ذلك عندما يكونون متمتعين بالطمأنينة والعافية فقط، بل هم كذلك حتى ولو زالت عن تلك الحياة كل معاني الراحة والطمأنينة، فهم بفعلهم هذا يكونوا أحرص من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث مطلقاً، والذين يعتبرون نعيمهم الأكبر هو ما يتمتعون به من اللذائذ في الحياة الدنيا، وهم بحرصهم هذا على الحياة يتمنون أن تطول أعمارهم دهوراً طويلة، لا يصل إليها خيال أحد ممن يحرصون عليها[2]، كما قال تعالى: (ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ)، وبهذا تكون الآية الكريمة أدّحضت وكذبت دعواهم في إن الدار الآخرة مقصودة عليهم، وذلك لو كان الأمر كما ادعيتم وزعمتم ..... بالانتقال إلى الحياة الأخرى، ولكنهم لا يحبون الموت ولا يكاد حتى أن يخطر ببالهم، ويحرصون كل الحرص على البقاء حتى مع سوء الحالة وسقم العيش[3]، كما يشعر بذلك التنكير في قوله تعالى (ٹ ڄ)، والمراد بالناس هنا جميعهم وأفعل التفضيل في (أحرص)، كما بيناه؛ لأن الحرص على الحياة عزيزة في البشر إلا أنهم متفاوتون فيه قوة وكيفية وأسباب، كما قال الشاعر المتنبي:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه

---

[1] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 478 .
[2] ينظر: تفسير الوسيط : 214/1 .
[3] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 478، وينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 214/1 .

حريصاً عليها مستهاماً بها صباً

فحب الجبان النفس أورده التقى

وحب الشجاع النفس أورده الحربا[(1)]

فالناس جميعاً وإن كانوا يشتركون مع اليهود في الحرص على الحياة، إلا أن اليهود يزيدون على سائر الناس أنهم أحرص، وأنهم من أجل حرصهم عليها يضحون بدينهم وكرامتهم وبكل شيء، ثم ينكر الله (تعالى) تلك الحياة التي يحرصون عليها وذلك بقوله (ڤ ج) من أوجه هي:

1. زيادة في تحقيرهم؛ لأنهم شديدو الحرص على الحياة، حتى لو كانت حياة بؤس وشقاء.

2. للإشعار إن ما يهتم به اليهود، هو مطلق الحياة حتى لو كان ذلك على حساب الكرامة والعزة، فمن أمثالهم المشهورة (الحياة وكفى).

3. وكذلك للأخبار إن تهالكهم على الحياة أدى بهم إلى الجين، فضلاً عن احتمال الضيم، بل جهلهم لا يفرقون بين الحياة الكريمة وبين الحياة الذليلة[(2)].

ثم بين طنطاوي قوله تعالى: (ج ڃ ڃ)، فهو معطوف على الناس، لأنه لما كان قوله تعالى: (ڦ ڤ) في معنى: أحرص من جميع الناس، صح أن يراعى المعنى، فيكون قوله: (ج ڃ ڃ)، معطوف عليه، فيكون المعنى: أحرص من جميع الناس، وأحرص من الذين أشركوا على الحياة، فالذين أشركوا هم من جعل لله (تعالى) شركاء، وإنما أفردوا بالذكر مع أنهم من الناس، مبالغة في توبيخ اليهود وذمهم؛ لأنهم إذا زاد حرصهم على الحياة ـ وهم أهل كتاب ـ على المشركين الذين لا كتاب لهم ولا يدينون ببعث أو نشور، كان ذلك

(1) ديوان المتنبي، قصيدة فديناك من ربع وإن زدتنا كرباً : 110/1.
(2) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 479، وينظر: تفسير الوسيط : 214/1 .

دليلاً على هوان نفوسهم، وابتذال كرامتهم وعدم اعتدادهم بوصايا كتبهم التي تنهاهم عن الحرص على الحياة الذليلة[1].

2. يعتمد على قول الزمخشري في بيان التوبيخ الذي نزل باليهود:" وفيه توبيخ عظيم؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم، فإذا زاد عليها في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء، كان حقيقاً بأعظم التوبيخ، فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين؟ قلت: لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لا محالة، والمشركون لا يعلمون ذلك"[2].

ثم بين (تعالى) مظهراً آخر من مظاهر حرصهم على الحياة الدنيا، وهو تمني العيش دهوراً طويلة وذلك بقوله: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، فهم بهذا تمنوا أُمنية ليس من عادة الناس أن يحبوا بلوغها، وذلك لأنها تؤدي إلى أرل العمر، وعدم طيب العيش[3]، فقد استأنف (تعالى) هذه الجملة لغايات هي:

1. إظهار مغالاتهم في التهالك على الدنيا.

2. لتحقيق عموم النوعية في الحياة المنكرة.

3. لبيان إن تعلقهم بهذه الدنيا يشمل هذه السنن المتطاولة التي لا هناء فيها ولا راحة، والذي استعاذ من بلوغها المؤمنين.

4. ولوضع ما يضعه بعض الناس من أحرصهم على الحياة مهما اشتد، فلم يصل للتمني العيش ألف سنة[4].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه : 479، وينظر: تفسير الوسيط : 215/1 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 215/1، نقلاً عن الكشاف، الزمخشري : 168/1 .
[3] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 480، وينظر: تفسير الوسيط : 215/1 .
[4] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي : 480، وينظر الوسيط، طنطاوي : 215/1 .

3. يفسر طنطاوي قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ).. يخبرهم الله تعالى إن تعميرهم هذا في الحياة لن ينجيهم من العقوبة المعدة لهم، وذلك لأن الموت لن يتركهم مهما طال عمرهم، ولا يوجد أحداً من قبلهم ولا من بعدهم، بمبعده تعميره عن العذاب المعّد ولا بمنجيه منه، ففي هذه الآية الكريمة بيان واضح لذلك المصير المحتوم لا محالة، وفيه قطع لحبال مطامعهم؛ لأن الموت سيلحقهم مهما بلغ عمرهم، وسيلقون جزاءهم على سوء صنيعهم، وفي هذا إشارة إلى أن طول عمرهم ليس له أي أثر تخفيف العذاب عنهم[1]، ثم يتوعد بهم الله تعالى ويهددهم وذلك بقوله: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)، وذلك لأنه هو وحده عليم بأعمالهم، محيط بهم من كل جانب في سرهم وعلنهم، ثم يجازيهم على كل ذلك ولكن بما يستحقونه[2].

ومن هذا العرض للآيات الكريمة نرى أنها قد ردت على اليهود في دعواهم أن الجنة خالصة لهم رداً يبطل حجتهم، ويفضح مزاعمهم، ويكبت نفوسهم، ويخرس ألسنتهم، ويعلن أن الجنة إنما هي لمن أسلم وجهه لله وهو محسن، وهم ليسوا من هذا النوع من الناس، لذا حرصوا على الحياة وفزعوا من الموت؛ لأنهم يعلمون أن من ورائهم النار وبئس القرار بسبب ما ارتكبوا من سيئات واقترفوا من أكاذيب[3].

- **نصوص من القرآن تعضد عدم تمني اليهود الموت وبشكل صريح:**

هذا ولابد من الإشارة بمكان ان هناك نصوص كثيرة تعضد ما ذكرناه سابقاً في عدم تمني اليهود الموت، وسأقتصر هنا على ذكر ما جاء في سورة البقرة معضدة ما ذكرته سابقاً في عدم تمني اليهود الموت، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[4].

يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآية الكريمة قائلاً: أدحض الله تعالى زعم آخر من مزاعم اليهود الكثيرة، وهي ادعائهم إن الجنة خالصة لهم دون غيرهم، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، مخاطباً نبيه محمد(ﷺ) قل لهم يا محمد: إن كانت الجنة خاصة بكم، ولا منازع لكم

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 216/1 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 216/1 .
[3] المصدر نفسه : 1/ 216 .
[4] سورة البقرة : الآيتان : (94 - 95) .

فيها ولا مزاحم كما تزعمون، إذن تمنوا الموت بألسنتكم لكي تظفروا بالنعيم الدائم، وهذا إن كنتم صادقين في دعواكم في خلوص الجنة لكم، وإلا فإنكم غير صادقين في دعواكم هذه، لأن ليس من المعقول أن يرغب الإنسان عن السعادة المخصة الدائمة المضمونة له في الآخرة، إلى سعادة ممزوجة بالشقاء في الدنيا[1].

وفي هذا قال الإمام الرازي: (وبيان هذه الملازمة أن نعم الدنيا قليلة حقيرة بالقياس إلى نعم الآخرة، ثم إن نعم الدنيا على قلتها كانت منقصة عليهم بسبب ظهور محمد(ﷺ) ومنازعته معهم، بالجدال والقتال، ومن كان في النعم القليلة المنغصة، ثم تيقن أنه بعد الموت لابد أن ينتقل إلى تلك النعم العظيمة، فإنه لابد أن يكون راغباً في الموت، لأن تلك النعم العظيمة مطلوبة ولا سبيل إليها إلا بالموت، وحيث كان الموت يتوقف عليهم لمطلوب وجب أن يكون هذا الإنسان راضياً بالموت متمنياً له، فثبت أن الدار الآخرة لو كانت خالصة لهم، لوجب أن يتمنوا الموت، ثم إن الله تعالى أخبر أنهم ما تمنوا الموت، بل لن يتمنوه أبداً، وحينئذ يلزم قطعاً بطلان ادعائها في قولهم (إن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس)[2]، وهنا لابد من بيان الوجه الذي أمر به الله تعالى اليهود أن يتمنوا الموت في الآيتان الكريمتان، حيث اختلف المفسرون في ذلك إلى طائفتين وهما:

1. ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الوجه الذي أُمر به اليهود هو (سؤال الموت باللسان)، أي: إن كنتم أيها اليهود صادقين في دعواهم إن الجنة خالصة لكن من دون الناس، فسألوا الله تعالى الموت، وذلك لتحقيق أُمنياتكم؛ لأن من الطبيعي من يحب أحداً يتمنى لقاءه، ولاسيما إن الله تعالى أولى بذلك اللقاء، وما عند الله من نعيم دائم، الذي طالما كنتم واثقين بحصوله لكم من دون الناس هو أفضل لكم من الحياة بالتأكيد[3].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 212/1 .
[2] التفسير الكبير، الرازي : 3/ 605 .
[3] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : 361/2 .

2. ذهبت طائفة من المفسرين (ومنهم ابن عباس)(رضي الله عنه)، إلى أنّ الوجه الذي أُمر اليهود به هو عن طريق (المباهلة)، والمباهلة في اللغة تعني أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا[1]، أي: إن كنتم أيها اليهود صادقين من دعواكم، وإن الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس وانتم أولياء الله وأحباؤه، فباهلوا على ذلك بالدعاء على الفريق الكاذب منكم أو من المسلمين بالموت[2].

ويرجح الشيخ طنطاوي الرأي الأول معللاً ذلك بأمور هي[3]:

1. الرأي الأول أرجح لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ الذي نطقت به الآية.

2. هو الأقرب إلى معنى الآية أيضاً.

3. ليس في الآية إشارة إلى طلب المباهلة، وذلك لأن القرآن حينما دعا نصارى، نجران، جاء اللفظ صريحاً بها لقوله تعالى: ﭽ ۅ ۉ ۋ ې ى ﯦ ﯧ □ ﭼ[4]، ثم يخبرنا سبحانه بأن هؤلاء اليهود لن يتمنوا الموت أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من آثام، والله (عز وجل) لا تخفي عليه خافية من سيئاتهم واعتداءاتهم، بل هو سيسجلها عليهم، ويجازيهم عليها الجزاء الذي يستحقونه، والآية الكريمة خبر من الله تعالى عن اليهود بأنهم يكرهون الموت، ممتنعين عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمنيه، وذلك لعلمهم إنهم لو فعلوا ذلك لنزل بهم الموت، وكذلك لأن الرسول (ﷺ) لم يخبرهم خبراً إلا كان حقاً، كما أخبر فهم يحذرون أن يتمنوا الموت، وذلك خوفاً أن يحل بهم العذاب، بما كسبت أيديهم[5]، وفي هذا المعنى جاء قول الرسول محمد(ﷺ) قال:" لو إن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذي يباهلون رسول الله (ﷺ)، لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً"[6]، وهم بهذا يكونوا أكره الناس للموت، حتى

---

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور : 71/11، مادة (بهل) .
[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 221/1 .
[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 212/1 - 213 .
[4] سورة آل عمران : الآية (61) .
[5] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 213/1 .
[6] مسند الإمام أحمد بن حنبل : 99/4، رقم الحديث: 2226 .

من أهل الشرك أنفسهم، الذين لا يؤمنون بالبعث مطلقاً، ولاسيما إن اليهود هم أهل كتاب، يعني يؤمنون بالبعث، ولكنه ليس بذلك الإيمان الجازم الذي يدفعهم إلى العمل الصالح، وذلك لأن معالم البعث قد ضاعت وبعثرت(1)، بسبب التحريف الذي طال كتبهم المقدسة.

أما قول الزمخشري (رحمه الله): في (ٹ ٹ ٹ)، فهو من المعجزات، وذلك لأنه إخبار بالغيب، وكان كما أُخبر به، فإن قال قائل: ما أدراك أنهم لم يتمنوا الموت، قلت: لو تمنوا لنقل ذلك عنهم كما نقل عنهم سائر الحوادث، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الإسلام أكثر من الدر وليس أحداً منهم نقل عنه ذلك(2).

ويكفي لهذه المعجزة في تحقيقها، ألا يصدر تمني الموت عن اليهود الذي تحداهم النبي(ﷺ) بذلك، وهم الذين كانوا مجتهدين في وضع العراقيل في طريق الدعوة، وكانوا يصرون على جحود تلك النبوة السامية، فلا يقدح في هذه المعجزة أن ينطق يهودي بعد العهد النبوي بتمني الموت وهو حريص على الحياة، لأن المعنيين بالتحدي هم اليهود المعاصرون للعهد النبوي(3).

وبهذا ترى الباحثة أن اليهود أمة لا تتمنى الموت أبداً، سواء كان ذلك بسؤاله أو كان عن طريق المباهلة؛ لأنهم يعلمون علم اليقين إذ تمنوه نزل عليهم، وهلكوا، ومصداق ذلك ما جاء في معنى الآيتين الكريمتين، فضلاً عما جاء في الحديث النبوي الشريف.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : 370/2 - 371 .
(2) ينظر: الكشاف، الزمخشري : 167/1 .
(3) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 213/1 .

المبحث الثالث

مفهوم اليوم الآخر عند اليهود كما جاء في القرآن الكريم، وموقف سيد طنطاوي منه

مدخل:

لقد كانت الشريعة التي جاء بها موسى (عليه السلام) في أصلها شريعة تؤمن باليوم الآخر، وتقر بالبعث والنشور والجنة والنار والحساب، وكل مظهر من مظاهر اليوم الآخر، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم على لسان نبي التوحيد موسى (عليه السلام)، فقد جاء في قوله تعالى: چ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦچ[1]، فالآية الكريمة تُصرح بأن نبي الله موسى (عليه السلام) الذي كان من أبرز زعماء بني إسرائيل، الذي

---

[1] سورة غافر : الآية (27) .

ابتدأت النبوة به، وهذا على حد قولهم يستعيذ بالله من كل مستكبر عن الإيمان بالحق، كافر بيوم الحساب من ثواب أو عقاب، وفي هذا يتجلى صدق إيمانه، وقوة يقينه ووثوقه برعاية الله تعالى له[1].

المطلب الأول: مفهوم اليوم الآخر عند اليهود كما جاء في القرآن الكريم.

مدخل:

إن الإيمان باليوم الآخر، ركن أساسي من أركان جميع الشرائع التي أنزلها الله (تبارك وتعالى) على أنبيائه (عليهم السلام)، ولا تكاد تخلو أي شريعة صحيحة من الإيمان بهذا اليوم، وإلا كانت شريعة محرفة لا تؤمن أساساً بالله تعالى؛ لأن الإيمان بالله تعالى يعني الإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، فلهذا كان اليوم الآخر من أهم المحاور التي يقام عليها أي دين، سواء كان دين موسى (عليه السلام)، أو دين عيسى (عليه السلام) أو دين النبي الخاتم محمد(ﷺ)، فكل شرائع الأنبياء (عليهم السلام) هي من مصدر واحد وهو الوحي الإلهي وكل الأنبياء كانوا على طريق ونهج واضح، والدليل على ذلك كما جاء في القرآن الكريم: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[2].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 281/13 .
[2] سورة النساء : الآية (163) .

فالآية صريحة إن الشرائع التي جاء بها أنبياء الله كلها من وحي إلهي واحد، كما أشرنا إلى ذلك.

أولاً: تأصيل المسألة.

لابد من القول إن الآيات التي جاء بها القرآن الكريم كثيرة وصريحة بإيمان اليهود باليوم الآخر، إلا إنهم انحرفوا عن تلك العقيدة الصحيحة، وكان السبب في ذلك تحريفهم للنصوص التي جاءت بالإيمان باليوم الآخر، إلا إن القرآن الكريم دحض كل تلك المزاعم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ[1].

ثانياً: ردود الشيخ طنطاوي على المسألة.

1. يفسر الشيخ ما جاء في الآيات الكريمة: (ﭙ ﭚ ﭛ)، يخاطب الله تعالى نبيه موسى (عليه السلام) مبيناً له اصطفاءه واختياره من بين أفراد قومه لمهمة حمل الرسالة وتبليغ الدعوة، آمراً له بالاستماع بما يوحى إليه من ربه، منفذاً ما أمر به، لأنني (ﭚ ﭛ)، مستحق للعبادة والطاعة والخضوع فاعبدني عبادة خالصة لا يشوبها شيء، ثم ذكر تعالى الصلاة هنا للأسباب الآتية:

1. لأنها من أشرف العبادات وأفضل الطاعات.

2. الصلاة مشتملة على الكثير من الأذكار التي فيها الثناء على صفات الله وذاته العليا.

3. إن في إدامة الصلاة بخشوع وإخلاص، يؤدي إلى التذكير المستمر بالله تعالى والاتصال به[2].

---

[1] سورة طه : الآيتان (14 - 15) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 91/9 - 92 .

أو المعنى: وأدم الصلاة لذكري خاصة بحيث تكون خالصة لوجهي، ولا ياء فيها لأحد[1].

2. يعضد الشيخ ما قاله في أسباب ذكر الصلاة ما جاء عن الآلوسي (رحمه الله) في ذلك، إن ذكر الصلاة في الآية الكريمة كانت للأسباب الآتية:

أ . لاشتمالها على الأذكار.

ب . الصلاة خالصة لله (سبحانه) لا ترائي فيها ولا يشوبها ذكر غيره.

جـ . اشتمال الصلاة على الثناء بالله تعالى الذي يقابله الثواب.

د . ذكر الصلاة في الكتب السماوية والأمر بها[2].

ثم يذكر الشيخ ما قاله الآلوسي في قوله تعالى: (ٹ ٹ)، أقرب أن أخفي الساعة ولا أظهرها، بأن أقول إنها آتية...أو أريد إخفاء وقتها المعين وعدم إظهاره فكاد بمعنى أراد، وإلى هذا ذهب الأخفش وغيره ـ وروى عن ابن عباس: أن المعنى (ٹ ٹ) من نفسي، فكيف أظهركم عليها، وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من أن أحدهم إذا أراد المبالغة في كتمان الشيء قال: كدتُ أخفيه عن نفسي، وقال أبو على: المعنى أكاد أظهرها بأن أوقعها، وهذا بناء على أن أخفيها من ألفاظ السلب بمعنى أزيل خفاءها[3].

3. يستعين بالحديث النبوي الشريف في بيان معنى (الذكر)، مبيناً ان من بين الناس من حمل الذكر على ذكر الصلاة بعد نسيانها، والمراد أقم الصلاة عند تذكيرها، ففي الحديث الصحيح:" من نام عن صلاة أو نسيها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك"[4].

4. ثم بين طنطاوي الأسباب التي من أجلها خص تعالى الصلاة دون سائر العبادات مع إنها داخلة في العبادة المأمور بها في قوله: (ٹ) للأسباب الآتية:

---

[1] المصدر نفسه : 9/ 91 - 92 .
[2] تفسير الوسيط : 92/9، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 171/16 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 93/9، نقلاً عن تفسير روح المعاني، الآلوسي : 172/16 .
[4] صحيح بخاري رقم الحديث: 597، وصحيح مسلم رقم الحديث : 684 .

أ . الصلاة أكمل وسيلة توصل الإنسان إلى مداومة ذكر الله تعالى وخشيته.

ب . اشتمالها على ألوان متعددة من صور العبادة والطاعة، إذ فيها قراءة للقرآن الكريم، وفيها الصلاة على النبي(ﷺ).

جـ . فضلاً عن اشتمالها التسبيح والتمجيد.

ثم بين سبحانه لنبيه موسى (عليه السلام) (ٹ ٹ ٹ)، فوقت البعث والحساب والثواب آتي لا محالة في ذلك، وحاصل ولاشك فيه أبداً، إلا انه تعالى أخفى وقتها ولم يظهره لا على سبيل الإجمال ولا على سبيل التفصيل، ولولا الفائدة في إطلاع اصفيائه على بعض علاماتها، لما تحدث تعالى عنها قط[1]، والحكمة في ذلك تكمن (والحكمة في إخفاء الساعة وإخفاء وقت الموت، أن الله تعالى وعد بعدم قبول التوبة عند قربها، فلو عرفت وقت الموت لأشتغل الإنسان بالمعصية إلى قرب ذلك ثم يتوب، فيتخلص من عقاب المعصية، فتعريف الموت كالإغراء بفعل المعصية وهو لا يجوز)[2].

ثم يعرج طنطاوي على سبب إخفاء الساعة مبيناً أن الإخفاء هنا كان على حقيقته، وأن المقصود من الآية الكريمة إخفاء وقت مجيء الساعة عن الناس، حتى يكونوا على استعداد لمجيئها عن طريق العمل الصالح الذي ينفعهم يوم القيامة، فحكمة الله تعالى اقتضت إخفاء وقت الساعة، وعدم إطلاع أحد عليها إلا بالمقدار الذي يأذن الله تعالى به لرسله[3].

ثم يبين قوله تعالى: (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ) فهي متعلقة بـ(ٹ)، أي: إن الساعة آتية لا ريب فيها، لكي تجزى كل نفس على حسب سعيها وعملها في الدنيا، قال تعالى: چٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤچ[4].

وقال سبحانه: چڎ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[1].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 92/9 .
[2] المصدر نفسه : 93/9، نقلاً عن حاشية الجمل على تفسير الجلالين : 85/3 .
[3] ينظر: المصدر نفسه : 93/9 .
[4] سورة الإسراء : الآية (19) .

ثم حذر سبحانه من عدم الاستعداد للساعة، ومن الشك في إتيانها، مبيناً لنبيه موسى (عليه السلام) لا يصرفنك عن الإيمان بها، وعن العمل الصالح الذي ينفعك عند مجيئها، ومن لا يؤمن بها من الكافرين والفاسقين، متبعاً في ذلك هواه، أي: في إنكارها وتكذيبها، وكل ما يكون فيها من ثواب أو عقاب، فيكون مصيره الهلاك، فتهلك أنت إن طعت هذا الذي لا يؤمن بها، وفي هذا إشارة إلى بعض قومه الذين لا يؤمنون بالساعة، فالآية الكريمة فيها تحذير شديد من إتباع المنكرين لقيام الساعة والمعرضين على الاستعداد لها، بعد إن أكد تعالى في آيات كثيرة أن الساعة آتية لا ريب فيها[2].

وفي ذلك تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[3].

وبهذا نستطيع أن نستخلص من الآيات الكريمة ما يأتي[4]:

1. إثبات وحدانية الله تعالى كما في قوله تعالى: (ﭗ ﭘ ﭙ).

2. وجوب التوجه إلى الله تعالى وحده بالعبادة الخالصة.

3. يوم القيامة قائم ولا شك في ذلك مطلقاً، لكن في الوقت الذي يريده الله تعالى لقوله تعالى: (ﭧ ﭨ ﭩ).

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة وبشكل صريح إيمان موسى (عليه السلام)، وقومه باليوم الآخر، كما جاء وصفه بالقرآن الكريم، محذراً إياه من بعض الذي لا يؤمن بذلك اليوم، موضحاً مصيره في ذلك، ففي هذه الآيات إشارة إلى من لا يؤمنون باليوم الآخر من

---

(1) سورة الزلزلة : الآيتان (7 - 8) .
(2) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 9/ 94 .
(3) سورة الحج : الآيتان (6 - 7) .
(4) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 94/9 .

اليهود، بالرغم من التحذير الشديد الموجه لنبيهم في إنكار هذا الذي قام بدوره، فبلغ رسالته ووضحه دعوته، وأثبت إيمانه بذلك اليوم كما جاء في القرآن الكريم.

نصوص من القرآن الكريم تعضد إيمان اليهود باليوم الآخر:

لابد من الإشارة إلى إن عقيدة اليهود، هي عقيدة الإسلام، والتي من أركانها الإيمان باليوم الآخر، والدليل على ذلك ما جاء على لسان نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ولاسيما إنه أحد أنبياء بني إسرائيل، فقد جاء في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ چ[1]. هذا نبي الله موسى (عليه السلام) يستعذ من كل مستكبر من قومه لا يؤمن بالله تعالى لقوله: چ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦچ[2]، ففي هذه الآية إشارة واضحة على مستكبرين على الحق من اليهود، كافرين بيوم الحساب وكل ما فيه من عقاب أو ثواب[3].

ومن الأدلة الدامغة على الإيمان باليوم الآخر عند اليهود كما جاء في القرآن الكريم، تلك المحاورات الطويلة التي دارت بين كل من موسى (عليه السلام) وفرعون والسحرة، والتي انتهت كما هو معروف بانتصار الحق واندحار الباطل وذلك بقوله تعالى: چ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ چ[4].

---

[1] سورة البقرة : من الآية (126) .

[2] سورة غافر : الآية (27) .

[3] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 281/12 .

[4] سورة طه : الآيات (72 - 76) .

حكى لنا سبحانه وتعالى أن السحرة بعد أن استقر الإيمان في قلوبهم، قد قابلوا تهديد فرعون لهم بالاستخفاف وعدم الإكتراث، فقالوا: لن نختارك يا فرعون على الذي جاءنا من البينات على يد موسى (عليه السلام) ولا على الذي خلقنا وأوجدنا في هذه الحياة، ثم يصرح السحرة بأن تهديد فرعون لهم لا وزن له عندهم قائلين في ذلك: لن نقدم طاعتك على طاعة خالقنا بعد أن ظهر لنا الحق، فافعل ما أنت فاعله ونفذ ما تريد تنفيذه في جوارحنا، فهي وحدها التي تملكها، أما قلوبنا فقد استقر الإيمان بها، ولا تملك شيئاً من صرفها عما آمنت به[1]، ثم يعرج السحرة على فرعون قائلين له: افعل يا فرعون ما أنت فاعله بأجسامنا، فإن فعلك هذا إنما يتعلق بحياتنا الدنيا وهي سريعة الزوال وعذابها أهون بكثير من عذاب الآخرة، قائلين له إنا آمنا بربنا وخالقنا ومالك أمرنا، ليغفر لنا خطايانا السالفة، التي اقترفناها بسبب الكفر والإشراك به (سبحانه) وكذلك ليغفر لنا على ما أكرهتنا عليه من السحر الذي عارضنا به موسى (عليه السلام) معارضة الباطل على الحق، وقد كنا لا نملك أن نعصيك، ثم صرحوا له بأن ثواب الله لهم خير من ثوابك يا فرعون، معللين بذلك؛ لأنه نقض معه، فضلاً عن عطاءه الذي يكون أبقى من كل عطاء.

ثم بين الله تعالى حال من جاء إلى ربه مجرماً، أي: مرتكباً لجريمة الكفر والشرك بالله، فان له جهنم يُعذب فيها عذاباً شديداً ومن مظاهره أنه لا يموت فيها فيستريح ولا يحي حياة فيها راحة، ثم بين سبحانه المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة فأن لهم المنازل الرفيعة والمكانة السامية[2].

وبهذا نستطيع أن نستخلص من الآية الكريمة ما يأتي:

1. كيفية عمل الإيمان عندما يستقر بالقلوب وهذا استقرار الإيمان في القلوب عن سائر جوارح الجسم.

---

[1] تفسير الوسيط، طنطاوي : 128/9 - 129 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 130/9 .

2. المعجزات التي أُعطيت لنبي الله موسى (عليه السلام) التي أوجبت على قومه الإيمان به وبكل ما جاء في شريعته من توحيد الله إلى الإيمان باليوم الآخر الذي يُعد ركناً أساسياً من شريعة موسى (عليه السلام).

3. استكبار قوم موسى (عليه السلام) عن الدين الذي جاء به، والدليل على ذلك زعيم الكفر فرعون ومن معه من قوم موسى (عليه السلام).

4. الإقرار من قبل السحرة الذين هم من بني إسرائيل بانقضاء الحياة الدنيا، ووجوه الآخرة التي يكون فيها إما ثواب أو عقاب.

5. بيان عاقبة كل من الفريقين، فالجنة تكون لمن آمن وأصلح، والنار لمن كفر وأشرك، وفي هذا إشارة إلى الإيمان باليوم الآخر.

6. هذه الآيات جميعها تحمل الإيمان المطلق من قبل نبي التوحيد موسى (عليه السلام)، ومن آمن من بني إسرائيل من قومه باليوم الآخر، فهذا إن يدل على إيمان اليهود باليوم الآخر وبكل ما جاء فيه من ثواب أو عقاب...إلخ من المظاهر لهذا اليوم في الشريعة الموسوية الصحيحة، وكذلك يدل على التحريف الذي طال التوراة.

ثم يخبرنا تعالى عن مؤمن آل فرعون وهو يدافع عن موسى (عليه السلام)، وذلك كما جاء في قوله تعالى: چ ﮯ ﮯ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ ى ىچ[1].

يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآيات الكريمة مبيناً لنا حكاية الرجل المؤمن الذي آمن بما جاء به موسى (عليه السلام)، وعندما استمع إلى ما قاله فرعون من قول باطل وغرور قائلاً إلى قوم موسى (عليه السلام) من بني إسرائيل، اتبعوني فيما نصحتكم به، فأن في

---

(1) سورة غافر : الآيات (38 - 40) .

إتباعكم هذا هداية إلى الطريق الحق الذي فيه صلاح وسعادة أبدية لكم، أما اتباعكم لفرعون فيؤدي بكم إلى الهلاك وإلى طريق الغي والضلال[1]، مبيناً لهم ما يأتي[2]:

1. الحياة الدنيا متاع زائل مهما طالت أيامه.

2. الدار الآخرة هي دار البقاء والدوام والخلود.

3. من عمل سيئة في الحياة الدنيا، فسوف يجازي بها في الآخرة ولكن بمثلها، وهذا من عدل الله (سبحانه وتعالى).

4. من عمل صالحاً في الحياة الدنيا، فسوف يجازيه الله بالجنة وهذا من عدل الله (تبارك وتعالى).

تبين في هذه الآيات الكريمة على إيمان اليهود باليوم الآخر ولكن كما جاء في الشريعة والرسالة التي حملها نبي الله موسى (عليه السلام) بخلاف تلك النصوص المحرفة التي جاءت في التوراة المحرفة التي تدل وبشكل قاطع على عدم إيمان اليهود باليوم الآخر كما مر ذكره.

ثم يذكر لنا الله (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز، حال كثير من الناس الذين يؤثرون الحياة الدنيا، على ما كان في الآخرة وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ[3].

يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآيات الكريمة قائلاً: بعد أن بيّن الله تعالى أسباب الفوز والفلاح في الآخرة، ذكر لنا ان كثير من بني آدم يقدم زينة الحياة وشهوتها ومتاعها على ما كان في الآخرة من منافع جمة، وإن ما في الآخرة من نعيم خير وأبقى من حطام الدنيا، وذلك لأن الدنيا ومتاعها زائل، أما نعيم الآخرة فهو باقٍ لا يزول[4].

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 293/12 .
[2] ينظر: المصدر نفسه : 293/12 .
[3] سورة الأعلى : الآيات (16 - 19) .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 368/15 .

ثم ختم سبحانه وتعالى هذه الآيات الكريمة بذكر الصحف الأولى وهي صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام)، اللذان كانا نبيان مرسلان إلى بني إسرائيل، مبيناً إن ذلك الفلاح الحاصل من التزكية لأنفسكم، ومن الإيثار للحياة الدنيا على الآخرة، لكائن وثابت ومذكور في صحف كل من إبراهيم وموسى (عليهما السلام)، ليعلما الناس ما اشتملت عليه تلك الصحف من آداب وأحكام ومواعظ، ثم بين الله تعالى إن هذه الصحف هي لنبيين كريمين من أولي العزم من الرسل، وذلك تنويه بشأنها مع إعلاءً في قدرها[1].

ففي هذه الآيات إشارة واضحة على إيمان بعض اليهود باليوم الآخر، مع نصيحة البعض الآخر على الإيمان بكل ما جاء إبراهيم وموسى (عليهما السلام)، وهذا يؤكد لنا حقيقة واضحة إن الينبوع الذي سُقي به أنبياء الله تعالى هو نفس الينبوع الإلهي والطريق التي يسير بها أنبياء الله تعالى، وهي نفس الطرق، فضلاً عن الوحي الذي أنزله تعالى هو نفس الوحي والحقوق والواجبات كلها متأخية في كل الشرائع ولا سيما الإيمان باليوم الآخر.

ثم يصف الله تعالى ما كانت عليه اليهود، قبل أن ينحرفوا من العقيدة الصحيحة، وقبل أن يطال التحريف كتبهم المقدسة، وذلك ما جاء في قوله تعالى: چ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[2].

قال الحافظ ابن كثير، معلقاً على هذه الآيات الكريمة: المشهور عند كثير من المفسرين أن هذه الآيات الكريمة نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد، وثعلبة بن شعبة وغيرهم، مبيناً تعالى عدم الاستواء بين أهل الكتاب، فمنهم المؤمن ومنهم المجرم[3]، فليس أهل الكتاب متساوين في الكفر وسوء الأخلاق، بل منهم طائفة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعة مستقيمة على طريقته ثابتة على الحق ملازمة له، لم تتركه كما تركه

---

[1] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 368/15 - 369 .
[2] سورة آل عمران : الآيات (113 - 115) .
[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 91/2 .

الأكثرون من أهل الكتاب وضيعوه[1]، والمراد بهذه الطائفة من أهل الكتاب التي وصفها الله تعالى: (ۋ ۋ) أولئك الذين أسلموا منهم واستقاموا على أمر الله وأطاعوه في السر والعلن، كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي ومن آمن معه من النصارى، فهؤلاء آمنوا بكل ما يجب الإيمان به، ولم يفرقوا بين أنبياء الله ورسله، فمدحهم الله على ذلك وأثنى عليهم، فهم الذين استقاموا على الحق ولزموه، وأكثروا من تلاوة آيات الله في صلاتهم التي يتقربون بها إلى الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار[2]، ثم يصفهم الباري (عز وجل) بصفات كريمة أخرى وهي الإيمان المطلق بالله تعالى وعلى الوجه المقبول الذي نطق به الشرع، وجاء به النبي(ﷺ)، فضلاً عن إيمانهم باليوم الآخر وكل ما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار.

ثم يصفهم تعالى على ما كانوا عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إشعاراً منه تعالى إلى إنهم لم يكتفوا بتكميل أنفسهم بالفضائل التي من أشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر، والإكثار من الصلاة ومن تلاوة القرآن، بل أضافوا إلى ذلك إرشاد غيرهم إلى الخير الذي لأمر الله به، ونهيه عن الباطل الذي يبغضه الله، وتستنكره العقول السليمة[3]، فضلاً عن مسارعتهم في الخير، فهم الذين استقروا في كل أعمالهم على طريق الخير، فهم في دائرة واحدة هي دائرة الخير ينتقلون بين زواياها وأقطارها ولا يخرجون منها، وجيء بلفظ المسارعة دلالة على فرط الرغبة في الخير، لأن من رغب في أمر ما سارع إليه وفي توليه وفي القيام به، واختيار صيغة المفاعلة للمبالغة في سرعة نهوضهم لهذا العمل الجامع لفنون الخير، وألوان البر[4].

قال صاحب الكشاف في هذا: (وقوله يتلون ويؤمنون في محل رفع، صفتان لأمة، أي: قائمة تالون مؤمنون، وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله؛ لأن إيمانهم به، كلا إيمان لإشراكهم به عزيزاً، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض، ومن الإيمان باليوم الآخر؛ لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن

---

(1) تفسير الوسيط، طنطاوي : 226/2 .
(2) تفسير الوسيط، طنطاوي : 226/2 - 227 .
(3) المصدر نفسه : 227/2 .
(4) ينظر: المصدر نفسه : 228/2 .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم كانوا مداهنين، ومن المسارعة في الخيرات؛ لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها)[1].

ثم يعلق الشيخ طنطاوي قائلاً: إن الموصوفين بتلك الصفات الجليلة الشأن هم من جملة الصالحين، الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضى عنهم، واستحقوا بذلك ثناءه ومدحه، وفيه إشارة إلى إنهم بهذه المزايا وتلك الصفات، قد انسلخوا من عداد أهل الكتاب الذين ذمهم الله تعالى ووصفهم بأن أكثرهم من الفاسقين، فهم بهذه الصفات خرجوا من صفوف المذمومين إلى صفوف الممدوحين[2].

واستدل الفخر الرازي (رحمه الله) بأن وصفهم بالصلاح كان في غاية المدح بالأدلة الآتية[3]:

1. القرآن، لأن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء، فقال بعد ذكر إدريس وإسماعيل وذي الكفل وغيرهم: چ ڎ ڎ ڎٌّ ژ ژ ڑ چ[4]، وكذلك في الحكاية عن سليمان (عليه السلام) عندما قال چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[5].

2. المعقول، لأن الصلاح ضد الفساد، وكل مالا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء أكان ذلك في العقائد أم في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات.

ثم يبشرهم سبحانه بعد أن وصفهم بتلك الصفات الكريمة، بأن ما يقدموه من خير فلم يحرموا ثوابه، لأنه سبحانه عليم بأحوال عباده ولن يضيع أجر من أحسن عملاً[6].

وبهذا ترى الباحثة ومن خلال ما تم عرضه من أقوال المفسرين إن هنالك طائفة من أهل الكتاب تؤمن بالله تعالى الإيمان المطلق، بل نؤمن بكل ما جاء به محمد(ﷺ) من الإيمان

---

[1] الكشاف، الزمخشري : 402/1 - 403 .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 228/2 .
[3] التفسير الكبير، الرازي : 334/8 .
[4] سورة الأنبياء : الآية (86) .
[5] سورة النمل : من الآية (19) .
[6] تفسير الوسيط، طنطاوي : 229/2 .

بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بكل ما فيه من بعث وحساب وجنة ونار، وبهذه الآيات يمكننا دحض كل المزاعم عدم إيمان اليهود وبشكل مطلق بذلك اليوم وبكل ما فيه، بل ندحض كل المزاعم التي تصف ذلك اليوم، بصفات يرغبون بها، بل يصفونها بما تشتهي أنفسهم، إلا إن كتاب الله (القرآن الكريم)، كان مهيمناً بكل ما يدّعون.

ثم يرد عنهم الله تعالى برادع آخر ومن القرآن الكريم، مبيناً فيه ذكر الجنة في كل من التوراة والإنجيل، وما الجنة إلا مظهر من مظاهر اليوم الآخر، وفي هذا دليل قاطع على كل من اليهود والنصارى، الذين لم يؤمنوا باليوم الآخر، كما جاء وصفه بالقرآن الكريم، فق قال تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۋ ۅۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ى ى ي ي ☐ چ[1]، صوّر تعالى جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم في سبيله، وجزاءهم على ذلك بالجنة، صوره بالبيع والشراء على سبيل الاستعارة، أي: إن الله تعالى، وهو المالك لكل شيء، قد اشترى من المجاهدين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله، وأعطاهم في مقابل ذلك الجنة[2].

وقيل في هذا أيضاً:" الآية الكريمة ترغيب للمؤمنين في الجهاد، وقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه، حيث عبّر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد: أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة الصفقة: الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم، ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها، إيذاناً بتعليق كمال العناية بهم وبأموالهم، ثم إنه لم يقل (الجنة) بل قال:" (ۋ ۋ ۅ) مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم فكأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم"[3].

---

[1] سورة التوبة : الآية (111) .
[2] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 409/6 .
[3] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي : 104/4 - 105 .

ثم بيّن الله تعالى الوسيلة التي توصلهم للجنة، وهي القتال في سبيل الله، أي: أنهم يقاتلون في سبيل الله، فمنهم من يقتل أعداء الله، ومنهم من يُقتل على أيدي هؤلاء الأعداء، وكلا الفريقين القاتل والمقتول جزاءه الجنة، ثم يبين الله تعالى لنا إن هذه الجنة التي هي جزاء المجاهدين، قد جعلها الله تعالى لهم تفضلاً منه وكرماً حقاً لهم عليه، وقد أثبت ذلك في الكتب السماوية التي أنزلها على رسله[1]. هذا إن دل فهو يدل وبشكل واضح ذكر لليوم الآخر في كل من التوراة والإنجيل، لأن الجنة هي مظهر من مظاهر ذلك اليوم، وقد ذكرها الله وأثبتها بالكتب السماوية الصحيحة على أنبياءه، ولاسيما أنبياء بني إسرائيل.

يعلق الآلوسي على هذه الآية الكريمة قائلاً: إن الوعد الذي واعد به الله تعالى المجاهدين، وعداً مثبتاً في كل من التوراة والإنجيل كما هو مثبت في القرآن، فالمراد إلحاق مالا يعرف بما يعرف، إذ من المعلوم ثبوت هذا الحكم في القرآن، ثم إن ما في الكتابين إما أن يكون ان أمة محمد(ﷺ) اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بذلك، أو أن من جاهد بنفسه وماله، من حقه ذلك، وفي كلا الأمرين ثبوت موافق لما في القرآن[2].

إذن إذا كان الأمر كذلك فافرحوا ببيعكم الذي بايعتم به غاية الفرح، وارضوا بها نهاية الرضى، فإن ذلك البيع هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه[3].

وترى الباحثة إن ذكر الجنة والوعد بها في كل من التوراة والإنجيل والقرآن، ما هو إلا دليل دامغ على وجود اليوم الآخر في كتب كل من اليهود والنصارى، فلا يسمح لهم بعد هذا إنكار ذلك اليوم وما فيه من جزاء من ثواب أو عقاب؛ لأن الشاهد عليهم اليوم هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل أبداً.

ثم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم، عدم إيمان اليهود باليوم الآخر، فقد جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ

---

(1) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 6/409 - 410 .
(2) ينظر: روح المعاني، الآلوسي : 6/29 .
(3) تفسير الوسيط، طنطاوي : 6/410 .

ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ[1]، تُعد هذه الآية الكريمة أول أمر نزل من السماء لقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان ذلك في السنة التاسعة، ولهذا تجهز رسول الله (ﷺ)، لقتال الروم، ثم دعا الناس إلى ذلك وبعث إلى أحياء العرب التي كانت حول المدينة المنورة، فندبهم فتجهزوا معه، واجتمع نحو ثلاثين ألف مقاتل، وكان ذلك في عام جدب ووقت قبظ حر، حيث خرج رسول الله (ﷺ)، يريد الشام لقتال الروم، فبلغ تبوك ونزل بها وأقام بها نحو عشرين يوماً، ثم استحار الله في الرجوع، فرجع وكان السبب في ذلك لضيق الحال وضعف الناس[2].

ثم يعلق الشيخ طنطاوي على هذه الآية الكريمة قائلاً: وقوله تعالى: (ﭼ ﭽ) أمر منه سبحانه للمؤمنين بقتال أهل الكتاب، وبيان للأسباب التي اقتضت هذا الأمر، وهي[3]:

أولاً: إنهم كانوا لا يؤمنون بالله تعالى؛ لأنهم لو كانوا يؤمنون به الإيمان الصحيح، لاتبعوا رسوله الكريم محمد(ﷺ) من جهة، ولأن من قال: إن عزيز ابن الله، ومنهم من قال: إن المسيح ابن الله، وقولهم هذا كفر صريح لأنه سبحانه منزه عما يقولون.

ثانياً: انهم لا يؤمنون باليوم الآخر، على الوجه الذي أمر الله تعالى به، ومن كان كذلك كان إيمانه، على فرض وجوده كلاً إيمان.

ورب سائل يسأل، إذا كان كل من اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر فكيف نفى الله عنهم ذلك؟

أقول: نفى الله عنهم ذلك للأسباب الآتية[4]:

أولاً: إن إيمانهم بالله تعالى وباليوم الآخر باطل لا يفيد، والدليل على ذلك كان.

---

[1] سورة التوبة : الآية (29) .
[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : 116/4 .
[3] تفسير الوسيط، طنطاوي : 250/6 .
[4] ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : 250/6 حاشية الجمل على تفسير الجلالين : 375/3

1. عدم إيمانهم بالنبي محمد(ﷺ) فلما لم يؤمنوا به كان إيمانهم بالله وباليوم الآخر كالعدم فصح نفيه في الآية الكريمة.

2. لأن إيمانهم بالله كان ليس كإيمان المؤمنين، والدليل على ذلك إن اليهود يعتقدون بالتجسيم والتشبيه، والنصارى يعتقدون بالحلول، ومن اعتقد بذلك فليس مؤمن بالله، بل هو مشرك.

ثانياً: إيمانهم باليوم الآخر ليس كإيمان المؤمنين، والدليل على ذلك كان:

1. لأنهم يعتقدون بعث الأرواح دون الأجساد.
2. أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون.
3. إنهم يرون نعيم الجنة وعذاب النار يتعلقان بالروح فقط ولا شأن للجسد بذلك، ومن اعتقد بذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن.

ثالثاً: أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله محمد(ﷺ)، في كل من القرآن والسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن عدم التزامهم بما حرمته شريعتهم على ألسنة رسلهم، وإنما غيروا وبدّلوا فيها على حسب ما تمليه عليهم أهواءهم، أي: أنهم لا يحرمون ما حرمه الله لا في شريعتنا ولا في شريعتهم، فاليهود بجانب كفرهم بشريعتنا لم يطيعوا شريعتهم، والدليل على ذلك أنهم استحلوا أكل أموال الناس بالباطل مع أن شريعتهم نهتهم عن ذلك، وفي هذا قال تعالى مخبراً عنهم: چۉ ۉ ۋ ۋ ې ې ۑ ۑ □چ[1]، أما النصارى فهم بجانب كفرهم بشريعتنا لم يطيعوا شريعتهم أيضاً بدليل إنهم ابتدعوا الرهبانية مع إن شريعتهم لم تشرع لهم ذلك[2]، والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: چ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ںچ[3].

رابعاً: إنهم لم يدينوا بدين الحق، أي: انهم لا يتخذون دين الإسلام ديناً لهم، مع انه الدين الذي ارتضاه الله لعباده، والذي لا يقبل سبحانه ديناً سواه، قال تعالى: چ ڃ چ چ چ

---

[1] سورة النساء : من الآية (161) .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 250/6 .
[3] سورة الحديد : من الآية (27) .

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ[1]، ويصح أن يكون المراد بدين الحق ما يشمل دين الإسلام وغيره من الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء السابقون، وإنما يتبعون أحبارهم ورهبانهم فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم[2]، ثم يميز الله تعالى في هذه الآية الكريمة بعد أن بين الصفات الأربعة التي يتصف بها أهل الكتاب، والتي ترتب عليها قتالهم، فهو والذي أنزل عليهم التوراة والإنجيل عن طريق موسى وعيسى (عليهما السلام)، ولكنهم لن يعملوا بتعاليمهما وإنما عملوا بما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم، وفي هذا تميز عن المشركين عبدة الأوثان في الحكم، وذلك لأن حكم المشركين قتالهم حتى يسلموا، أما حكم أهل الكتاب فهو القتال أو الإسلام أو الجزية[3].

وبهذا ترى الباحثة إن هذه الآية الكريمة إنما هي الدليل القاطع الذي يخرس ألسنة كل من اليهود والنصارى وزعمهم في الإيمان بالله من جهة، والإيمان باليوم الآخر من جهة أخرى، بل صرح تعالى بقتالهم، مبيناً أسباب ذلك القتال ابتداءً من عدم الإيمان بالله تعالى، وانتهاءً بعدم إيمانهم باليوم الآخر، فلا يحق لهم بعد هذا، أي ادعاء بإيمان وما يتصل له؛ لأن قول الله تعالى هو الحق بلا منازع، ولو كره المشركون.

---

[1] سورة المائدة : من الآية (3) .
[2] تفسير الوسيط، طنطاوي : 251/6 .
[3] المصدر نفسه : 253/6 .

الخاتمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ويعد البحث في كثير من المصادر والمراجع، توصلت إلى نتائج عدة أهمها:

1. اضطراب مفهوم الإله عند اليهود اضطراباً بالغاً، والسبب يرجع في ذلك إلى انحراف اليهود عن عقيدة التوحيد التي جاء بها الرسل ولاسيما نبي الله موسى (عليه السلام).

2. الإشراك بالله صفة ملازمة لليهود، لا تنفك عنهم، والسبب يرجع في ذلك إلى قصور العقل المادي اليهودي، الذي صنعه كبرهم، أن يدرك إن هناك إله واحد لا شريك له.

3. تشويه اليهود لصورة أنبياء الله (عليهم السلام) كان الهدف من ذلك، تعبيد الطريق أمام انحرافهم الفكري والاجتماعي والأخلاقي فيما بعد.

4. مفهوم النبوة عند اليهود مفهوم مشوش البحث فيه، عقيم، والهدف من وراء ذلك تسهيل لكثير من الأمور التي ترضي انحرافهم الفكري والعقدي، وتمرير لكثير من المواضع التي ترضي أهواءهم.

5. عدم إيمان اليهود باليوم الآخر مطلقاً معضدين ذلك بنصوص طالها التحريف في التوراة.

6. اليهودية ديانة جديدة ظهرت في أرض بابل، فهي ليست الرسالة التي جاء بها موسى (عليه السلام)، فهي مزيج من نصوص طالها التحريف، والدليل على ذلك عدم التوافق الواضح بين نصوص التوراة، وبين الحقائق العلمية الثابتة في ضوء القرآن الكريم.

7. التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم، توراة محرفة، وإن كان فيها بقايا من التوراة التي أنزلها الله على موسى (عليه السلام).

8. اليهودية اليوم أسلوب حياة، لا عقيدة تعتقد.

9. يعد تفسير (الوسيط لمحمد سيد طنطاوي) من التفاسير المهمة الجامعة، فهو خلاصة لتفاسير عدة، لأنه يذكر أقوال كبار العلماء مثل الطبري، وابن كثير، والرازي، والقرطبي، والآلوسي ...إلخ، وهذا إن دل فهو يدل على نباهته وذكائه وسعة علمه وإدراكه.

10. يذكر أقوال العلماء في المسألة الواحدة، بعد التمحيص والتدقيق ويناقشها نقاشاً علمياً، ثم يرجح ما استقرت عليه الدلائل العلمية.

11. رد الشيخ طنطاوي على مزاعم اليهود الباطلة في كل من مفهوم الإله ومفهوم النبوة والملائكة واليوم الآخر، بأدلة علمية ثابتة في ضوء القرآن الكريم.

التوصيـــــــــــات

1. إلقاء الضوء على حقيقة اليهودية اليوم، وكشف ما تضمه من عقائد وثنية خطيرة، فضلاً عن غرس العقيدة الإسلامية في الجيل القادم.

2. البحث في التوراة، ولكن في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حتى يتبين عمق التحريف والنزيف الذي طال التوراة.

3. اعتماد تفسير الوسيط في الدراسة الجامعية، لما فيه من خلاصة أقوال كبار العلماء، فضلاً عن الأسلوب السهل الذي كُتب فيه هذا التفسير ليكون في متناول الجميع، وما يحويه التفسير من قيمة علمية رائعة تدل على سعة أفق مؤلفة (رحمه الله).

4. علم (مقارنة الأديان)، من العلوم المهمة جداً، ووسيلة قوية تلائم العصر، ولاسيما في الحوار مع الأديان الأخرى للدفاع عن الإسلام، ولهذا يجب أن يدخل ضمن مناهج التربية الإسلامية في المدارس الإعدادية، لتوعية الجيل المسلم من جهة، ولما في طيات هذا العلم من فوائد عظيمة لا يمكن أن تهمل.

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع، ولا أزعم إني قد وفيت الموضوع حقه، ولكن حسبي أنني بذلت جهدي فيه، فإن أصبت فمن الله التوفيق، وإن أخطأت فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

+ الكتاب المقدس.

1. أبحاث في الفكر اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، دار العلوم ـ بيروت، ط1 (1407هـ ـ 1997م) .
2. إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، دار الهلال . القاهرة، ط1.
3. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1394هـ ـ 1972م).
4. الألوهية في الأسفار اليهودية، عبد المنعم فؤاد، مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (1425هـ ـ 2000م) .
5. التوراة، مصطفى محمود.
6. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للأديان، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة ـ مصر (1384هـ . 1964م) .
7. الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دراسة الجوانب الاعتقادية في اليهودية والمسيحية، صابر طعيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1985م.
8. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، دار الوفاء ـ المنصورة، ط1، 1407هـ .
9. الإسلام والأديان ـ دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الدعوة ـ الإسكندرية، ط1، 1990م .
10. أصول الدين الإسلامي، رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، طبعة الإمام الأعظم، بيروت . لبنان، ط2 (1432هـ . 2011م) .

11. أطلس الأديان، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوت، مكتبة العبيكان، ط1 (1428هـ ـ 2007م) .

12. أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 (1407هـ ـ 1987م) .

13. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، مرعي بن يوسف بن ابي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الجنبلي (ت1033هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1، 1406هـ .

14. إلجام العوام عن علم الكلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، طبعة القاهرة .

15. الألوهية عند بني إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبي البابلي، محمد علي حسين هواري، رسالة دكتوراه، بقسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب/ جامعة عين شمس، 1983.

16. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1 (1428هـ ـ 2008م) .

17. الأنبياء دروس في الكتاب المقدس ـ المنشورات العمدانية .

18. الأنبياء والنبوة، إبراهيم مطر، مكتبة مشعل الإنجيلية ـ بيروت، 1958م .

19. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1، 1418هـ .

20. الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد محمد الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1.

21. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 (1408هـ . 1998م) .

22. بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ت570هـ)، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجبل . بيروت، ط3 (1410هـ . 1990م).

23. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، طبعة دار الشروق الأولى، ط2 (1420هـ . 2000م).

24. تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي محمد الزغبي، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، ط1 (1414هـ ـ 1994م) .

25. تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، المجمع العلمي العراقي.

26. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيلب متى، ترجمة: جورج حداد، دار الثقافة ـ بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرا تكلين للطباعة والنشر، بيروت، القاهرة، بغداد، نيويورك، 1958م.

27. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر . تونس، 1984م.

28. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار النشر، مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض .

29. ترجمان الأديان، أسعد السرجاني، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط2 (1433هـ . 2012م) .

30. التعريفات، علي محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1 (1403هـ ـ 1983م) .

31. التفسير الحديث للكتاب المقدس، ترجمة: نكلس شيم، دار الثقافة ـ القاهرة، ط1 .

32. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1 (1420هـ ـ 1999م) .

33. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني، الحسيني (ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1410هـ ـ 1990م) .

34. تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1419هـ .

35. تفسير القمي، لأبي حسن القمي (ت329هـ)، صححه: السيد طبيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ط3 (1404هـ ـ 1983م) .

36. التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط3، 1420هـ .

37. تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 (1412هـ ـ 2002م) .

38. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة ـ مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ط1، 1997م.

39. تفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق، ط1 (1422هـ ـ 2002م) .

40. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزديالبلخي (ت150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ـ بيروت، ط1، 1423هـ.

41. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام، سعد بن منصور بن كمونة، دار الأنصار، المطبعة الفنية ـ القاهرة .

42. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، لعبد الله لابن عباس (رضي الله عنهما)(ت68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ لبنان .

43. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان، ط1، 2001م .

44. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ . 2000م).

45. ثقتي في التوراة والإنجيل، جوش مكدويل، ترجمة: القس منيس عبد النور، دار الثقافة ـ القاهرة .

46. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي، أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الرسالة، ط1 (1420هـ . 2000م) .

47. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي (ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة الباب الحلبي ـ مصر، ط2 (1395هـ . 1975م) .

48. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ط2 (1384هـ ـ 1994م).

1. جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، سميرة عبد الله بكر بنائي/ جامعة أم القرى (1418هـ ـ 1997م)، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها برقم (14) .

49. جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى، بدر بن محمد طراد المعيقل .

50. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت728هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور علي بن حسن بن ناصر، الدكتور عبد العزيز العسكر، الدكتور حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع .

51. جواهر الإيمان في صحيح الأديان، صلاح العجماوي.

52. الحركة الصهيونية، إسحاق جون فيم، ترجمة: جودت السعد، دار الحافظ، إربد ـ الأردن، ط1 (1404هـ ـ 1983م) .

53. دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن وطلب)، بطرس البستاني، دار المعرفة ـ بيروت (ب ـ ط)(ب ـ ت) .

54. دائرة المعارف الكتابية، جوزيف صابر وآخرون، دار الثقافة ـ القاهرة .

55. دائرة المعارف، بطرس البستاني، طبعة دار المعرفة ـ بيروت (1300هـ ـ 1882م).

56. الدر المنثور في التأويل بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ). دار الفكر ـ بيروت، (ب ـ ط)(ب ـ ت) .

57. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعد عبد العزيز خلف، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ط1، 1414هـ .

58. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، ط1 (1418هـ ـ 1997م) .

59. دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت430هـ)، تحقيق: أحمد رواسي، دار النفائس ـ بيروت، ط2 (1406هـ ـ 1986م) .

60. الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار ـ مكة المكرمة، ط1 (1410هـ ـ 1981م) .

61. رسالة التوحيد، محمد عبده، دار إحياء العلوم ـ بيروت، 1962م .

62. الرسول (ﷺ) واليهود وجهاً لوجه، معالم النصر على اليهود، سد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية (1413هـ ـ 1992م).

63. الرسول (ﷺ) وجهاً لوجه، أسطورة الوطن اليهودي، سد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية (1413هـ ـ 1992م) .

64. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الآلوسي (ت1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1415هـ .

65. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط3، 1404هـ .

66. سبل الهوى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1 (1414هـ ـ 1993م) .

67. سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم (عليهما السلام)، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم ـ الأردن، ط1 (1425هـ ـ 2004م) .

68. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي (ت648هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 (1405هـ ـ 1985م) .

69. السيف الصقيل في الرد على البرهان الجليل، الشيخ بكر أفندي التميمي الراوي .

70. الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ، سمات، مصير، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم ـ دمشق، ط1 (1419هـ ـ 1998م).

71. شرح الفقه الأكبر، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1404هـ.

72. الصحة النفسية، دراسة سيكولوجية التكييف، نعيم الرفاعي، المكتب الجامعي ـ مصر .

73. صدى النبوات في الماضي في الحاضر في المستقبل، حليم إبراهيم ارسنادي.

74. صحيح بخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ .

75. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، (ب ـ ط)(ب ـ ت).

76. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (1417هـ ـ 1997م) .

77. العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد أنيس، دار ابن الجوزي، (ب ـ ط)(ب ـ ت).

78. العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها، خالد رحال صلاح، دار العلوم العربية ـ بيروت، ط1 (1427هـ ـ 2007م) .

79. عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2005م.

80. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح، دار الصفا . القاهرة، ط2 (1410هـ . 1990م).

81. علم اللاهوت الكتابي، جوهاردوس قوس، ترجمة: عزت زكي (ت ـ ط)(ب ـ ت).

82. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة . بيروت (ب ـ ط)، 1379هـ، رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف عليه وطبعه: محي الدين الخطيب.

83. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ)، مكتبة الخانجي ـ القاهرة (ب ـ ط)(ب ـ ت).

84. فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة، آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ـ القاهرة، ط1 .

85. فهرس الكتاب المقدس، جورج يوسف، منشورات مطبعة المشعل، إشراف: رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط ـ بيروت، ط5 (ب ـ ت) .

86. في العقائد والأديان، محمد جابر عبد العال، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ك1، 1971م.

87. في ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (ت1385هـ)، دار الشروق، بيروت ـ القاهرة، ط17، 1412هـ .

88. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة الاختصاص من اللاهوتيين، هيئة التحرير الدكتور بطرس عبد الملك، الدكتور جون الكسندر طمس، الأستاذ إبراهيم مطر .

89. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي (ت817هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8 (1426هـ ـ 2005م) .

90. قذائف الحق، محمد الغزالي، دار القلم، 1991 ـ الكويت.

91. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

92. قصة الأديان، رفقي زاهر، دراسة تأريخية مقارنة، ط1 (1400هـ ـ 1980م) .

93. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط3، 1407هـ.

94. كل شيء عن اليهود، محمد سعيد مرسي، مصر ـ القاهرة، ط1 (1423هـ ـ 2003م) .

95. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت (ب ـ ط) (1419هـ ـ 1998م) .

96. الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، لكتاب اليهودية علي حسين التلمود، للدكتور الفرنسي (روهلينج)، وكتاب الدكتور (أشبل لوران) بعنوان تاريخ سورية لسنة 1984م، تصحيح وتعليق: الشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا.

97. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان (ب ـ ط)(ب ـ ت).

98. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت711هـ)، الناشر: دار صادر ـ بيروت، ط3، 1414هـ .

99. الله جل جلاله والأنبياء (عليهم السلام) في التوراة والعهد القديم ـ دراسة مقارنة، محمد علي البار، الدار الشامية ـ بيروت، دار القلم ـ دمشق، ط1 (1410هـ ـ 1990م).

100. المجتمع اليهودي، زكي شنودة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

101. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بم معبد التميمي، أبو حاتم الدرامي الحسيني (ت354هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الواعي ـ حلب، ط1، 1396هـ .

102. مجموع وفتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم، دار الوطن ـ دار الثريا، الطبعة الأخيرة : 1413هـ .

103. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية . بيروت، ط1، 1418هـ .

104. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت542هـ)، دار النشر، دار الكتب العلمية . لبنان (1413هـ . 1993م).

2. محمد سيد طنطاوي وترجيحاته في تفسير الوسيط للقرآن الكريم، دراسة عن تفسير لسورتي الفاتحة والبقرة، الدكتور أحمد نجيب عبد الله، جامعة جلا الإسلامية، يونيو/2010.

105. مختار الصحاح، زيد الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ أحمد، الناشر: المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت . صيدا، ط5 (1420هـ . 1999م).

106. مختصر إظهار الحق، محمد رحمة الله بن خليل الهندي الحنفي (ت1307هـ)، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ .

107. مخطوطات قمران، البحر الميت ـ التوراة المنحول، تحقيق: أندريه دويون وسومر مارك، ترجمة: موسى ويب الخوري، دار الطليعة الجديدة، سوريا ـ دمشق، ط1، 1998م.

108. المدخل لدراسة الأديان والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1 (1410هـ ـ 1990م) .

109. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1 (1410هـ ـ 1990م) .

110. المرشد إلى الكتاب المقدس، القس سيكل سيل، ط8 ـ بيروت، 1958م .

111. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمدبن حمودية بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1 (1411هـ ـ 1990م) .

112. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عامل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسنالتركي، الناشر: مؤسسة الرسالة (1421هـ ـ 2001م) .

113. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1 (1410هـ . 1981م) .

114. معجم البلدان، شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، دار صادر ـ بيروت، ط2 (1405هـ ـ 1995م) .

115. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب ـ القاهرة، ط1 (1429هـ ـ 2008م) .

116. معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد (ت1404هـ)، الناشر: دار الكتب، ط1 (1429هـ ـ 2008م) .

117. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط1 (1429هـ ـ 2008م) .

118. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.

119. مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم ـ دمشق (ب ـ ط) (1426هـ ـ 2005م) .

120. مفهوم النبوة في الإسلام، أبو عبد الرحمن الإدريسي، إسلام ديب، 2014م .

121. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، بقلم جعفر هادي، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، إيران ـ قم، ط5 (1430هـ ـ 2009م) .

122. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ط1، 1412هـ .

123. المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، دار النفائس ـ الأردن، ط1، 2007م.

124. مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسه، دار الحرية للطباعة والنشر، ط5، 1981م.

125. المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (عليه السلام) وفرعون مقارنة عقائدية، زاهية راغب الدّجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط1 (1418هـ ـ 1998م) .

126. مفهوم النبوة في الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، سلامة حسين كاظم، بيت الحكمة ـ بغداد، ط1، 2012م.

127. مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط2، 1988م.

128. مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ـ عمان، ط3 (1435هـ ـ 2014م) .

129. مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ـ عمان، ط3 (1435هـ ـ 2014م) .

130. مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق ـ بيروت، ط2 (1398هـ ـ 1987م) .

131. الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل راجي الفاروقي، معهد البحوث والدراسات العربية، ط2 (1402هـ ـ 1968م) .

3. منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية من خلال تفسير الوسيط، سورة الأنفال أنموذجاً (دراسة تحليلية نقدية مقارنة، لينة عبد الكريم الغويري، بإشراف: جهاد محمد فيصل، الجامعة الأردنية/ كلية الشريعة، قسم أصول الدين، 2015م .

132. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1 (1413هـ ـ 1992م) .

133. موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات السماوية، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة، ط1، 2010م.

134. الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي لغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية، (ب . ط)(ب . ت).

135. موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل .
136. موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد سامي، المكتب المصري للتوزيع، ط1، 2003م.
137. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق ـ القاهرة، 2004م .
138. موقف اليهود من الرسالة والرسول (ﷺ)، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية . الكويت، ط1 (1413هـ . 1992م).
139. نبوخذ نصر الثاني، حياة إبراهيم محمد، دار الحرية للطباعة . بغداد، ط1 (1403هـ . 1983م) .
140. النبوات، ابن تيمية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1985م .
141. النبوة والأنبياء عند اليهود في العهد القديم، سليمان بن قاسم العبد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية.
142. النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، لواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط2، 1413هـ .
143. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية . بيروت (1415هـ . 1995م) .
144. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم . دار الشامية، ط1 (1416هـ . 1996م) .
145. همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي، لبنان ـ بيروت، ط2 (1403هـ . 1983م) .
146. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط6 .

147. يهود الأمس سلف سي، لخلف أسوأ، لعبد الرحمن بن محمد الدوسري، مكتبة الوادي ـ جدة، ط1، 1413هـ .
148. اليهود تاريخ وعقيدة، كامل سعفان، دار الاعتصام، 1981م .
149. اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، محمد أديب الصالح، دار الهدى للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط1 (1413هـ ـ 1993م).
150. اليهودية والصهيونية، أحمد عبد الغفور العطار، دار الأندلس، ط1 (1391هـ ـ 1972م) .
151. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، بشر محمد سعيد، دار الثقافة ـ قطر، ط1 (1412هـ ـ 1992م) .

المجلات والصحف:

1. العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، محمد محمد محمد عيسى، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد(2)، العدد(68)، 2007م .
2. مقال بعنوان طنطاوي مثال للعالم الزاهد المدافع عن الإسلام، عمرو أبو الفضل وأحمد شعبان، جريدة الاتحاد، 2010م.

المواقع الإلكترونية:

1. محمد سيد طنطاوي، الجزيرة نت، الثلاثاء /1436/7/3هـ الموافق 2015/4/21م

http:www.copts.united.com.

2. مقالة الإمام الأكبر، محمد سيد طنطاوي من بني سليم إلى المدينة المنورة جرجس بشرى، 2010/6/12م.

http:www.copts.united.com.



The Ministry of Higher Education and Scientific Researc
Baghdad University
Faculty of Islamic Sciences

Judaism in the Interpretation of the Mediator of Tantawi

(An analytical study)

Message made by the student
Accessories Ibtihal Jassim Mohammed
To the Council of the Faculty of Science of the Islamic University of Baghdad

Supervised by
Assistant Professor Ibrahim Abdul Salam Al-Kubaisi

1400 **2019**

In the name of of Allah the Merciful

Thesis Summary

This study deals with a number of Quranic verses that talked about the false claims and claims of the Jews, through the interpretation (mediator of the Koran), to the science of the flags of this era, Sheikh Dr. (Mohamed Sayed Tantawi), former Sheikh of Al-Azhar.

The study included the definition of the Jewish religion with the most famous names of the Jews, and the definition of interpretation and method of interpreter, and then shed light on the most important doctrines of the Jews, based on the texts of the Torah, and refuted in the light of the Koran, to indicate the long Torah distortion of forgery and manipulation of pens, I have Light on the concept of God in Judaism is based on their texts, and the position of Sheikh Tantawi, with a statement of the concept of prophecy and prophets of the Jews and Sheikh Tantawi responded to this, as well as highlighting the concept of the other day when the Jews and faith in him and the responses of Sheikh Tantawi, A collection of sayings of the flag Who preceded Sheikh Tantawi in science and learning, which was the best Edeid on the issues that have been put forward and discussed from their books, but in the light of the Holy Quran